

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَمْ يَغَيِّرِ النَّبِيُّ صَاحِدًا

مِثْلَ الْمَلِكِ لِيُكَلِّمَكَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الثالث والتسعون بعد المائة

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أسواق الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الربوبية المطلقة له وحده ، لا يشاركه فيها أحد ، وفيه رحمة بالخلائق كلها لتسلم له بالإلوهية ، ويأتي الناس الفرائض والعبادات ، وفي التنزيل بخصوص أولاد يعقوب وإعلانهم ميثاق الإيمان بحضرته عندما حضره الموت قال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ومع أن الميت هو الذي يملئ ويكتب وصيته فان الأنبياء يأخذون عند الإحتضار الميثاق والعهد من أبنائهم على تعاهد العبودية لله عز وجل والتسليم بالربوبية المطلقة له سبحانه ، وفي التنزيل ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) .

الحمد لله الذي قهر الخلائق بمجبتها المستديمة والمتجددة له سبحانه لتكون هذه الحاجة رحمة لها ، وكل مخلوق يتنعم بهذه الحاجة ، وهي فرع ملكية الله عز وجل للسموات والأرض وما فيهن .

(١) سورة البقرة ١٣٣.

(٢) سورة الزخرف ٨٤.

وقد جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، وهذه الخلافة منزلة رفيعة ، وهي موضوع إبتلاء واختبار يتجلى النجاح فيه بقول الحمد لله ، وهل هذا القول عبادة ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٢).

الحمد لله الذي جعل الناس مع كثرتهم والمشقة العامة في إحصاء الناس لعددهم ذرية لفرد واحد وهو آدم ليكون حجة عليهم من جهات :

الأولى : تعاهد الأخوة الإنسانية.

الثانية : المحافظة على سُنخية الإيمان التي هبط فيها آدم إلى الأرض.

الثالثة : الشكر لله عز وجل على مرتبة الخلافة في الأرض من جهات :

الأولى : الإقرار بالربوبية المطلقة لله عز وجل ، وقد أنعم الله عز وجل على المسلمين ، وجعل كل واحد منهم ذكراً أو انثى يتلو قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، سبع عشرة مرة كل يوم ، وهل هذه التلاوة والإقرار من مصاديق الخلافة في الأرض ، الجواب نعم.

الثانية : عمارة الأرض بذكر الله وتسبيحه فانه سبحانه يحب لعباده التحلي بالتقوى ، وينزل عليهم بركاته ، قال تعالى ﴿وَكُونُوا

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ١٧٢.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾.

الثالثة : الإمتناع عن الفساد في الأرض ، فان قلت قد أخبرت الملائكة بأن الإنسان يفسد كما في قوله تعالى ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (٢).

والجواب من معاني الآية الكريمة الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل بتتزه الناس عن الفساد.

(وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، وبخل بالمال أن ينفقه ، وحين غدر العدوان يجاهده فليكثر ذكر الله) (٣).

ويتضمن الحديث أعلاه الترغيب بذكر الله عز وجل وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر الغزو والهجوم إنما ذكر عدوان الذين كفروا على المسلمين ، ولم يجعل دفاعهم وصددهم واجباً عينياً ، بل رخص لغير القادر على الدفاع ودفع عنه الحرج وبين أن ذكر الله عز وجل والتسبيح هو الأعظم والأكثر نفعا.

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول : إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله؟

قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع (١).

(١) سورة الأعراف ٩٦.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) الدر المنثور ١/ ٢٩٨.

(عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
إن لأهل ذكر الله أربعاً . ينزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ،
وتحف بهم الملائكة ، ويذكروهم الرب في ملأ عنده .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الله يقول : أنا مع عبدي إذا هو
ذكرني وتحركت بي شفتاه .

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس مرفوعاً قال الله : عبدي أنا
عند ظنك بي ، وأنا معك إذا ذكرتني .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عمر قال : ذكر الله
بالغداة والعشي أعظم من حطم السيوف في سبيل الله ، وإعطاء المال
سخاء .

وأخرج ابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل قال : لو أن رجلين
أحدهما يحمل على الجياد في سبيل الله ، والآخر يذكر الله لكان
الذاكر أعظم وأفضل أجراً .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عن سلمان الفارسي قال
: لو بات رجل يعطي القناة البيض . ولفظ أحمد : يطاعن الأقران ،
وبات آخر يقرأ القرآن أو يذكر الله لرأيت أن ذاكر الله أفضل^(٢)

(وأخرج ابن أبي شيبة عن سلمان قال : إذا كان العبد يحمد الله
في السراء ويحمده في الرخاء فأصابه ضرر دعا الله قالت الملائكة :
صوت معروف من امرئ ضعيف فيشفعون له ، فإذا كان العبد لا
يذكر الله في السراء ولا يحمد في الرخاء فأصابه ضرر فدعا الله قالت
الملائكة : صوت منكرو^(٣) .

(١) الدر المنثور/٢٩٨/١ .

(٢) الدر المنثور/٢٩٩/١ .

(٣) الدر المنثور/٣٠٢/١ .

الحمد لله رب العالمين الذي ملك وقدر ، وعلا فقدر ، وخلق ونشر ورزق فأغدق ، فحالما خلق آدم أنعم عليه بالرزق الوفير ، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾^(١).

وهل تدل الآية أعلاه على العناية بالسكن ولزوم قيام الحكومات بتوفير السكن اللائق للناس حسب الحال والكيفية المناسبة ، الجواب نعم .

وتوفير السكن من سبل تنزيه المجتمعات من الإرهاب والجرائم ، فهو باعث للسكينة في النفوس .

ومن الآيات أن لفظ السكن مشتق من السكينة ، كما نعت حال الزوجية سكناً ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢) ، فلا تلبث امرأة غريبة عن الرجل أن تصبح بعقد الزواج أقرب له من الآخرين تشاركه لقمة العيش وتمده بالعون والثقة ، وتشر شأيب المودة بينهما .

وفي الزواج عصمة للفرج وغض للبصر وسلامة من القلق ، وفيه حفظ لجنس البشر ، أي هناك تعارض بين الزواج والإرهاب ، بين السعي للإنجاب وبين التفجيرات العشوائية .

لذا ذكر القرآن مسألة الزواج على نحو الأمر الذي ينصرف في ظاهره إلى الوجوب ، قال تعالى ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة الأعراف ١٨٩.

(٣) سورة النساء ٣.

الحمد لله الذي أحصى كل شئ عدداً ، ولا يشرك في حكمه أحداً ، وليس من مانع دون رحمته وإحسانه ، اللهم فارحمنا وأغفر لنا ، وتقبل منا وأصلح لنا أمورنا ، وارزقنا حسن العاقبة فان صلاتنا ونسكنا لك وحدك .

الحمد لله الذي أنعم علينا بهذا الجزء من التفسير وهو الثالث التسعون بعد المائة ، وهو خاص بقانون (لم يغزُ النبي ص أحداً) ويتضمن وقائع كل من :
الأولى : سرية الرجيع.

الثانية : سرية بئر معونة ، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا السرايا للقتال ، إنما هي للتبليغ ونشر معالم الإيمان بالحجة والبرهان ، وهي فرع قول ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١) فهذا التبليغ أعم من أن يختص بتبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه إذ يتم تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم وتبليغ الصحابة .
الثالثة : كتيبة ذات الرقاع .

وكل واحدة منها مصداق لقانون لم يغزِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم أحداً ، وهو موضوع عدة أجزاء صدرت من هذا السفر خاصة بهذا القانون وفي كل جزء منها حجج متعددة تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم لم يسع إلى الهجوم والغزو ، وكان يدفع القتال مع المشركين ، وهي :

الأول : الجزء الرابع والستون بعد المائة .

الثاني : الجزء الخامس والستون بعد المائة.

الثالث : الجزء السادس والستون بعد المائة.

الرابع : الجزء الثامن والستون بعد المائة.
 الخامس : الجزء التاسع والستون بعد المائة.
 السادس : الجزء السبعون بعد المائة.
 السابع : الجزء الواحد والسبعون بعد المائة.
 الثامن : الجزء الثاني والسبعون بعد المائة.
 التاسع : الجزء الرابع والسبعون بعد المائة.
 العاشر : الجزء السادس والسبعون بعد المائة.
 الحادي عشر : الجزء السابع والسبعون بعد المائة.
 الثاني عشر : الجزء الثامن والسبعون بعد المائة.
 الثالث عشر : الجزء الثمانون بعد المائة.
 الرابع عشر : الجزء الواحد والثمانون بعد المائة.
 الخامس عشر : الجزء الثاني والثمانون بعد المائة.
 السادس عشر : الجزء الثالث والثمانون بعد المائة.
 السابع عشر : الجزء السابع والثمانون بعد المائة.
 الثامن عشر : الجزء التسعون بعد المائة.
 وهو من الشواهد على صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يعلم أن الناس تدخل الإسلام بالموعظة والمعجزة ،
 لقد خفف الله عز وجل عن الأنبياء والأولياء في الدعوة إليه بأن نفخ
 من روحه في آدم عليه السلام يوم خلقه وسواه .
 فمن رشحات هذا النفخ الميل بالفطرة إلى الإيمان والاستعداد
 لتلقي مفاهيم الصلاح والوفاق ، والنفرة من الضلالة والفسوق
 والفجور ، وفي التنزيل ﴿وَكُنَّ اللَّهُ حَبِّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي
 قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ^(١) .

ومن مقدمات هذا التحبيب وجوه :

الأول : النفخ من روح الله في آدم .

الثاني : سجود الملائكة لآدم بعد نفخ الروح فيه ، قال تعالى

﴿فَإِذَا سَوَّيْنَاهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١) ، فهذا

السجود حجة على الناس ، فتفضل الله وحبب إليهم الإيمان ،

ليسجد الملائكة لآدم النبي وفي صلبه ذريته الذين حبب الله عز وجل

لهم الإيمان .

وهل من موضوعية لسجود الملائكة لآدم في تحبيب الإيمان لهم

، الجواب نعم ، فهو من الشكر لله عز وجل على نعمة السجود هذه

، وما فيها من التشريف والإكرام .

الثالث : الحسن الذاتي للإيمان وما يترشح عنه من المنافع

العظيمة.

ولم تكتف الآية بالإخبار عن تحبيب الإيمان إلى النفوس

والأركان بل تفضل الله وزينه وحسنه في القلوب .

ولم يرد لفظ ﴿حَبَّبَ﴾^(٢) و﴿وَزَيَّنَهُ﴾^(٣) و﴿وَكَرَّمَهُ﴾^(٤) في القرآن إلا

في الآية أعلاه .

وتدل الآية في مفهومها على أن الله عز وجل لم يحبب القتال إلى

قلوب المسلمين ، ولم يجعلهم يهتمون بالغزو ، ويطمعون بالنهب

والسلب ، والإيمان عصمة من الرغبة في القتال .

(١) سورة الحجرات ٢٩.

(٢) سورة الحجرات ٧.

(٣) سورة الحجرات ٧.

(٤) سورة الحجرات ٧.

وكما أخبر الله عز وجل بأنه سبحانه كرّه للمسلمين الكفر والفسوق والعصيان ، فانه سبحانه أخبر عن قانون وهو أن المسلمين يكرهون القتال ، ولكن الذين كفروا يحملونهم عليه فيضطرون للدفاع ، قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١).

ومن وجوه الحاجة إلى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه جاء بأمور :

الأول : التوحيد واثبات صفات الله عز وجل .

الثاني : أحكام الشرائع والأوامر والنواهي .

الثالث : بيان سنخية الأقوال والأفعال بلحاظ الأحكام التكليفية

الخمسة :

الأول : الوجوب .

الثاني : الإستحباب .

الثالث : الإباحة .

الرابع : الكراهة .

الخامس : الحرمة .

ولا سبيل للإهتداء إلى معرفة الأحكام إلا بواسطة النبوة والتنزيل ، ولا يمكن استدامة أمة على الصلاة بأن يصلي كل فرد منها ذكراً أو أنثى خمس مرات في اليوم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة أي من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الآن ، واستمرار هذه الكيفية من الصلاة إلى يوم القيامة بواسطة النبوة والتنزيل ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في

الإمثال لقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢).

وفيه دعوة يومية متكررة لنبذ الإرهاب ، ومنع من الغزو ، ففي كل صلاة زجر للمسلمين عن الغزو ، وبيان فعلي عبادي بأن الإرهاب ضد الإيمان ، وأن الذي يتقي الله عز وجل يجتنب التفجير العشوائي ، ويسلم منه .

فمن الإعجاز في تشريع الصلاة اليومية أنها زاجر للمصلي عن الإرهاب ، ومانع للغير من إرهاب المصلي ، وهو من الذخائر الاجتماعية في بعثة الأنبياء ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقد بعث الله الأنبياء متعاقبين إلى أن أختتم النبوة بالنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقام بثبت الصلاة اليومية في الأرض لتبقى ملازمة للوجود الإنساني إلى يوم القيامة ، فيكون الإرهاب والتفجير العشوائي أمراً عرضياً طارئاً في هذه الأيام سرعان ما يكتب له الإضمحلال والزوال ، إذ تنفر منه النفوس ولا يؤدي إلا إلى الأضرار الخاص والعام ، ويصيب الضرر ذات الذي يقوم بالإرهاب والتفجير ويلحقه الضرر في الدنيا والآخرة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤).

وفي هذا الجزء بعض تفاصيل استعداد قريش لمعركة أحد من جهات:

(١) سورة البقرة ٤٣.

(٢) سورة النساء ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة النحل ١١٨.

الأولى : جمع الأموال الكثيرة وتسخير أموال قافلة أبي سفيان للمعركة.

الثانية : الطواف على القبائل لتحريضها وتوثيق أشعار أبي عزة الشاعر عند طوافه على كنانة وأشعار مسافع بن عبد الله من جمح عند ذهابه إلى بني مالك من كنانة ودعوتهم لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

الثالثة : التدريب والتمرين على القتال ، وتعطيل القوافل التجارية ، وهو من أشد البلاء على الذي يحارب النبوة والتزليل .

الرابعة : تحريم قریش النياحة على قتلى بدر ، كي لا تضعف الهمم ، ولا ينشغل الناس عن الإستعداد للثأر والقتال .

الخامسة : زيادة الأذى على المسلمين والمسلمات في مكة ، ومنعهم من الهجرة ، وقامت قریش بحبس عدد من الشباب من فلذة أكبادهم وتقييدهم بالأصفاد خشية هجرتهم ، وهو من الإرهاب ، ومنع الحريات الشخصية وإختيار السفر والإقامة في الموضع والبلد الذي يريدون لبيان قانون من جهات:

الأولى : قانون محاربة رؤساء الإرهاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

الثانية : قانون جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستئصال الإرهاب من الأرض .

الثالثة : قانون خيبة وخسارة أهل الإرهاب .

الرابعة : قانون عدم تحقيق الإرهاب أي غاية .

(١) أنظر ابن هشام / السيرة النبوية ٦٠/٢ .

(٢) سورة الصف ٨ .

الخامسة : قانون حتمية انكسار وانقطاع الإرهاب .

فقد تكرر هجوم المشركين على المدينة والمسلمين في كل من :

الأولى : معركة بدر .

الثانية : معركة أحد .

الثالثة : معركة الخندق ، قال تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ .

الرابعة : معركة حنين .

إلى جانب عدة غارات قام بها المشركون على المدينة وضواحيها سواء القادمين من مكة مثل إغارة كرز بن جابر الفهري على سرح وابل ومواشي أهل المدينة في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يدركه ، وسمي هذا الخروج غزوة بدر الأولى ، وليس من جهة تم غزوها ، ولم يقع قتال .

وغزوة أبي سفيان لأطراف المدينة وحرقه النخيل ، وهو أمر قبيح ومستهجن ، فليس من جيش يقابل أبا سفيان يومئذ ، وليس من معركة ، إنما أراد أبو سفيان وأصحابه الإضرار العام واتلاف النخيل والأشجار ، وهو فعل محرم شرعاً وعقلاً ، وإرادة بعث الفتنة في المدينة بتهييج الناس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين ، وأنهم السبب في حرق النخيل ، ولكن أهل المدينة انكروا ما فعله أبو سفيان وأصحابه ، وخرجوا لمطاردتهم.

فقد قام أبو سفيان وأصحابه بحرق نخيل من حول المدينة ووجدوا رجلين فقتلوهما فخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في طلبهم ولم يقع قتال ، إذ انهزم أبو سفيان وأصحابه ، وسميت غزوة السويق.

لقد منعت رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الإبادة الجماعية لأهل القرى والقبائل ، وخلصت الناس من الإستضعاف ومن الرق والعبودية .

ومن خصائص نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن جعلت العبيد بالتقوى أمراء وولاة وليس من إعتراض على هذا الأمر من طائفة أو جماعة أو أحد المسلمين .

لقد تقيّدوا بقانون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١) فصار الإجتهد في العبادة وسنن التقوى طريقاً للسمو والمعرفة ، ومن التقوى العصمة من التعدي والظلم ، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَدَوَّارِ﴾^(٢) وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْمُتَعَدِّينَ^(٢) .

وبعد أن كان اليهود في خوف من الأوس والخزرج ويخوضون معهم المعارك صاروا في أمان ، ومن الغريب في المقام انقسام اليهود إلى طائفتين ، إحداهما حلفاء للأوس ، والأخرى حلفاء للخزرج ، فجاء الإسلام ليوحد الأوس والخزرج ، ويمنع من القتال بينهم ، وفيه سلامة لليهود من القتال والإقتال .

ولو كان غزو النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار ضرورة وحاجة ، فليس فيه إشكال لأن الغاية منه استئصال الكفر ومفاهيم الضلالة ، ولكن هذا الغزو لم يقع أصلاً ، وليس من حاجة له ،

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

لجذب الناس للإيمان بالحجة والبرهان والمعجزة ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١).

ويدل عليه دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام ثلاث عشرة سنة في مكة من غير أن يحمل سيفاً أو يأمر أصحابه بالقتال أو الغزو أو النهب أو الإغتيال ، مع أن أكثرهم كانوا في سن الشباب.

ولقد أمر منهم ثلاثة وثمانين بالهجرة إلى الحبشة مع بعد المسافة وكثرة الأخطار ، واحتمال دخول بعضهم النصرانية ، ليكون أرسالهم إلى الحبشة معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :

الأول : صدور الأمر النبوي للمهاجرين بالوحي من عند الله عز وجل .

الثاني : البشارة بالأمن من مخاطر الطريق سواء من مكة إلى جدة أو عند الركوب في البحر وأهواله في تلك الأزمنة مع بعد الشقة .

الثالث : السلامة من ملاحقة ومطاردة كفار قريش ، فما أن سمعوا بخروج نفر من المسلمين مهاجرين حتى لحقوهم على الخيل ، وشاء الله أن يجد المسلمون سفينتين تريدان الإبحار إلى الحبشة فركبوا فيهما قبل أن تصل خيل المشركين ، قال تعالى ﴿وَمَكَرُوا لَكَ هَوَ

الرابع : صيرورة المهاجرين إلى الحبشة أول سفراء للإسلام بالسلام والصبر والإنكماش على الذات من غير دعوة إلى الإسلام في تلك البلاد شاكرين حسن ضيافة النجاشي وأهل الحبشة ، وقد أثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النجاشي .

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة فاطر ١٠.

ومن معجزات القرآن الغيرية وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق كون هجرة الحبشة بالوحي أن قريشاً أرسلوا وفداً إلى النجاشي وحاشيته لتسليم المهاجرين المسلمين لهم ، وإعادتهم إلى قريش ، وكانوا يظنون التأثير على النجاشي من جهات :

الأولى : التخويف من الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : نعت المهاجرين بالذم والخروج عن ملة قريش .

الثالثة : حاجة أهل الحبشة للتجارة مع قريش فيقومون بتسليم المسلمين لهم .

الرابعة : لقد أرسلت قريش وفداً يتصف بالمكر والدهاء لتصوير المسلمين المهاجرين وكأنهم فتنة وسبب للضرر الإجتماعي والعقائدي ، ولكن النجاشي قابلهم بحكمة وتعقل .

(أخرج عبد بن حميد من طريق شهر بن حوشب حدثني ابن غنم ، أنه لما خرج أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي أدركهم عمرو بن العاص ، وعمارة بن أبي معيط ، فأرادوا عنتهم والبغي عليهم ، فقدموا على النجاشي وأخبروه أن هؤلاء الرهط الذين قدموا عليك من أهل مكة إنما يريدون أن يخبّلوا عليك ملكك ، ويفسدوا عليك أرضك ، ويشتموا ربك .

فأرسل إليهم النجاشي فلما أن أتوه قال : ألا تسمعون ما يقول صاحبكم هذان ، لعمر بن العاص ، وعمارة بن أبي معيط ، يزعمان أنما جئتم لتخبّلوا عليّ ملكي ، وتفسدوا عليّ أرضي .

فقال عثمان بن مظعون ، وحمزة : إن شئتم فخلوا بين أحدنا وبين النجاشي فلنكلمه فانا أحدتكم سنأ ، فإن كان صواباً فالله يأتي به ، وإن كان أمراً غير ذلك قلتم رجل شاب لكم في ذلك عذر .

فجمع النجاشي قسيسيه ورهبانه وتراجمته ، ثم سألهم أرايتكم صاحبكم هذا الذي من عنده جئتم ما يقول لكم ، وما يأمركم به ، وما ينهاكم عنه ، هل له كتاب يقرأه.

قالوا : نعم . هذا الرجل يقرأ ما أنزل الله عليه ، وما قد سمع منه ، وهو يأمر بالمعروف ، ويأمر بحسن المجاورة ، ويأمر باليتيم ، ويأمر بأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه إله آخر . فقرأ عليه سورة الروم ، وسورة العنكبوت ، وأصحاب الكهف ، ومريم .

فلما ان ذكر عيسى في القرآن أراد عمرو أن يفضبه عليهم فقال : والله إنهم ليشتمون عيسى ويسبوننه.

قال النجاشي : ما يقول صاحبكم في عيسى؟ قال : يقول ان عيسى عبد الله ، ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم . فأخذ النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين ، فحلف ما زاد المسيح على ما يقول صاحبكم ما يزن ذلك القذى في يده من نفثة سواكه ، فابشروا ولا تخافوا فلا دهونة يعني بلسان الحبشة اليوم على حزب إبراهيم قال عمرو بن العاص : ما حزب إبراهيم.

قال : هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعهم.

فأنزلت ذلك اليوم خصومتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين} ^(١).

الخامس : لقد أراد وفد قریش إحراج المسلمين الذين في الحبشة وصدور كلام منهم يغيظ النجاشي وحاشيته .

وعندما مات النجاشي صلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليه فطعن المنافقون فقالوا : صلى عليه ، وما كان على دينه

فَنَزَلَتِ الْآيَةُ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١).

(عن قتادة قال : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي ، وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله وصدقوا به . وذكر لنا : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استغفر للنجاشي وصلى عليه حين بلغه موته ، قال لأصحابه : صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم . فقال أناس من أهل النفاق : يصلي على رجل مات ليس من أهل دينه ! فأنزل الله { وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله } الآية^(٢) .

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال : لما مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : استغفروا لأخيكم فقالوا : يا رسول الله أنستغفر لذلك العelj ، فأنزل الله { وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم } الآية^(٣) .

وما بين أسباب نزول قوله تعالى ﴿فَأَيُّمَا تَوَكَّلْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) (وروى أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إِنَّ أَخَاكُمْ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ قَالُوا نَصَلِّي عَلَى رَجُلٍ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ ، قَالَ فَنَزَلَتْ { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ }^(٥) ، قَالُوا : فَإِنَّهُ كَانَ

(١) سورة آل عمران ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران ١٩٩.

(٤) سورة البقرة ١١٥.

(٥) سورة آل عمران ١٩٩.

لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله تعالى {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} (١).

وقبل أن يدخل عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط على النجاشي قدموا الهدايا للبطارقة والحاشية ثم دخلا عليه فسجدا له ، وهذا السجود مقدمة للتعريض بوفد المسلمين لأنهما يعلمان بأنهم لا يسجدون للنجاشي إذا دعاهم لسمع منهم ، وبعد أن يألبانه والبطارقة عليهم ، وبعد السجود للنجاشي والسلام عليه بتحية الملك أخبراه بأن قومهما يحبونه ، ويشنون على دينه وصلاحه وحذروه من وفد المسلمين بأمور منها أنهم إذا دخلوا عليه لا يسجدون له ، ولا يحيونه بالتحية التي يحییه بها الناس ، وهو من الشواهد بأن الهجرة ليست طريقاً آمناً حتى بعد الإستقرار في المصر المهاجر إليه لولا فضل الله ، قال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

وكان الأذى الذي لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى المدينة أشد وأمر ، إذ هجم عليه المشركون بالخيـل والنبال ولمعان السيوف المهنددة في إرهاب جلي ، وعدوان ظاهر من أجل كتم الحقائق السماوية ، ومنع إشاعة مفاهيم الصلاح والعبادة والزهد ، قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (٣) ولقد سعت قريش لنهي أمة عن عبادة الله فانزل الملائكة لنصرها .

ومن خصائص علم التفسير أنه منبع للأخلاق الحميدة ، وترشح عنه مفاهيم حميدة ، وبما يفيد الصلاح في كل زمان ، وفيه تجليات

(١) النكت والعيون ٨٥/١.

(٢) سورة الروم ٤٥.

(٣) سورة العلق ٩-١٠.

وارتقاء في المعارف الإلهية ، وهو من رشحات قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

وليس من حصر لمصاديق قانون (لم يغز النبي أحداً) في الكتاب والسنة ، إذ تشهد آيات القرآن وأخبار السنة ، والوقائع التاريخية أيام النبوة على أن النبي محمداً لم يغز أحداً ، ولا يرغب بالغزو ، ولا جمع الأموال ، وكان الزهد صبغة حياته اليومية بقله المؤونة مع كثرة الإنفاق في سبيل الله.

وقد توفي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله ، وكان يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)^(٢).

وعن عائشة قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله وقالت عائشة لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شئ يأكله ذو كبد غير شطرين شعير في رف لي^(٣).

لقد كانت الأموال تترى على النبي من الزكوات وغيرها ، وكان ينفقها ويعطي الفقراء والمساكين ، وما يرده على أهله من الغنائم أكثر مما يأخذه ، فكان بعض العرب يأتيه يسأله سلبه وما له فيعيده عليهم حتى بعد توزيعه على الصحابة .

ومن لم يرض بهذه الإعادة يضمن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم العوض والبدل ، مما يدل أن الأصل في منهاج النبوة هو هداية

(١) سورة الاسراء ٩.

(٢) عيون الأثر ٢/٤٢٧.

(٣) تاريخ دمشق ٤/١٠٢.

الناس إلى سبيل الإيمان ، ودفعهم عن مستنقع الضلالة ، ومنع الذين كفروا من تسخير الأموال والأنعام في محاربة النبوة والتنزيل .

لقد اجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جذب الناس لمسالك الإيمان وإقامة الصلاة ، ونقول أجماع علماء الإسلام على كذا ويقال اجماع علماء المذهب والطائفة على كذا ولكن هناك قوانين ومسائل يجمع عليها الناس وأرباب الملل المختلفة منها أن الناس جميعاً لأبوين هما آدم وحواء .

ولم تدب الغيرة إلى قلب حواء فليس من امرأة غيرها يومئذ ومات آدم قبلها بعام لبيان أن القرآن أول من جاء بالعولمة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، وهو المستقرأ من الخطاب القرآني (يابني آدم) .

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) .

و(عن أبي الدرداء رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما أوحى إليّ أن أكون تاجراً ولا أجمع المال متكاثراً ، ولكن أوحى إليّ أن { سبح بحمد ربك وكن من الساجدين } ♦ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)^(٣) .

ويدل الحديث في مفهومه من باب الأولوية أن النبي محمداً لم يبعث للقتال والغزو ، إنما هو منقطع للتسييح والذكر ، وفي غزو المشركين للمدينة في معركة الخندق ، ورد عن شتير بن شكل قال (سألت علياً عن الصلاة

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة يونس ٥٧ .

(٣) سورة الحجر ٩٨-٩٩ .

الوسطى فقال : كنا نرى أنها الصبح حتى سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم الأحزاب ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ، ولم يكن صلى يومئذ الظهر والعصر حتى غابت الشمس^(١) .

وورد عن (ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الخندق : شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ، ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً)^(٢) .

ليان أن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يعطي الأولوية في نهاره وليله لأداء الصلاة ، ومع العناية في مدافعة الذين كفروا ومنعهم من إجتياز الخندق واستباحة المدينة فإنه صلى الله عليه وآله وسلم حزن على فوات أوان الصلاة في وقتها إضراراً وأخبر بأن المشركين السبب في هذا التأخر ، ويتحملون وزره .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يكره أحداً ممن يدخل الإسلام على القتال والدفاع إنما يحثهم على العودة إلى قراهم وديارهم لعمارتها ، ودعوة أهليهم من حولهم إلى الإسلام ونبذ عبادة الشرك .

و(عن واثلة بن الأسقع قال : خرجت مهاجراً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فصلى ، فلما سلم أقبل الناس بين خارج وقائم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرى جالسا إلا دنا إليه فيسأله : هل لك من حاجة .

وبدأ بالصف الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى دنا إلي . فقال : هل لك من حاجة .

(١) الدر المنثور ١١١/٢ .

(٢) الدر المنثور ١١١/٢ .

فقلت : نعم يا رسول الله ، فقال : وما حاجتك .
قلت : الإسلام ، قال : هو خير لك ، قال : وتهاجر .
قلت : نعم ، قال : هجرة البادية أو هجرة الباتة .
فقلت : أيهما أفضل .

قال : هجرة الباتة ، وهجرة الباتة أن تثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهجرة البادية أن ترجع إلى أهلك وعليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ، ومكرهك ومنشطك ، وأثرة عليك .

قال : فبسطت يدي إليه فبايعته ، فاستثنى لي حين لم استثن نفسي ، قال : ما استطعت .

ونادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ، فخرجت إلى أهلي ، فوافيت أبي جالسا في الشمس مستدبرها ^(١) ، فسلمت عليه بتسليم الإسلام ، فقال لي : صبوت ^(٢) .

فقلت : بل أسلمت ، فقال : لعل الله تعالى يجعل لك ولنا فيه خيرا ، فرضيت بذلك منه ، فبينما أنا معه إذ أتتني أختي تسلم علي ، فقلت : يا أخت زوديني زاد المرأة أخاها غازيا ، قال : فأتت بعجين في دلو ، والدلو في مزود ^(٣) .

فأقبلت وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فجعلت أنادي : ألا من يحمل رجلا له سهمه ؟ فناداني شيخ من الأنصار .

(١) أي جعلها خلفه .

(٢) أي تركت دين قومك إلى دين آخر ، لإرادة التعريض والتوبيخ .

(٣) المزود : وعاء من جلد ونحوه يحمل به الزاد .

فقال : لنا سهمه على أن يحمل عقبه وطعامه معنا ، قال : قلت : نعم ، قال : فسر على بركة الله تعالى ، قال : فخرجت مع خير صاحب ، زادني حملانا على ما شارطته ، وخصني بطعام سوى ما أطعم معه ، حتى إذا أفاء الله تعالى علينا فأصابني قلائص^(١) ، قال : فسقتهن حتى أتيته وهو في خبائه فدعوته فخرج ، فقعد على حقيبة من حقائب إبله .

ثم قال : سقهن مقبلات ، فسقتهن مقبلات ، ثم قال : سقهن مدبرات ، فسقتهن مدبرات ، فقال : ما أرى قلائصك إلا كراما ، قال : قلت : إنما هي غنيمتك التي شرطت لك ، قال : خذ قلائصك يا ابن أخي ، فغير سهمك أردن^(٢) ، أي أرادوا الأجر والثواب من غير أن ينقص من منافع وثواب واثلة شئ .

حرر في ٢٣ ذي القعدة ١٤٤٠هـ

٢٦ / ٧ / ٢٠١٩

(١) جمع قلوص وهي الناقة الفتية القوية..

(٢) الاحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٤١/٣.

بحث أصولي

قد يرجع الشاك في حكم مسألة مخصوصة إلى الأصول العملية وهي :

الأول : الإستصحاب .

الثاني : البراءة .

الثالث : الإحتياط .

الرابع : التخيير .

والأصول جمع أصل وهو القاعدة فاذا كان للموضوع أو الحكم المشكوك فيه حالة سابقة من الحلية والطهارة أو الحرمة أو النجاسة ونحوها ثم شك فيه فيحكم باستصحاب الحالة السابقة بقوله عليه السلام (لا تنقض اليمين بالشك) ، وأما بالنسبة للبراءة فإن الشك على قسمين :

الأول : الشك في التكليف .

الثاني : الشك في المكلف به .

فعلى الثاني تتحقق أصالة البراءة .

أما بالنسبة للأول أعلاه فاما أن يتحقق مجرى الإحتياط أو يكون التخيير .

وتتجلى مسائل وهي أن يعمل بالإحتياط بملاحظة الحالة السابقة ، أما بالنسبة للبراءة فلها مقدار .

إسلام ابن الزبير

عبد الله بن الزبير السهمي القرشي ، وأمه عاتكة الجهمية بنت بن عمير شاعر قريش وقد ذكر في شعره واقعة الفيل ، وحرمة مكة ، ووثق حرب الفجار وبلاء بني المغيرة فيها وفيه شاهد على كثرة الإقتتال وسفك الدماء في أيام الجاهلية من غير أجر أو ثواب ،

ودخل نفر من بني قصي دار الندوة لبعض أمرهم فأراد ابن الزبير الدخول معهم ، والإستماع إلى مشورتهم فمنعوه ، وكتب شعراً في باب دار الندوة مما يلي الكعبة ، فلما أن خرجت بنو قصي إذا هم بالكتاب فقرأوه فإذا فيه من البسيط

ألهي قصياً عن المجد الأساطير ... ورشوة مثلما ترشي السماسير
توارثوا في نصاب اللوم أولهم ... فلا يعد لهم مجد ولا خير
فقال رجل من قصي: انطلقوا بنا إلى الخبيث! حتى نواخذه على سيئته^(١).

وكان ابو طالب بن عبد المطلب حاضراً فقال : لا تفعلوا لكن أرسلوا إلى قومه فان قبلوكم بما تريدون فهو وإلا رأيتم رأيكم ، واعذرتم معهم .

وقوم ابن الزبير هو بنو سهم ، وكان لهم حرمة وهم أهل عز وبأس ومنعة ، وكانت صلتهم مع بني عبد مناف حسنة ، وبينهم نوع حلف فبعث القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس إلى بني سهم يشكون لهم هجاء ابن الزبير إياهم في الآيات الشعرية أعلاه ، ولما وصل عتبة إلى بني سهم وجد أن شعر ابن الزبير قد بلغهم خبره فسألهم عتبة إن كان ما فعله ابن الزبير عن رأيكم فبئس الرأي ، وإن كان فعله عن نفسه فادفعوه إليهم لسفاهته وجراته ، فسارع بنو سهم إلى التبرأ مما فعل ابن الزبير ومن شعره ، فقال عتبة : فادفعوا إليهم هذا السفية .

فقالوا : بشرط أنه إذا هجانا هاج منكم لتسلموه إلينا .

(١) المنمق في أخبار قريش ٩٨/١.

فقال عتبة : ليس من مانع إلا أن الزبير بن عبد المطلب غائب بالطائف ، وأنه سيفرغ للأمر ولا يكون من بديلاً لابن الزبعرى .
وقال أحد بين سهم إن دفعتموه فلكم مثل الذي عليكم أي من غير أن تصل النوبة إلى الشرط .

وكثر الكلام واللفظ بين بني سهم بخصوص تسليم ابن الزبعرى من عدمه فدعا العاص بن وائل بجرمة فأوثق بها ابن الزبعرى ودفعه إلى عتبة بن ربيعة فجاء به مربوطاً ، فأقاموا عند الحجر الأسود وضربوه وحلقوا شعره ، وربطوه إلى صخرة بالحجر ، فاستغاث قومه ، فلم يغيثوه فصار يمدح قصياً ويستعطفهم ويمدح بني عبد مناف وكرمهم وقال :

ألا أبلغا عني قصياً رسالة ... فأنتم سنام المجد من آل غالب
وأنتم ثمال الناس في كل شتوة ... إذا عضهم دهر شديد المناكب
وقد علمت عليا معد بأنكم ... ثمالهم في المضلعات النوائب
فإن تطلقوني تطلقوا ذا قرابة ... ومثن عليكم صادقاً غير كاذب
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة ... وأبلغ أسيداً ذا الندى والمكاسب
وأبلغ أبا العاصس ولا تنس زمعة ... ومطعم لا تنس لجام
الشاغب

بأنكم في العسر واليسر خيرنا ... إذا كان يوم مزمهر
الكواكب^(١).

لَمَّا جَاءَ ابْنُ الزَّبَعْرِى شَعْرُ حَسَّانَ تَهِيّاً لِلْخُرُوجِ فَقَالَ هَيْبَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا ابْنَ عَمِّ.
قَالَ: أَرَدْتُ وَاللَّهِ مُحَمَّدًا. قَالَ أَتُرِيدُ أَنْ تَتَّبِعَهُ؟ قَالَ إِي وَاللَّهِ.

قَالَ : هَيِّرَةٌ يَا لَيْتَ أَنِّي رَافَقْتُ غَيْرَكَ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ مُحَمَّدًا أَبَدًا قَالَ ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ : هُوَ ذَاكَ فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُقِيمُ مَعَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَأَتْرَكَ ابْنَ عَمِّي وَخَيْرَ النَّاسِ وَأَبْرَهُمْ وَمَعَ قَوْمِي وَدَارِي.

فَانْحَدَرَ ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَلَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ قَالَ :

هَذَا ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ ، وَمَعَهُ وَجْهٌ فِيهِ نُورُ الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ شَهِدْتَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ لَقَدْ عَادَيْتُكَ وَأَجَلَبْتَ عَلَيْكَ ، وَرَكِبْتَ الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ وَمَشَيْتَ عَلَى قَدَمِي فِي عِدَاوَتِكَ ، ثُمَّ هَرَبْتَ مِنْكَ إِلَى نَجْرَانَ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَلَّا أَقْرَبَ الْإِسْلَامَ أَبَدًا ، ثُمَّ أَرَادَ بِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ بِخَيْرٍ فَأَلْقَاهُ فِي قَلْبِي وَحَبَبَهُ إِلَيَّ وَذَكَرْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَاتِّبَاعِ مَا لَا يَنْفَعُ ذَا عَقْلٍ مِنْ حَجَرٍ يُعْبَدُ وَيَذْبَحُ لَهُ لَا يَذَرِي مَنْ عَبْدُهُ وَمَنْ لَا يَعْبُدُهُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ" وَأَقَامَ هَيِّرَةً بِنَجْرَانَ وَمَاتَ فِيهَا غَرِيْبًا كَافِرًا^(١).

أَنْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ ، وَالْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ أَعْلَاهُ دَعْوَةُ لِلْمُسْلِمِينَ لِعَدَمِ الْإِنْتِقَامِ أَوْ الثَّأْرِ مِنَ الْكَافِرِ الَّذِي قَتَلَ مُسْلِمًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مُسْلِمٍ ، وَعَدَمُ ذِمَّةِ وَتَوْبِيخِهِ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ لِأَنَّ دَخُولَهُ الْإِسْلَامَ يَمْحُو أَثَرَ هَذَا الذَّنْبِ وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي قَتَلَ فَازَ بِالشَّهَادَةِ.

كُرم عبد الله بن جدعان

ذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لقد كنت استظل بظل جفنة عند الله بن جدعان صكة عمى .
والصكة : شدة الهاجرة ، وتضاف إلى عمى نسبة إلى رجل اسمه عمى من العمالقة أغار على قوم في الظهيرة ففتك بهم .
والجفنة كالقصعة والجمع الجفان والجفئات ، قال تعالى ﴿ وَجَفَّانَ كَأُجُوبٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾^(١).

(قال ابن قتيبة : وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي ، فغرق^(٢) أي مات^(٣)).

وكان عبد الله بن جدعان يطعم الناس التمر والسويق ويسقي اللبن ، ومن يأكل عنده أمية بن أبي الصلت الذي ذهب إلى بني الديان من بني الحارث بن كعب فرأى طعام بني عبد المدان يطعمون لباب البر والعسل والسمن ، فقال أمية يمدحهم ويعرض بعبد الله بن جدعان .

(ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم ... فرأيت أكرمهم بني الديان البر يلبك بالشهاد طعامهم ... لا ما يعللنا بنو جدعان فبلغ شعره عبد الله بن جدعان ، فأرسل ألفي بعير إلى الشام ، تحمل إليه البر والشهد والسمن وجعل منادياً ينادي على الكعبة : أَلَا هَلُمُّوا إِلَى جَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، فَقَالَ أُمِيَّةٌ عِنْدَ ذَلِكَ لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعَلٌ ... وَآخِرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي

(١) سورة سبأ ١٣.

(٢) الأصل غرب أي مات .

(٣) الروض الأنف ١/٢٤٤.

إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا ... لُبَابُ الْبَرِّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ (١).

وعبد الله بن جدعان من قريش ثم من بني تيم (كان له مناديان ينادي أحدهما بأسفل مكة، والآخر بأعلاها، وكان أحدهما سفين بن عبد الأسد، والآخر أبا قحافة، وكان أحدهما ينادي: ألا من أراد اللحم والشحم، فليأت دار ابن جدعان، وينادي الآخر: إن من أراد الفالوذج^(٢)، فليأت دار ابن جدعان، وهو أول من أطعم الفالوذج بمكة^(٣)).

وقد يقال من أين لعبد الله بن جدعان الأموال اللازمة لهذا الأنفاق، الجواب يروى عنه ما يشبه الأسطورة، ولكنها تتضمن وقائع عامة، وهي أنه كان صعلوكاً فقيراً لا يملك شيئاً، ومع هذا كان شريراً فتاكاً يؤذي الناس، ويجني الجنايات فيدفع عنه الديات أبوه وقومه بنو تيم، حتى ضاقوا به ذرعاً، ونفاه أبوه، وحلف أن لا يؤويه ابداً لما أثقله من الغرم والديون، وما سببه له ولعشيرته من المشاكل.

(١) الروض الأنف ٢٤٤/١.

(٢) الفالوذج: حلوى تعمل من الدقيق والعسل والسمن، وسمع الحسن البصري شخصاً يعيب الفالوذج فقال: لباب البر بلباب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم قط.

وحضر أعرابي سفر سليمان بن عبد الملك، فلما أتى بالفالوذج جعل يسرع فيه، فقال سليمان: أتدري ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقاً نهيئاً ومزدرداً ليلاً، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه. قال: فضحك سليمان، وقال: أزيدك منه يا أعرابي، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ؟ قال: كذبوك يا أمير المؤمنين، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل العقد الفريد ٤٥٤/١، والمعروف عن سليمان بن عبد الملك أنه كان أكولا.

(٣) سمط النجوم ٩٦/١.

فخرج عبد الله بن جدعان وهو يومئذ شاب في شباب مكة حائراً ليس عنده مأوى يأوى إليه ، وتمنى نزول الموت به ، فرأى شقاً في جبل ، فظن فيه حية فتعرض للشق عسى أن تلتسه حية من داخل الشق ، ويموت ، ولكن لم تخرج حية أو أفعى ، فدخل في الشق ، وإذا فيه ثعبان له عينان تتقدان كل واحدة منهما كالسراج المضيئ .

فحمل عليه الثعبان ، فأفرج له عبد الله بن جدعان لغريزة البقاء ونسي أنه يطلب الموت فأنساب الثعبان مستديراً إلى موضع مخصوص كالحجرة .

ثم خطى عبد الله بن جدعان خطوة أخرى ، فاقبل عليه الثعبان كالسهم فأفرج عنه ، فأنساب الثعبان من غير أن ينظر إلى عبد الله ، فقد كان نظر الثعبان إلى الأمام باستقامة في كل الأحوال فأحتمل عبد الله بن جدعان أن هذا الثعبان مصنوع وليس حقيقة من قرائن متعددة وهي :

الأول : اتحاد حركة ومسار الثعبان في كل مرة .

الثاني : عودة الثعبان إلى ذات الموضع .

الثالث : إتقاد عيني الثعبان وكأنهما من الجواهر .

الرابع : عدم نظر الثعبان إلى عبد الله بن جدعان عندما يفرج عنه ، إذ كان الثعبان ينظر إلى جهة مستقيمة في كل مرة ، ولا تتحرك عيناه .

فخطى عبد الله بن جدعان خطوة أخرى فهجم الثعبان فانزاح عبد الله قليلاً وأمسكه بيده ، وإذا هو مصنوع من الذهب ، وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه إذ أن الياقوت سعره مرتفع في كل زمان إلى جانب صغر حجمه ، فوضعهما في جيبه (ودخل البيت ، فإذا جث طوال على سرر طوال لم ير مثلهم طولاً وعظماً ، وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجال من ملوك

جرهم، وآخرهم موتاً الحارث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة الذي استأجر من إيراد العشرة الأربعة؛ عليهم ثياب لا يمس منها شيئاً إلا انتشر كالهباء من طول الزمن، وشعر مكتوب في لوح فيه عظات.

وقال ابن هشام: كان اللوح من رخام، وكان فيه: أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي - عليه السلام - عشت خمسمائة عام، وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك، فلما حصلته لم يكن ذلك ينجينني من الموت، وتحتته مكتوب: من الخفيف

قد قطعت البلاد في طلب الثر... وة والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفراً لقفر... بشباي وقوتي واكتسابي
فأصاب الردى بنات فؤادي... بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرّتي وأقصر جهلي... واستراحت عواذلي من
عتابي

ودفعت البيضاء بالحلم لما... نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع... ردّ في الضرع ما قرى في
الحلاب

ثم نظر عبد الله بن جدعان ، فإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ، ثم علم على الشق بعلامة، وأغلق بابه بالحجارة، وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به يسترضيه ويستعطفه، ووصل عشيرته بعد ذلك كلهم فسادهم، وجعل ينفق من ذلك الكنز، ويطعم الناس، ويفعل المعروف. (١).

(١) سمط النجوم عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ت ١١١١ هجرية / سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٩٧/١.

وكانت داره محل اجتماعات عديدة لقريش ، وعبد الله بن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية إذ كان يكثر من شربها ، وسكر ذات ليلة فمد يده إلى القمر فأخبر بما فعل حين صبحا ، فحلف لا يشربها أبداً لأنها تفقد العقل .

ولما كبر وهرم صار قومه بنو تميم يمنعونهم من تبذير ماله ، ويلومونه على كثرة العطاء والجود ، فكان يدعو الرجل من بين الناس ويلطمه لكمة خفيفة ، ويقول : قم فانشد لطمتك وأطلب ديتها ، فاذا سعى في طلب ديته دفعها بنو تميم من مال عبد الله بن جدعان ليتصل كرم وإنفاق عبد الله بن جدعان ، ولكن بطريقة أخرى .

ومع كرم ابن جدعان واعاته للفقراء فانه مات كافراً فلا ينفعه هذا الكرم .

(عن عامر الشعبي ، أن عائشة أم المؤمنين قالت : يا رسول الله ، إن عبد الله بن جدعان ، كان يصل الرحم ، ويَقْرِي الضيف ، ويفكّ العاني ، فهل ذلك نافعه شيئاً ، قال : لا إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين^(١) .

عن ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، عن علقمة ، أن سلمة بن يزيد الجعفي ، قال : يا رسول الله ، إن أمتنا هلك في الجاهلية ، كانت تصل الرحم ، وتَقْرِي الضيف ، وتفعل وتفعل ، فهل ذلك نافعها شيئاً ، قال : لا^(٢) ، مما يدل على أن الذم الوارد في آية البحث للبخلاء خاص بالكفار الذين يسكون الحقوق الشرعية ، ويمتنعون عن دفع الزكاة .

(١) المحرر الوجيز ٢٦٦/٣ .

(٢) تفسير الطبري ٥٥٢/٢٤ .

وذكرنا قصة عبد الله بن جدعان لما فيها من الدروس ، فالكافر وإن كان كريماً ويذل الوسع في إطعام الفقراء فإنه لا يشم رائحة الجنة لأن المدار على الإيمان ، وهل يدخل المؤمن البخل الجنة ، الجواب نعم بفضل من الله ، وجاءت آية البحث بالتحذير من البخل والشح ، والقدر المتيقن منه الإمتناع عن دفع الزكاة والحقوق الشرعية ، كما يشمل البخل في الذكر ، وعن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن السلام ولكنه خارج عن موضوع الآية بالتخصيص .

وعن الإمام علي بن الحسين عن أبيه عليهم السلام قال (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال البخل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

ومن ضروب البخل الإمتناع والتهاون عن السلام والتحية (عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أسرق الناس من سرق صلاته قيل : يا رسول الله ، وكيف يسرق صلاته ، قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وأبخل الناس من بخل بالسلام)^(٢).

بقاء النبي في مكة سلام

تعددت الرواية في مدة بقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة عام الفتح ، وهي : الأولى : أقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة خمس عشرة ليلة^(٣).

الثانية : سبع عشرة ليلة ، عن عكرمة عن ابن عباس.

(١) مسند أحمد ٤/١٦٧.

(٢) المعجم الأوسط ٦/٨.

(٣) البيهقي / السنن الكبرى ١٥١/٢.

الثالثة : ثماني عشرة ليلة ، و(عن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهدت معه الفتح، فأقام ثماني عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول: يا أهل البلد صلوا أربعاً فإننا سفر)^(١)

ووردت رواية أخرى عن ابن عباس ولكنها لم تذكر خصوص فتح مكة ، إنما ذكرت إحدى سفرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَقَامَ سَبْعَ عَشْرَةَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَنَحْنُ إِذَا سَافَرْنَا فَأَقَمْنَا سَبْعَ عَشْرَةَ يَوْمًا وَإِذَا زِدْنَا أَتَمَمْنَا^(٢).

وتسمية ابن عباس خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة بأنه سفر شاهد على أنه لم يقصد الغزو في سفره.

والمراد من التقصير في الروايات أعلاه هو أداء الصلوات التي تتألف من أربع ركعات ركعتين ، وهي :

الأولى : صلاة الظهر.

الثانية : صلاة العصر .

الثالثة : صلاة العشاء.

وفي التخفيف عن المسافر لطف من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾^(٣).

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٥٩٩/٣.

(٢) سنن الدارقطني ١١٥/٤.

(٣) سورة النساء ١٠١.

وتقصير النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة مع أن المدة أكثر من عشرة أيام لأنه لم ينو الإقامة إنما كان ينوي الرحيل كل يوم من جهات :

الأولى : تنظيم شؤون مكة .

الثانية : تنمية ملكة التنزه عن التزلف إلى الأوثان عند عامة أهل مكة .

الثالثة : هدم سلطان رؤساء الكفر والمؤلفة قلوبهم.

الرابعة : التأكيد العملي لولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين للمسجد الحرام ، قال تعالى ﴿ وَمَا لَهُمُ الْآيَاتُ بِهِمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

الخامسة : لحاظ إرتواء الصحابة من جوار البيت الحرام.

السادسة : اعطاء مندوحة للمهاجرين برؤية أهليهم وجيرانهم وأصحابهم ، ليدرك الناس العز الذي ترسخ عن هذه الهجرة مع أنهم هاجروا وهم في خوف وعوز.

السابعة : الإستعداد للدفاع وملاقاة هوازن وثقيف إذ بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم يعدون العدة للحرب وقتاله وأصحابه ، فيرصد النبي الأمر ، ويتابع أخبار العدو وهل خرجوا من الطائف وأين وصلوا خاصة وأن الطائف وهي مسكن هوازن^(٢) وثقيف التي انطلقوا منها لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة حنين .

(١) سورة الأنفال ٣٤.

(٢) وهوازن هو اسم أبو القبيلة ومعناه جمع الطائر اسمه هوزن (أنظر جمهرة اللغة ١٦٦/٢).

وسميت الطائف لقيام ثقيف ببناء حائط حولها في الجاهلية ،
وقيل أنها جاءت من بلاد الشام وطافت بالبيت الحرام استجابة من
الله لدعاء إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١).

وفي الطائف عين تسمى بردى بذات اسم نهر بردى في الشام ،
وطعمها وعذوبتها مثل ماء بردى ، كما أن ثمار الطائف لا تختلف
عن جودة ثمار الشام.

ولشدة ثقيف وأهل الطائف في حماية بلدتهم ، ومنعهم الغير من
دخولها خاصة مع كثرة النعم عندهم ، قاموا ببناء سور حول المدينة
هو كالحصن ، ووردت أخباره في حصار النبي صلى الله عليه وآله
وسلم للطائف

وأشار أبو طالب إلى سور ثقيف بقوله :
مَنْعَنَا أَرْضُنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَمَا امْتَنَعَتْ بِطَائِفِهَا ثَقِيفُ
أَتَاهُمْ مَعْشَرٌ كِي يَسْلُبُوهُمْ فَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ السُّيُوفُ.

قانون دخول النبي (ص) المدينة سلم وسلام

لقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغار ليلة الخميس
غرة شهر ربيع الأول ، وقطع المسافة بين مكة والمدينة في اثنتي عشرة
ليلة.

لقد دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المدينة في
هجرته يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الأولى
للهجرة ، ولأن وصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قباء

الظهيره فانه نزل تحت ظل نخلة (فطفق الناس يأتونه وينظرونه وكان أبو بكر معه في مثل سنه فما كان يعرفه إلا من كان رآه فلما زال الظلم قام أبو بكر فأظله بردائه فعرفه حيثئذ من لم يكن يعرفه)^(١).

وأقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند بني عمرو بن عوف أربعة أيام ، الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس^(٢) ، وقيل أربعة عشر يوماً ، وان الإمام علي عليه السلام لحقه في محل إقامته بعد أن أدى عنه الودائع .

وكان الصحابة يأتون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محل إقامته عند سعد بن خيثمة ، وأول ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو كسر الأصنام فبادروا للإستجابة والإمتثال ، وصاروا يوقدون فيها النار.

وأسس النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسجد قباء وصلى فيه أي أن بناء أول مسجد في الإسلام لم يستغرق أكثر من ثلاثة أيام نعم كان بناء بسيط ليأتي العلم في هذا الزمان أو الزمان الذي يليه فيكون بناء المسجد والدار في ذات المدة مع التباين في سعة ومثانة البناء.

ومن الشواهد على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (لم يغز أحداً) أن أول عمل قام به بعد الهجرة هو بناء مسجد ، وجمع الناس للصلاة فيه ، وهناك تضاد بين الدعوة العامة للصلاة وبين الغزو ، فإن قيل قد يتخذ حضور الصلاة في المسجد مناسبة للجمع للغزو .

(١) البدء والتأريخ ٢٣٩/١.

(٢) الروض الأنف ٢٣١/٢.

والجواب لا دليل عليه ، والوقائع بخلافه كما أن ذكر الله عز وجل برزخ دون الظلم والتعدي ، وقال تعالى (وَأَنِّ السَّاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ^(١).

وقال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ^(٢) أي أن الغاية من الصلاة ذكر الله عز وجل وليس الغزو ، ولا يختص هذا الذكر لله عز وجل بالذي يؤدي الصلاة بل هو دعوة عامة للناس لذكر الله عز وجل سواء بإتيان الصلاة أو التسبيح أو الإقرار بالعبودية لله عز وجل .
ونزل بقاء عند سعد بن خيثمة ، في ديار عمرو بن عوف وقيل نزل على كلثوم بن هدم الأوسي ، وهو شيخ كبير ، مات بعد قدوم النبي بمدة يسيرة ، وهو أول من مات من الأنصار ، ويقع مسجد بقاء في الطرف الجنوبي الغربي للمدينة ، ومسجد بقاء هو أول مسجد من جهات :

الأولى : أول مسجد بُني بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أما البيت الحرام فهو أول مسجد في الأرض .
الثانية : أول مسجد بناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشارك في بنائه بيده .

الثالثة : أول مسجد بُني في المدينة المنورة بعد وصول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لها ، لبيان معجزة للنبي وهي اقتران بناء المسجد مع دخوله المدينة ، وهو من الشواهد على صدق نبوته ، ودليل على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد الغزو ، ولا يسعى للقتال ، إنما يجتهد وأصحابه بالعبادة ، ويذل الوسع

(١) سورة الجن ١٨.

(٢) سورة طه ١٤.

لشيت معالم التوحيد في الأرض ، قال تعالى ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعْدُ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).
ويبعد مسجد قباء عن المسجد النبوي ثلاثة كيلو مترات ونصف
الكيلو متر ، وقيل في مسجد قباء نزل قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدُ أُسَسِّ
عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ
يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن استقر في المدينة
يخرج إلى مسجد قباء كل يوم سبت ماشياً أو راكباً ليصلي فيه ،
ويلتقي بالصحابة الذين في ناحيته ، و(عن ابن عمر قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الاختلاف إلى قباء راكباً
وماشياً .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي وابن ماجه عن سهل بن
حنيف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من خرج
حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان كعدل عمرة)^(٣).
(قُباءٌ وحرَاءُ فقد اختلف فيهما العرب فمنهم من يذكر ويصرف
وذلك أنهم جعلوهما اسمين لمكانين كما جعلوا واسطاً بلداً ومكاناً
من أنث ولم يصرف وجعلهما اسمين لبُعْعَتَيْنِ من الأرض قال
الشاعر:

سَتَعْلَمُ أَيْنَا خَيْرٌ قَدِيماً ... وَأَعْظَمُنَا بَيْطَنَ حِرَاءِ نَارَا
وكذلك أَضَاخُ فَهَذَا أَنْثٌ وَقَالَ غَيْرُهُ فَذَكَرُ:

(١) سورة القصص ٨٧.

(٢) سورة التوبة ٨.

(٣) الدر المنثور ٥/١٦٣.

وَرُبَّ وَجْهِ مِنْ حِرَاءٍ مُنْحَنِي
قال أبو حاتم: التذكير أعرف قال وقبَاء بالمدينة وقبَاء آخر في
طريق مكة فأما قول الشاعر:

فَلَا بَغْتَنَّاكُمْ قُبَاً وَعَوَارِضًا فَهُوَ مَوْضِعُ آخِرٍ^(١).

وعن أبي سعيد قال: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ركب
حماراً إلى قباء يستخير في العمرة والحالة، فأنزل الله لا ميراث
لهما^(٢).

ولم تكن إقامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قباء عند أول
دخوله المدينة إلا أربعة أيام وهي (يوم الإثنين والثلاثاء والإربعاء
والخمس)^(٣).

وغادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قباء صباح يوم الجمعة
متوجهاً إلى وسط مدينة يثرب فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف
، فصلى الجمعة في بطن وادي رانونا، وهي أول جمعة للنبي صلى
الله عليه وآله وسلم في المدينة^(٤)، وصلى في المسجد الذي اتخذوه في
بطن الوادي.

فخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصلى الجمعة فيه وقال
(الحمد لله أحمده وأستعينه واستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره
وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من

(١) المخصص ٢٣٣/٤.

(٢) الدر المنثور ٣/٣١٠.

(٣) مروج الذهب ١/٢٨١.

(٤) أنظر عيون الأثر ١/٢٥٥.

الرسول وقلة من العلم وضلالة من الناس وإنقطاع من الزمان ودنو من الساعة.

وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً .

وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة وإن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذرکم الله من نفسه وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم ، وما كان من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ﴿وَاللَّهُ رُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١) ، والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلق لذلك فإنه يقول ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢) ، واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً .

ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله توقي مقتبه وتوقي عقوبته وتوقي سخطه ، وأن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم

(١) سورة آل عمران ٣٠.

(٢) سورة ق ٢٩.

المسلمين ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١)، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس، وذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم^(٢).

وكانت المدينة تسمى يومئذ يثرب ولم تكن محصورة ومقسمة إلى أحياء وشوارع وطرق مستقيمة إنما كانت حوايط وبساتين وآطام وهي الحصون والقلاع.

وقيل أن سنمار بنى لأصيحة بن الجلاح الأوسي أطمه الضحيان فقال سنمار: اني لأعرف منه حجراً لو زعزع لسقط الحصن، أي أن الحصن مرتكز على هذا الحجر، وفيه تهديد لساكنيه قال أصيحة: أفيعرفه غيرك، قال: لا، قال: فاصعد فارنيه، فصعد فأشرف ليريه الحجر، وقبل أن يريه الحجر، نكسه أحيحه ورمى به من فوق إلى أسفل فمات سنمار.

وذكرت قصص أخرى بخصوص سنمار أشهرها أنه قام ببناء قصر الخورنق والسدير (للنعمان بن قيس، وكمّله في عشرين سنة. فلما وقف عليه النعمان، استجاده وأثنى على سنمار. فقال له سنمار: لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلت. فأمر به أن يُطرح من أعلى شرفاته. فضرب به المثل: جزاني جزاء سنمار^(٣)، لقد أصابت نفس النعمان الغيرة أن ينيي أحسن من قصره.

(١) سورة الأنفال ٤٢.

(٢) الكشف والبيان-للثعلبي ٢٥١/١٢.

(٣) الروض الأنف ١/١٧٧.

والنعمان بن قيس هذا غير النعمان بن المنذر، وفي ذلك يقول الشاعر:

جزّني بنو قيسٍ وما كنت مذنباً ... جزاء سنّمارٍ وما كان ذا ذنبٍ
بنى القصر للنعمان عشرين حجةً ... يعلّ عليه بالقراميد والخشب
فلما استوى البنيان واشتدّ رصفه... وآد كمثل الطود والشامخ الصعب
رمى بسنّمارٍ على أم رأسه ... وذاك لعمرُ الله من أعظم الخطب
ثم ترهب هذا النعمان في الجاهلية، وانخلع عن ملكه، ولبس
المسوح. وفيه قال عدي بن زيد:

وتذكّر ربّ الخورنق إذ فكّ ... ريوما وللهدى تفكيرُ
راقه ماله وكثرة ما يم ... لك والنهر معرضا والسديرُ
فرعوى قلبه وقال وما غب ... طة حيّ إلى الممات يصير^(١) ^(٢).

قانون نتائج نزول الآية القرآنية

لأبد من استحداث علم يقابل علم أسباب النزول ويتعلق بنتائج
النزول لبيان ما يترشح عن نزول الآية القرآن من جهات :

الأولى : الوقائع .

الثانية : الأثر والتأثير .

الثالثة : صلاح النفوس .

الرابعة : إخماس الإرهاب .

الخامسة : نشر معاني المودة والرفقة بين الناس .

(١) ابن فضل العمري / مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ٧٢/١.

(٢) ابن فضل العمري هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى العمري ذكر أنه نسبته ينتهي إلى عبيد الله بن عمر ، ولد في دمشق سنة (٧٠٠هـ - ١٣٠٠م) كتب في تاريخ الأمم ، وعلم الفلك ، والجغرافية والأدب ، وتنقل بين الشام والحجاز والأناضول وغيرها فكتب في الجغرافية والسياسية ، وقرّب به الملك الناصر وتوفى في القاهرة سنة ٧٤٩ هجرية ولم يكمل الخمسين من العمر.

السادسة : فتح باب للأجر والثواب في تلاوة الآيات القرآنية وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قانون في الثواب وهو في قراءة كل حرف من الكلمة القرآنية عشر حسنات .

السابعة : بعث المسلمين للعمل بمضامين الآية القرآنية وإجتناّب الفعل المنهي عنه في القرآن والسنة ، قال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١).

الثامنة : بعث الخوف في قلوب الذين كفروا ، إذ يجعل نزول الآية القرآنية الذين كفروا في ضيق وحسرة ، وهل يبعثهم على الإصرار على محاربة الإسلام.

الجواب لقد تجلّى إصرارهم هذا بسبب إقامتهم على الكفر ومسارعتهم فيه ، وإمتناعهم عن الإقرار بالتوحيد وأداء الفرائض.

التاسعة : دخول طائفة من الناس في الإسلام ، وهو من أسرار توالي نزول القرآن بأن يتدبر الناس في الآية التي تنزل حديثاً ، يجمعون بينها وبين الآيات السابقة ، لتستقرأ من هذا الجمع مسائل عديدة ، وهل يتطلع غير المسلمين الى نزول آيات قرآنية جديدة مدة أيام النبوة سواء قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعدها.

الجواب نعم.

ويمكن القول بعلم جديد وهو نتائج كل آية معجزة ، قال تعالى ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٢) ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) سورة الاسراء ٨٢ .

أَقَوْمٌ^(١) ، وفيه شاهد على نزول القرآن من عند الله ، ومن إحاطة الله الله علماً بكل شئ علمه تعالى بسلطان الآية القرآنية على النفوس ، وموضوعيتها في اصلاح المجتمعات ، والتنزه عن الإرهاب .

ومن أسرار نزول القرآن نجوماً ومتوالياً إمتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عن الهجوم والغزو فلم يدخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلدة عنوة على أهلها ، وحتى أهل الطائف حينما هاجموا النبي وأصحابه في معركة حنين ، والتي تسمى غزوة حنين بمعنى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي غزا فيها بينما كانت هجوماً مباغتاً من قبل هوازن وثقيف ، وليس من بلدة أو قرية اسمها حنين ، إنما هو واد إلى جنب ذي المجاز وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات .

لقد كان فتح مكة انتصاراً حاسماً للإسلام فأرادت بعض القبائل الإجهاز على الإسلام وقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فاجتمعت جيوش المشركين برئاسة مالك بن عوف النضرى .

وكانت جيوشهم تتألف من :

الأول : قبائل من مضر .

الثاني : قبيلة جشم .

الثالث : قبيلة سعد بن بكر .

الرابع : طوائف من بني هلال .

وكانت واقعة حنين في العاشر من شهر شوال من السنة الثامنة

للهجرة ، قال تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿١﴾.

لقد كانت معركة حنين معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهات متعددة ، وهي شاهد على أن المشركين هم الذين قاموا بالغزو والهجوم المباغت والتعدي، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة ومعه اثنا عشر ألفاً وقال مقاتل : كانوا أحد عشر ألفاً وخمسمائة ، وقال الكلبي : كانوا عشرة آلاف .

وكان عدد المشركين من هوازن وثقيف ومن تابعهم ثلاثين ألفاً ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف وهو الرئيس العام للجيش . ورئيس ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفي الذي سبق وان التقى بأبيه وأخوته النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى الطائف إذ دعاهم للإسلام فحرضوا صبيانهم وسفاهم عليه يومئذ وسالت الدماء من قدميه .

وقد وفد عبد ياليل بن عمرو مع وفد ثقيف على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وكان مجموعهم ستة . لقد خشي عبد ياليل أن يذهب إلى المدينة بمفرده وخاف أن تصنع به ثقيف ما صنعوا بعروة بن مسعود .

وهم :

الأول : عبد ياليل بن عمرو .

الثاني : عثمان بن أبي العاص .

الثالث : أوس بن عوف .

الرابع : نمير بن خرسة .

الخامس : الحكم بن عمرو .

السادس : شرحبيل بن غيلان بن سلمه .

(فأسلموا كلهم وحسن إسلامهم وانصرفوا إلى قومهم ثقيف فأسلمت بأسرها)^(١).

لقد التقى الجمعان في حنين ، وقال بعض المسلمين لن نغلب اليوم من قلة ، ومنهم من نسب هذا القول إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

وقيل أن قائله هو سلمة بن سلامة ، والمختار صدوره أو معناه عن بعض المسلمين لقوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٣) ، وقال قتادة : وذكر لنا أن الطلقاء (إنجفلوا) يومئذ بالناس وسأل رجل البراء بن عازب : أفرتم يوم حنين.

فقال : كانت هوازن رماة وإننا لما حملنا عليهم وانكشفوا وأقبلنا على الغنائم ، فاستقبلوا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الكلبي : كان حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس عنهم.

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٠٩/١.

(٢) الكشف والبيان ١٠٧/٦ .

(٣) سورة التوبة ٢٥.

وقال الآخرون : لم يبق يومئذ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير العباس بن عبد المطلب وعلي وأيمن بن أم أيمن ، وقُتل يومئذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطفق رسول الله يركض بغلته نحو الكفار لا يألوا ، وكانت بغلة شهباء أهداها له فروة الجذامي^(١).

وأكثر عدد ذكرته الروايات للذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثمائة إنما كان هذا العدد حينما ناداهم العباس ، ورجعت طائفة من المسلمين ، وحتى على فرض كون هذا العدد هو أقل عدد من المسلمين حول النبي عند اشتداد وهجوم المشركين يوم حنين فإن نجاته من القتل يومئذ إذ هجم عليه ثلاثون ألف رجل من المشركين وأكثرهم رماة وفرسان معجزة في السنة النبوية ، وفيه شاهد بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلب القتال ، ولم يسع للغزو والهجوم .

ويدرك النبي قلة عدد الذين يبقون معه في مواجهة المشركين ، فيجتهد في دفع اللقاء والإمتناع عنه ، ولكن مالك بن عوف الرئيس العام لجيش المشركين أصر عليه ، إذ كان في حسابه العسكري واختياره أوان هجوم جيشه المباغت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهم يمشون آمنين شاكرين لأنعم الله بفتح مكة ، وفاته حضور المعجزة ، ونزول الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

لقد أغاظ المشركين كسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأصنام التي في الكعبة دفعة واحدة وكان عددها ثلاثمائة وستين صنماً ، وكان لكل قبيلة هناك صنم أو أكثر يقدسونه أثناء الحج ، وكأنه سفير ورمز لهم في الكعبة الشريفة.

لقد دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة بكل خضوع وخشوع ، لم يرفع رأسه ، إنما كان منقطعاً إلى التسبيح والثناء على الله ، ولما دخل البيت الحرام (وقف على باب الكعبة وقال : لا إله إلا الله وحده ، وصدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل دم أو ماثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداثة البيت وسقاية الحج. ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ، قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم. قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء) ﴿٢﴾.

وهذا الحديث مرسل ، رواه ابن اسحاق ، ولكنه شائع وتدل عليه وقائع يوم الفتح وأخبار عديدة واعطاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمان لمن دخل بيته ومن دخل المسجد الحرام ، ومن دخل دار أبي سفيان كما روى الحديث الأزرقى قال : حدثنا أبو الوليد قال : حدثني جدي أحمد بن محمد ، وإبراهيم بن محمد الشافعي قالوا : أخبرنا مسلم بن خالد ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن عطاء بن أبي رباح ، والحسن بن أبي الحسن ،

(١) سورة التوبة ٢٥-٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٣٣٢/١.

وطاوس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح البيت ، فصلى فيه ركعتين ثم خرج ، وقد لبط^(١) ، بالناس حول الكعبة ، فأخذ بعضادتي الباب.

فقال : الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ماذا تقولون وماذا تظنون ، قالوا : نقول خيرا ونظن خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت فأسجح^(٢) ، قال : فياني أقول كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَرْيِبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَمُؤَارَاحِمُ الرَّاحِيقِينَ﴾^(٣) ، ألا إن كل ربا كان في الجاهلية أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين إلا سداة^(٤) الكعبة ، وسقاية الحاج^(٥) ، فياني قد أمضيتهما لأهلها على ما كانتا عليه ، ألا إن الله سبحانه وتعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائها ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا وفي قتل العصا والسوط الخطأ شبه العمد الدية مغلظة مائة ناقة ، منها أربعون في بطونها أولادها ، ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرام الله سبحانه ، لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، قال : يقصرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، لا ينفر صيدها ، ولا تعضد عضائها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ، ولا يختلى خلاها ، فقال

(١) لبط : أي صرع وسقط على الأرض.

(٢) أسجح : أحسن وأرفق.

(٣) سورة يوسف ٩٢.

(٤) سداة الكعبة : خدمة الكعبة.

(٥) أي سقي وفد الحاج من ماء زمزم والقاء الزبيب فيه ليكون عذبا.

له العباس وكان شيخا مجربا : يا رسول الله ، إلا الإذخر ، فإنه لا بد منه للقين^(١)، ولظهور البيت.

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال : إلا الإذخر فإنه حلال .

قال : فلما هبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث مناديا ينادي : ألا لا وصية لوارث ، وإن الولد للفراش^(٢)، وللعاهر الحجر^(٣)، وإنه لا يحل لامرأة أن تعطي شيئا من مالها إلا بإذن زوجها^(٤).

وهو مرسل ، وفي سنده مسلم بن خالد ونعت بانه صدوق كثير الأوهام وروى شطر من الحديث بسند صحيح عن جابر الأنصاري قال الفاكهي (حدثنا عبد الرحمن بن يونس السراج ، ويعقوب بن حميد ، قالا : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رقي على الصفا حتى رأى البيت ، فكبر الله تعالى ووحده ، وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك وقال : فعل هذا ثلاث مرات حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا^(٥)).

(١) أي الحداد .

(٢) أي للزوج .

(٣) أي الزاني أو الزانية أي عقوبة الرجم مع ثبوت الزنا بأربعة شهود وفق شروط خاصة أو الإقرار .

(٤) الأزرقى / أخبار مكة ٢/٢٣٢ .

(٥) الفاكهي / أخبار مكة ٤/٥٥ .

لقد ابتدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتكبير والتهليل وهو من الشكر لله عز وجل على تنزيه البيت الحرام من الأوثان وفيه تأديب لقريش ، ومن عمومات قوله تعالى ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١) ، ومن معانيها أن البيت لابد وأن يتطهر من دنس الشرك ومفاهيم الضلالة ، وأن نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاجة لإستدامة تطهير البيت الحرام إلى يوم القيامة.

ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نصر الله له بفتح مكة بصفة العبودية لله عز وجل ، ومن غير غزو ، وفي آية الإسراء قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾^(٢).

وقول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وهزم الأحزاب وحده) شاهد على أن النبي لم يبدأ القتال ، وأنه لم يقصد قوماً لقتالهم ، ونسب النصر لله عز وجل .

وهل في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهزيمة الأحزاب في الحديث إشارة ومقدمة لهزيمة هوازن وثقيف بمدد وعون من عند الله عز وجل الجواب نعم ، إذ وقعت معركة حنين بعد فتح مكة بنحو شهر.

وقال ابن السني (أخبرنا أبو محمد بن صاعد ، ثنا العباس بن محمد ، ثنا محمد بن سنان ، ثنا عبد الله بن المؤمل ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة الاسراء ١.

وآله وسلم بين الركن والمقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما يقول في قریش ، فيقولون : ابن ، وابن أخ ، قال : أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين^(١).

وقيل سنده ضعيف بعبد الله بن المؤمل ولكن هذه الأحاديث يعضد بعضها بعضاً إلى جانب الشهرة الروائية ، وتواتر الأخبار التي تتعلق بتفاصيل فتح مكة .

ونعت الطلقاء ثابت في السنة النبوية وهم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة واللقاء جمع طليق وهو فعيل بمعنى مفعول ، وهو أعم من الأسير وبينهما عموم وخصوص مطلق .

وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المهاجرون بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة ، واللقاء من قریش ، والعقاء من ثقيف ، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة^(٢).

وكان عدد جيش المشركين يومئذ ثلاثين ألفاً^(٣).

ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يكن معه عندما إنهزم أكثر أصحابه سوى ثلاثمائة صحابي وأقل من هذا العدد عند بدايات هوازن هجومها المباغت وذكر أنهم ثلاثة فقط مع أن جيش المشركين بكامل عدده وعدته في بدايات القتال إذ أنهم داهموا المسلمين .

(١) عمل اليوم والليلة ١٠٤/٢.

(٢) الدر المنثور ٢/٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٦/٣.

وعن قتادة : ويقال إن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين ، واستنصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله عز وجل وأخذ قبضة من تراب وحصو ، فرمى بها وجوه الكفار ، وقال : شأهت الوجوه ، وقال عبد الرحمن : تناول من فرسه فأخذ قبضة التراب ونزلت الملائكة لنصره ونادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا للأنصار ، وأمر رسول الله عليه وسلم العباس أن ينادي أين أصحاب الشجرة أين أصحاب سورة البقرة ، فرجع الناس عنقاً واحداً^(١) وانهزم المشركون ، قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم قالوا لم يبق منا أحد إلا دخل في عينيه من ذلك التراب^(٢).

ومثلما بدأ نزول القرآن بالأمر بالعلم والتلاوة ، بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ﴾^(٣) ، وقيد الله هذه القراءة بانها باسم الله بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤) ، لبيان أن الدنيا دار علم ومعارف إيمانية فان فان دخول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة بدأ بالعفو ليشمل هذا العفو والصفح يوم الفتح كلاً من :
الأول : الذين فرضوا الحصار على بني هاشم لثلاث سنوات في مكة.

الثاني : الذين آذوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في شخصه.

(١) أي يتبع بعضهم بعضاً.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٣٦ .

(٣) سورة العلق ١.

(٤) سورة العلق ١.

الثالث : الذين أكثروا من ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو رميه بالجنون ، ونعتوه بأنه ساحر.

الرابع : الذين عذبوا طائفة من الصحابة ، حتى مات بعضهم تحت تعذيب قريش مثل سمية أم عمار بن ياسر.

الخامس : الكفار الذين جهزوا الجيوش في معركة بدر ومعركة أحد ، والخنديق ، قال تعالى بخصوص مقدمات معركة أحد ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمْتَتُونَ أَلْمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١).

السادس : الذين قتلوا المسلمين في معارك الإسلام ، إذ كان عدد قتلى المسلمين في تلك المعارك :

الأولى : استشهد من المسلمين في معركة بدر أربعة عشر ، وهم :
الأول : عبيدة بن الحرث.

الثاني : عمير بن أبى وقاص وكان عمره ستة عشر أو سبعة عشر عاماً.

الثالث : عمير بن الحمام من بنى سلمة من الانصار.

الرابع : سعد بن خيثمة من بنى عمرو بن عوف من الاوس.

الخامس : ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى حليف ببنى زهرة.

السادس : مبشر بن عبد المنذر من بنى عمرو بن عوف.

السابع : عاقل بن البكير الليثي.

الثامن : مهجع مولى عمر حليفاً بنى عدى.

التاسع : صفوان بن بيضاء الفهري.

العاشر : يزيد بن الحرث من بنى الحرث بن الخزرج.

الحادي عشر : رافع ابن المعلى وفد تقدم الخلاف في اخيه هلال.

الثاني عشر : حارثة بن سراقة من بنى النجار.

الثالث عشر : عوف بن عفراء .

الرابع عشر : معوذ ابن عفراء.

اربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار: ستة من الخزرج واثنان من الاوس ، وقتل من المشركين يومئذ سبعون وأسر سبعون^(١).

الثانية : استشهد اثنان من المسلمين في غزو المشركين لأطراف المدينة في السوق ، أو قرفة الكبرى.

الثالثة : استشهد سبعون من المهاجرين والأنصار في معركة أحد.

الرابعة : عدد قتلى المسلمين في معركة الخندق ستة شهداء.

وقيل عددهم تسعة وهم :

الأول : سعد بن معاذ سيد الأوس وحامل لوائهم يوم الخندق

الثاني : أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن

عامر بن زاعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن

مالك بن الأوس وزاعورا هو أخو عبد الأشهل كذا نسبه ابن

الكلبي وهو أخو مالك وعمير والحارث بني أوس. قال ابن الأثير :

شهد أحداً وقتل يوم الخندق" قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب :

رماه خالد بن الوليد بسهم فقتله ولم يشهد بداراً ، وذلك بدليل ما

أورده الهيثمي حيث قال : عن ابن شهاب قال استشهد يوم الخندق

من الأنصار أنس بن معاذ بن أوس بن عبد عمرو... الخ" ثم قال :

رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وقال ابن سعد : وكان فيمن قتل أيضاً في أيام الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني عبد الأشهل قتله خالد بن الوليد.

الثالث : عبد الله بن سهل الأشهلي :

قال ابن الأثير : عبد الله بن سهل بن رافع الأنصاري ثم الأشهلي من بني زعوراء بن عبد الأشهل وقيل أنه من غسان وهو حليف لبني عبد الأشهل ، وقال : ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة فيمن شهد بداراً من الأنصار من بني عبد الأشهل وحلفائهم ثم قال مرة أخرى وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل من المسلمين يوم الخندق عبد الله بن سهل من بني عبد الأشهل والله أعلم.

الرابع : ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي شهد العقبة في البيعتين وشهد بداراً وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة .

قتل يوم الخندق شهيداً قاله ابن إسحاق قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وقد روى الزهري أثراً مرسلاً ونصه : "استشهد يوم الخندق من الأنصار أنس بن معاذ ... إلى قوله ... ومن الأنصار ثم من بني سلمة ثعلبة بن غنمة.

وقد ذكره ابن سعد وهناك جاء اسمه ثعلبة بن عنمة بالعين المهملة . كما ذكر ذلك ابن كثير وجاء في اسمه ثعلبة بن غنمة بالغين المعجمة والنون.

الخامس : طفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي عقي بدري استشهد يوم الخندق هذا ما قاله ابن الأثير . وذكره ابن كثير أيضاً ولم يذكره ابن سعد أثناء ذكره لمن استشهد ولكنه ذكره في طبقات البدرين من الأنصار وأن الذي قتله يوم الخندق هو وحشي.

السادس : كعب بن زيد النجاري : قال ابن الأثير : شهد بدرأ قاله ابن شهاب وابن إسحاق وابن الكلبي " وقال ابن الكلبي : "قتل يوم الخندق" وقال الواقدي : "قتله ضرار بن الخطاب يوم الخندق وبه قال ابن سعد" وقال ابن إسحاق : "أصابه سهم غرب يوم الخندق فقتله" ويقول ابن إسحاق هذا قال ابن كثير.

قال ابن الأثير : ويذكرون أن الذي أصابه أمية بن ربيعة بن صخر الدؤلي وكان قد نجا يوم بئر معونة.

السابع : سليط وسفيان بن عوف الأسلمي . وساق البزار حديثاً بسنده وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سليطاً وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب فخرجوا حتى إذا كانا بالبيداء التفت عليهما خيل لأبي سفيان فقاتلا حتى قتلا فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنا في قبر واحد فهما الشهيدان القرينان .

وقال الهيثمي : رواه البزار وفيه جماعة لم أعرفهم وقال حبيب الرحمن الأعظمي قلت : وقال الحافظ في الإصابة : في سنده من لا يعرف.

وقد تفرد ابن دريد بقوله : ومنهم سنان بن صيفي الخزرجي شهد بدرأ والعقبة وقتل يوم الخندق.

ثانياً : القتلى من المشركين :

رغم كثرة المناوشات التي قامت بها جموع الأحزاب وكثرة عددهم وعدتهم ، فقد قتل منهم ثلاثة فقط ، وقيل أربعة وهم :

الأول : من بني عبد الدار : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار. أصابه سهم فمات منه بمكة.

وقال ابن هشام هو : عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق.

الثاني : ومن بني مخزوم : نوفل بن عبد الله بن المغيرة.

اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك قال في تاريخ الخميس: "وفي روضة الأحباب: اقتحم الخندق نوفل حين الفرار فسقط فيه فرماه المسلمون بالحجارة فصرخ يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه.

وقد تقدم الخلاف في قاتله ف قيل إنه بعد تورطه وصراخه قتله علي عليه السلام ، وقيل إن الزبير قتله مبارزة وعلى كلا الحالين فقد هلك ، ولأهميته لدى المشركين فقد بعثوا لشراء جسده ليدفنوه فأعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إياه ، وقال لا خير في جسده ولا في ثمنه.

الثالث : ومن بني عامر : عمرو بن عبد ود العامري. قتله علي مبارزة .

هؤلاء الثلاثة أتفق أهل المغازي والسير على إيرادهم في القتلى والقائلون بذلك هم : ابن إسحاق وابن سعد وابن جرير وابن الأثير وابن كثير حسل بن عمرو. انفرد بذكره ابن هشام حيث قال: وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو^(١).

وفي معركة حنين ومع كثرة الجيوش وشدتها وسرعتها ، وكثرة الرماح والسيوف التي شهرت فيها فقد كان عدد القتلى قليلاً إذ كان عدد الشهداء أربعة ، وعدد قتلى المشركين عشرة وهو من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصرف شرور الحرب عن المسلمين والناس جميعاً ، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ

لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، ويحتمل موضوعية نزول الملائكة يومئذ وجوهاً :

الأول : قلة قتلى المسلمين ببركة نزول الملائكة لنصرتهم.

الثاني : قلة قتلى المشركين.

الثالث : زيادة قتلى المشركين ، قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٢﴾.

الرابع : ليس من موضوعية لنزول الملائكة بخصوص عدد القتلى كثرة أو قلة.

والصحيح هو الأول والثاني أعلاه ، ولما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ ، فمن مصاديق الرحمة في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : الصبر على أذى المشركين.

الثاني : حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مسارعة الذين كفروا في مسالك الضلالة واختيارهم الإقامة على الجحود وكثرة المعاصي والتي لا تجلب لهم إلا الخزي في النشأتين إلى أن نزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٤﴾.

(١) سورة البقرة ٢١٦.

(٢) سورة الأنفال ١٢.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة النمل ٧٠.

ومن إعجاز القرآن خلوه من الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالحزن فليس فيه (أحزن) أو (احزنوا) إنما جاء القرآن بالنهي عن الحزن ، قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١) ، لبيان انتفاء أسباب الحزن والكآبة عند المسلمين ، قال تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢).

كما ورد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صاحبه في الغار عن الحزن بقوله تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣) ، لبيان أن الدين السماوي دين الرحمة والغبطة والسعادة .

وقال تعالى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٤) ، إذ يفرح المؤمنون بالمنهاج القويم الذي هم عليه ، ويستبشرون بحسن العاقبة التي تنتظرهم ، والنعيم الذي أعدّه الله عز وجل لهم ، وأما أهل الضلالة والفسوق فقد زين لهم الشيطان والنفس الأمارة بالسوء قبيح أفعالهم وما رزقهم الله من النعم التي هي إملاء لهم .

ولم يتركهم الله عز وجل وشأنهم وافتتانهم بضلاتهم ، بل بعث الأنبياء ، وتوالت عليهم الآيات الكونية ، ومعجزات النبوة تدعوهم للإيمان ، ويحزن عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يهلكون أنفسهم بالإصرار على الكفر ، والإنغماس بالرديلة ، والإمتناع عن الإنقياد لدعوة الحق والهدى .

(١) سورة آل عمران ١٣٩.

(٢) سورة يونس ٥٨.

(٣) سورة التوبة ٤٠.

(٤) سورة المؤمنون ٥٣.

وجاءت آية البحث لإنذارهم ، وطرده الغفلة عنهم ، فمن فرحهم بخلاصهم وعدم دفعهم الحقوق التي عليهم ، وقال تعالى ﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

قانون تعاضد آيات الأحكام

لقد نزل القرآن بالفرائض العبادية بأداء الصلاة وإتيان الزكاة وصيام شهر رمضان ، وحج البيت الحرام ، ومن إعجاز القرآن مجئ آية بوجوب الصيام بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٢).

ثم تأتي آية أخرى تبين مدة أيام الصوم وحصرها بين هلال رمضان وشوال ، وكيف أن موضوع الصيام خاص بالإمتناع عن الأكل والشرب والجماع مع الإستثناء قال تعالى ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

وتدل الآية أعلاه على قانون وهو من وجوه تعاضد آيات الأحكام التخفيف عن المسلمين والمسلمات في أدائها، وجاءت السنة النبوية لبيان وتأكيده أحكام الصيام .

وهل التهاون والتفريط في أداء الفرائض البدنية من الصلاة والصوم ، من البخل المذموم الذي ذكر بقوله تعالى

(١) سورة الحجر ٣.

(٢) سورة البقرة ١٨٣.

(٣) سورة البقرة ١٨٤.

﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاعُونَ بَنَاتَهُمُ اللَّهُ﴾^(١)، أم أن القدر المتيقن منه ما يجب أو يستحب على العبد دفعه وإخراجه ، الذي هو من العنوان المستقل .

المختار هو الأول ، إذ أن أداء الفرائض والعبادات واجب وفيه بذل للجهد والوقت في طاعة الله لذا سميت بالتكاليف أما الإمتناع عن أدائها والتكاسل عنها فهو بخل وشح ، قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٢).

و(عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أقل الناس راحة البخل، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه)^(٣).

وما آتى الله عز وجل الناس من العافية والصحة وطول الأعمار لعمارة الأرض بالعبادة وسنن الصلاح فضل ولطف وإحسان منه تعالى.

وهل ينتفع الذي يتخلف عن أداء الفرائض والعبادات من الوقت والمال الذي صار فائضاً عنده بمقدار أداء الفرائض ، الجواب لا ، إذ يظن الممتنع عن الفرائض أن هذا الإمتناع خير له ، وقد قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾^(٤) وقد تقدم البيان في الجزء السابق .

(١) سورة آل عمران ١٨٠.

(٢) سورة الماعون ٤-٥.

(٣) البحار ٣٠٠/٧٠.

(٤) أنظر الجزء الرابع والثمانين بعد المائة الذي إختص بتفسير الآية أعلاه .

مدح الأعشى للنبي (ص)

لقد تغنى الشعراء بمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكرمه،
ومنهم من لم يره ، كأعشى قيس وهو من أصحاب المعلقات ومطلع
معلقته هو

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ، ... وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي؟
دَمْنَةُ قَفْرَةٍ تَعَاوَرَهَا الصَّبِي ... فُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبَاصٍ وَشَمَالِ
لَاتَ هُنَا ذِكْرَى جُبَيْرَةٍ، أَوْ مِنْ ... جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ^(١).

وموضوع هذه القصيدة هو أن الأسود بن المنذر (غزا الحليفين
أسداً وذيان ثم أغار على الطف فأصاب نعماً وسبي من بني ضبيعة
بن قيس بن ثعلبة والأعشى غائب، فلما قدم وجد الحي مباحاً فأتاه
فأنشده وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ففعل، فأنشده الأعشى
قصيدته^(٢)).

وبعد البعثة النبوية ، وهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
جاء الأعشى يريد لقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخول
الإسلام ، وقد مدحه طوعية إقراراً بنبوته ولشيوخ معجزاته، إن
مجيء كبار الأدباء والأشراف إلى المدينة ودخولهم الإسلام طوعية
شاهد على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكره أحداً على
دخول الإسلام ولم يغز الناس في قراهم ومدنهم، ثم إن الذي يريد
أن يدخل الإسلام يتفاخر بهذه النية، ويجاهر بها، وقد حضر
الأعشى في بلاط الملوك واتصل بحواشيهم ورجالات الملك واستمع
منهم ونظر فيما يعتقدون فاختار الإسلام .

(١) جمهرة أشعار العرب ١/٣٥.

(٢) الميمنى / سمط اللاكلى ١/٨٠.

وهل دخول هؤلاء الأعلام الإسلام إبتداء منهم معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الجواب نعم، خاصة وأنه لم يعطهم الأموال والهبات، إنما يأمرهم بأداء الفرائض العبادية قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

ولد الأعشى سنة سنة (٥٧٠) ميلادية وهو من أشهر من لعب بألفاظ اللغة العربية ، وكان الملوك يقدون إليه ليستمعوا إلى شعره ويفد عليهم بتجارته من الشعر ، وعندما انتشرت أخبار معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنصت الأعشى لآيات القرآن أدرك أنها ليست من كلام العرب، وأنها فوق كلام البشر، وأنها معصومة من التبديل والتغيير فيها، خاصة وأن الأعشى من فحول شعراء الجاهلية فجاء إلى مكة يريد الذهاب إلى المدينة ليلتقي النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل الإسلام فتصدى له بعض مشركي قريش ، وقيل مرّ على أبي سفيان ، فسأله عن الجهة التي جاء منها فأخبره ، ثم سأله عن الجهة التي يقصدها ؟

فقال الأعشى : أريد محمداً فقال إنه يحرم عليك الزنا فقال قد تركني الزنا ولم أتركه أي أنه كبر وصار عاجزاً عن الزنا والوطئ .
(فقال أبو سفيان: إنه يحرم عليك الخمر والزنا والقمار، فقال: أما الزنا فقد تركني ولم أتركه، وأما الخمر فقد قضيت منها وطراً، وأما القمار فلعلي أصيب منه خلفاً .

قال: فهل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: بيننا وبينه هدنة، فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء، فإن ظهر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا به كنت قد أصبت عوضاً من رحلتك .

فرضي وقال: لا أبالي، فانطلق به أبو سفيان إلى منزله، وجمع إليه أصحابه.

وقال: يا معشر قريش! هذا أعشى قيس، وقد علمتم شعره، ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم العرب قاطبةً بشعره، فجمعوا له مائة ناقة حمراء، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بغيره فقتله.

ويسمى صناجة العرب لأنه أول من ذكر الصنج في شعره وقيل (لجودة شعره^(١))، فقال:

وَمُسْتَجِيبٌ لَصَوْتِ الصَّنَجِ تَسْمَعُهُ ... إِذَا تُرْجِعُ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ
شبه العود بالصنج^(٢).

وكان الأعشى يفد على ملوك فارس، ولذلك كثرت الفارسية في شعره، كقوله:

فَلأَشْرَبَنَّ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيًا ... وَثَمَانِ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
مِنْ قَهْوَةٍ بَاتَتْ بِفَارِسٍ صَفْوَةٍ ... تَدْعُ الْفَتَى مَلَكًا يَمِيلُ مُصْرَعًا
بِالْجُلْسَانِ وَطِيبَ أَرْدَانِهِ ... بِالْوَنِ يَضْرِبُ لِي يَكْرُ الْإِصْبَعَا
وَالنَّائِي نَرَمَ وَبَرِّطَ ذِي بُحَّةٍ ... وَالصَّنَجُ يَنْكِي شَجْوَهُ أَنْ يُوضَعَا
وسمعه كسرى يوماً ينشد، فقال: من هذا؟ فقالوا: اسروذ كويذتازي،
أي مغني العرب، فأنشد:

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُرَّقُ ... وَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِي مَعَشَقُ
فقال كسرى: فسروا لنا ما قال.

(١) جمهرة العرب ١/٢٣٨.

(٢) الصنج: فارسي معرب، وهو على قسمين:

الأول: لوحان دائريان من الصفر يضرب أحدهما بالآخر وهو الذي تعرفه العرب.

الثاني: الصنج آلة ذات أوتار وهو العود.

فقالوا: ذكر أنه سهر من غير سقم ولا عشق! فقال كسرى: إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص^(١). وعلى فرض صحة الخبر فإن تفسير كسرى من مقام السلطنة والعناية بالأمن العام.

وكان الأعشى يفد على ملوك الحيرة ويلقى شعره ويحظى بالإكرام، ويجعل هذا الوفود لصاحبه شأنًا بين الناس، وفي رواية أن الذي اعترض الأعشى في طريقه إلى مكة أبو جهل، وأخرى على الإبهام، وأنه بعض مشركي قريش، فقال له أن محمداً يحرم الزنا لإرادة منعه من الذهاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخول الإسلام، فقال الأعشى: ليس لي في الزنا أرب.

(فقال يا أبا بصير فانه يحرم الخمر قال الاعشى اما هذه فو الله ان في النفس لعلالات منها ولكني منصرف فأرتوي منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

ومع أن الأعشى لم يصل إلى المدينة، ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه جاء يحمل معه قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي ارقى وأسمى من معلقته، إذ يقول في قصيدة المدح هذه:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهِّدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةَ مُهَدِّدَا
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ ... إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَايَ عَادَ ، فَافْسَدَا
كُهُولًا وَشَبَابًا فَقَدْتَ وَثْرَتَهُ ... فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْدَ تَرَدَّدَا

(١) الشعر والشعراء / ابن قتيبة ٤٩/١.

(٢) عيون الأثر ١٨٤/١.

وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مَذْأَنَا يَافَعٌ ... وَلَيْدًا وَكَهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدًا
وَأَبْتَدَلُ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَعْتَلِي ... مَسَافَةً مَا بَيْنَ النَّجِيرِ فَصْرَخْدًا
أَلَا أَيُّهَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَمْتُ ... فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدًا
فَإِنَّ تَسْأَلِي عَنِّي ، فَيَا رَبَّ سَائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدًا
أَجَدْتُ بِرَجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَرَاجَعْتُ ... يَدَاهَا خَنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدًا
وَفِيهَا - إِذَا مَا هَجَرْتُ - عَجْرَفِيَّةٌ ^(١) ... إِذَا خَلْتُ حَرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصِيدًا
وَأَلَيْتُ لَا أَوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ... وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تَلْقَا مُحَمَّدًا
مَتَى مَا تَنَاحَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ .. تَرَا حِي ، وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى
نَبِيًّا يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ ... أَغَارَ لِعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدًا
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغَبُّ وَنَائِلٌ ... وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدًا
أَجْدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى ، وَأَشْهَدًا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى ... وَلَقَائِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... فَتَرْصِدُ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدًا
فَيَاكَ وَالْمَيِّتَاتُ لَا تَقْرَبْنَهَا ... وَلَا تَأْخُذْنَ سَهْمًا حَدِيدًا ، لَتَنْصُدَا
وَذَا النَّصْبَ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكْنَهُ ... وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا
وَلَا تَقْرَبِينَ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا ... عَلَيْكَ حَرَامًا فَانْحَكْنَ أَوْ تَأْبُدَا ^(٢)
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعْنَهُ ... لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرِ الْمُقَيَّدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى ... وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ
فَاحْمَدًا

وَلَا تَسْخَرَا مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ ... وَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدًا ^(٣).

(١) العجرفية : الجفوة في الكلام ، وخرق في العمل .

(٢) أي أما أن تتزوجها شرعاً أو تبتعد عنها وتركها تعففاً .

(٣) الروض الأنف ١٧١/٢ .

ومن رسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تتعلق ببيان
نصب الزكاة وما ينفي البخل عن المسلمين ، فمن خصائص آية
البحث أنها مدد وعون للمسلمين لدفع الزكاة والخمس .
وفي مدح الشعراء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم موعظة
وشواهد تاريخية للوقائع ، وتفسير عملي لقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) .

وأعشى قيس غير الأعشى الشاعر المازني وهو عبد الله الأطول
الذي

(كانت عنده امرأة يقال لها معاذا فخرج يميز أهله من هجر
فهربت امرأته بعده ناشزة عليه فعاذت برجل منهم يقال له مطرف
بن نهصل فجعلها خلف ظهره .

فلما قدم الأعشى لم يجدها في بيته وأخبر أنها نشزت وأنها
عاذت بمطرف بن نهصل فأتاه فقال له : يا ابن العم عندك امرأتي
معاذا فادفعها إلي فقال : ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها
إليك وكان مطرف أعز منه .

فخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعاذ به وأنشأ
يقول :

يا سيد الناس وديان العرب ... أشكو إليك ذربة من الذرب
كالذئبة العسلاء في كل السرب
خرجت أبغيها الطعام في رجب ... فخلفتني بتزاع وحرب
أخلفت العهد ولطت بالذنب ... وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هن شر غالب لمن غلب . وشكا إليه امرأته وما صنعت وأنها عند رجل منهم يقال له مطرف بن نهصل فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مطرف : انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه فأتاه بكتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه فقال لها : يا معاذة هذا كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيك وأنا دافعك إليه .

فقالت خذ لي العهد والميثاق وذمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا يعاقبني فيما صنعت فأخذ لها ذلك ودفعها إليه فأنشأ يقول:

لعمرك ما حبي معاذة بالذي ... يغيره الواشي ولا قدم العهد ولا سوء ما جاءت به إذا أزالها ... غواة رجال إذ ينادونها بعدي^(١) . ويدل الخبر أعلاه أن كتب ورسائل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تختص بالملوك والأمراء ، فقد يكتب للأفراد في مسائل شخصية وعائلية .

سرية الرجيع

(عُضْل والقارة)

الرجيع موضع على بعد ثمانية أميال من عسفان ، ووقعت حوادث هذه السرية في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة وبعد واقعة أحد ، وفي سبب سرية الرجيع وجوه :

الأول : ما ذكره البخاري عن أبي هريرة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية عيوناً إلى مكة ليأتوه بخبر قريش .

الثاني : ما ذكره ابن اسحاق وابن سعد ومحمد بن عمر أن بني لحيان من هذيل بعد مقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي بعثوا إلى

عضل والقارة وهم حيان من خزيمة للتواطئ معهم على الغدر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فجعلوا للعضل والقارة جعلاً وفرائض إذا قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلموه واستدرجوا بعض أصحابه .

فسألهم الرجال من عضل والقارة : وإذا استدرجنا لكم رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماذا تفعلوه بهم .
قالوا : نقتل من أردنا منهم ونسير بالآخرين إلى قريش بمكة ، فنبيعهم عليهم ، فليس أحب إلى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد ليمثلوا بهم ويقتلوه ثم ثأراً وانتقاماً للرجال من قريش الذين قتلوا في معركة بدر .

فرضيت عضل والقارة بهذا العرض ، وطمعوا في المال ، ترى لماذا لم يذهب بنو لحيان أنفسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتظاهرون بالإسلام ويسألونه بأن يرسل معهم عدداً من أصحابه ليتفقهوا في الدين .

الجواب لإحتراز المسلمين منهم بعد مقتل سفيان بن خالد الهذلي في سرية عبد الله بن أنيس وهي السرية التي تتألف من شخص واحد والمقصود منها شخص واحد أيضاً ، والتي وقعت في شهر محرم من السنة الرابعة للهجرة كما تقدم بيانه تفصيلاً^(١).

الثالث : جاء رهط من عضل والقارة وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة وسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث معهم نفرًا من أصحابه ليقرأوا عليهم القرآن ، ويعلموهم شرائع الإسلام ، ولما صاروا عند الرجيع وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدر الهداة غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلًا فاحاط بهم نحو مائة رجل وقيل مائتين.

(١) أنظر الجزء الثالث والثمانين بعد المائة من هذا السفر الصفحات ٣٤-٦٤.

والفرق بين الوجه الثاني والثالث أعلاه أنهم في الوجه الثالث أعلاه لم يكونوا ينوون الغدر من البداية.

ويمكن التدبر في شعر حسان بن ثابت وغيره من الصحابة بخصوص هذه الواقعة ، وثبوت الغدر فيها من البداية .

وعن ابن اسحاق قال حسان بن ثابت يهجو هذيلًا:
سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولِ اللَّهِ فَاحِشَةً ... ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصَبِّ
سَأَلُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُعْطِيَهُمْ ... حَتَّى الْمَمَاتِ وَكَانُوا سَبَّةً^(١) الْعَرَبِ
وَلَنْ تَرَى لَهُذَيْلَ دَاعِيًا أَبَدًا ... يَدْعُو لِمَكْرَمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرْبِ
لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفَحْشِ وَيَجْهَمُ ... وَأَنْ يَحِلُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا :

لَعَمْرِي لَقَدْ شَأَتْ هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكٍ... أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خَيْبٍ وَعَاصِمٍ
أَحَادِيثُ لِحْيَانٍ صَلُّوا بِقِيحِهَا ... وَلِحْيَانٍ جَرَامُونَ شَرِّ الْجَرَائِمِ
أَنَاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنْ صَمِيمِهِمْ ... بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبَرِ الْقَوَادِمِ
هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ ... أُمَاتُهُمْ ذَا عَفَّةٍ وَمَكَارِمِ
رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ ... هُذَيْلٌ تَوْفَى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النُّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ ... بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْجَرَائِمِ
أَبَايِلُ دُبَرِ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ ... حَمَتِ لَحْمِ شَهَادِ عِظَامِ الْمَلَا حِمِ
لَعَلَّ هُذَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمُصَابِهِ ... مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامًا لِمَاتِمِ
وَنُوقِعُ فِيهِمْ وَقْعَةَ ذَاتِ صَوْلَةٍ ... يُوَافِي بِهَا الرِّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ ... رَأَى رَأْيَ ذِي حَزْمٍ بِلِحْيَانِ عَالِمِ
قَبِيلَةٍ لَيْسَ الْوَفَاءُ يَهْمُهُمْ ... وَإِنْ ظَلَمُوا ثُمَّ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ ... بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْمَخَارِمِ^(٢)

(١) السبة : العار ، العين ٥٣/٢.

(٢) المخارم : جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل (وهي أفواه الفجاج. وعين ذات مخارم، أي ذات مخارج) الصحاح في اللغة ١٧٠/١.

مَحْلُهُمْ دَارَ الْبُورِ وَرَأَيْهُمْ ... إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأَى الْبَهَائِمِ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَهْجُو هَذِيلًا :

لَحَى اللَّهُ لَحْيَانَا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ ... لَنَا مِنْ قَتِيلِي غَدْرَةٌ بَوْفَاءَ
هُمْ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حِرَّةٍ ... أَخَا ثَقَّةٍ فِي وَدِّهِ وَصَفَاءَ
فَلَوْ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ ... بِذِي الدَّبْرِ مَا كَانُوا لَهُ بِكَفَاءَ
قَتِيلَ حِمَّتِهِ الدَّبْرِ بَيْنَ بِيوتِهِمْ ... لَدَى أَهْلِ كُفْرِ ظَاهِرٍ وَجَفَاءَ
فَقَدْ قَتَلْتَ لَحْيَانِ أَكْرَمَ مِنْهُمْ ... وَبَاعُوا خُبْيًّا وَيْلَهُمْ بِلِفَاءِ^(١)
فَأَفَ لِلْحَيَّانِ عَلَى كُلِّ حَالِهِ ... عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ كُلِّ عَفَاءَ
قَبِيلَةٍ بِاللُّؤْمِ وَالْغَدْرِ تَغْتَرِي ... فَلَمْ تَمْسَ يَخْفِي لَوْمَهَا بِخَفَاءَ
فَلَوْ قَتَلُوا لَمْ تَوْفَ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ ... بَلَى إِنْ قَتَلَ الْقَاتِلِيهِ شَفَائِي
فَالَا أُمْتُ أَذْعُرُ هَذِيلًا بَغَارَةً ... كَغَادِي الْجَهَامِ^(٢) الْمَغْتَدِي بِإِفَاءَ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَمْرِ أَمْرُهُ ... يَبِيتُ لِلْحَيَّانِ الْخَنَاءَ بِفَنَاءَ
يَصْبِحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَانَهُمْ ... جِدَاءَ شَتَاءٍ بَتْنٍ غَيْرِ دِفَاءَ^(٣).

لقد كان الغدر ثابتاً في الواقعة وأن الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إرسال نفر من أصحابه معهم هم الذين غدروا بهم ، ولكن هل كان الغدر عن تواطئ مع هذيل من البداية أم فيها بعد ، جاءت بعض الأخبار بخصوص الاول .

فاستجاب لهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعث معهم نفراً من أصحابه ، وأختلف في عددهم على أقوال :

الاول : ستة من الصحابة .

الثاني : سبعة من الصحابة .

الثالث : عشرة من الصحابة .

(١) اللفاء : كسحاب : التراب والشئ القليل .

(٢) الجهام والغيم الخفيف الذي ليس فيه مطر .

(٣) الروض الأنف ٣٧٤/٢ .

منهم :

الأول : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، ومرثد صحابي ، واسم أبوه كنان بن الحصين ، وهو صحابي أيضاً ، وكل منهما شهد معركة بدر ، ومعركة أحد وهما حليفا حمزة بن عبد المطلب ، ومات كنان في السنة الثانية عشرة للهجرة ، وهو ابن ست وستين سنة ، أي أن ابنه مرثد قتل قبله ، وروى عنه واثلة بن الأسقع .

والمرثد لغة : الكريم من الرجال (وخَيْرَ رَثِيدٍ : أي مُتْرَاكِمٌ . ورثدت القصعة بالثرديد : جُمِعَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَسُوِيَ ، فهو رَثِيدٌ ومرثودٌ . وأرثدت الركية . ورثد الماء : إذا كان كَدِرًا ثُمَّ صَفَا)^(١) .

وآخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين مرثد وبين أوس بن الصامت وهو أخو عبادة بن الصامت .

الثاني : خالد بن البكير الليثي حليف بني عدي .

الثالث : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف بن الأوس ، والذي حضر معركة بدر وقتل أحد حملة ألوية المشركين يوم أحد ، فنذرت أمه سلافة بنت سعد أن تشرب من قحف رأس عاصم الخمر .

وجعلت جعلاً مائة ناقة للذي يأتيها برأسه^(٢) .

(عن الحسين بن السائب قال : لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن معه : " كيف تقاتلون "

؟

فقام عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فأخذ القوس والنبيل ، وقال : أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا كان القوم قريباً

(١) المحيط في اللغة ٣٤١/٢ .

(٢) عيون الأثر ١٣/٢ .

من مائتي ذراع أو نحو ذلك كان الرمي بالقسي، فإذا دنا القوم تناولنا وننالهم بالرماح حتى تتقصّف، فإذا تقصّف تركناها وأخذنا السيوف، فكانت السلة والمجالدّة بالسيوف، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قاتل فليقاتل قتال عاصم"^(١).

ويدل الحديث على أن قتال المسلمين دفاعاً ولا يرمون السهام ولا يقاتلون إلا عندما يكون العدو على مقربة مائتي ذراع أو نحوه . وكان الأوس يتفخرون بعاصم بن ثابت حينما حمته الدبر عند قتله ، والدبر ذكور النحل .

(عن أنس بن مالك قال افتخر الحيان من الانصار الأوس والخزرج فقال الخزرجيون منا اربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاذ وأبي زيد وأبو زيد وقال الأوس منا من اهتز له العرش سعد بن معاذ ومنا من أجيّزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ومنا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر)^(٢).

الرابع : خبيب بن عدي أحد بني جحجي بن كلفة بن عمرو بن عوف.

الخامس : زيد بن الدثنة أحد بني بياضة الأنصاري (شهد بدرأً وأحدأً)^(٣).

السادس : عبد الله بن طارق^(٤).

(١) أسد الغابة ٢٦٢/١.

(٢) الخصائص الكبرى ٣٦٥/١.

(٣) الإستيعاب ١٦٥/١.

(٤) جوامع السيرة ١٧٦/١.

وعبد الله بن طارق بن مالك البلوي حليف بني ظفر من الأنصار ، شهد معركة بدر ومعركة أحد وقد ذكره حسان في شعره الذي رثا فيه أصحاب الرجيع إذ قال :

(وابن الدثنة وابن طارق منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب) ^(١).

وحينما رأى أصحاب الرجيع مائة أو أكثر من المشركين قد أحاطوا بهم ، بينما هم أقل من عشرة ، أخبروهم أنهم لم يقصدوهم ، ولم يأتوا لغزوهم أو غزو أي قرية أو جماعة ، إنما هم رسل سلام ، ويدل عليه قلة عددهم ، فهم أقل من عشرة أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغ الأحكام وقراءة القرآن وتعليمه ، ولكن المشركين أبوا إلا أن يقوم هؤلاء الصحابة بمد أيديهم للوثاق ثم أخبروهم بأنهم لا يريدون قتلهم ، ولكن يقومون ببيعهم على قريش ، الذين يطلبون الثأر لقتلهم في معركة بدر وأحد .

السابع : معتب بن عبيد وهو أخو عبد الله بن طارق لأمه .

وجعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم مرثد بن أبي مرثد ، وقيل عاصم بن ثابت ، فمع أن السرية للتبليغ وبيان الأحكام الشرعية فقد اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحدهم أميراً عليهم ، لمنع الفرقة والاختلاف بينهم ، وللتقيد بالرسالة التي خرجوا من المدينة من أجلها ، وهي الوعظ والتبليغ ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ^(٢) أم أن القدر المتيقن من الأمر الإلهي في الآية أعلاه هو خصوص تبليغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناس بنفسه .

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٨٢/١.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

الصحيح هو الأول ، ليلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه وبواسطة أهل بيته وأصحابه ، وفيه نكتة وهي تعجيل العذاب للذين غدروا بأفراد سرية الرجيع التبليغية ، والذين قتلوهم لأن أفراد السرية يقومون بالتبليغ امثالاً لأمر الله وأمر رسوله ، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

والأرجح هو الأول ، لذا تسمى هذه السرية سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي^(٢).

وقال ابن سعد أنهم عشرة منهم :

الأول : عاصم بن ثابت.

الثاني : مرثد بن أبي مرثد.

الثالث : عبد الله بن طارق.

الرابع : خبيب بن عدي.

الخامس : زيد بن الدثنة.

السادس : خالد بن بكير.

السابع : معتب بن عبيد^(٣).

وحينما علم بهم بنو لحيان وهم حي من هذيل تناجوا بالباطل فنفر منهم نحو مائة رجل ، فحاطوا بالصحابة شاهرين سيوفهم وهم يطلبون من الصحابة أن يمدوا أيديهم للوثاق والأسر ، ومع أن عدد المشركين كان عشرة أضعاف الصحابة أو أكثر فان مرثداً أبى

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٥٥/٢

ابن الجوزي المنتظم ٣٣٤/١.

(٣) المنتظم ٣٣٤/١.

أن يمد يديه للوثاق ، وأعلن أنه لا عهد وذمة للذين كفروا ، قال تعالى ﴿لَا يَرْفُؤُنَا فِي مَوْثِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾^(١).
وتدل الآية أعلاه على إتصاف الذين كفروا باجتماع خصلتين وهما الكفر والغدر .

وحين حضر مرثد معركة بدر كانت معه فرس اسمها السبل^(٢).
وتبعد عسفان عن مكة المكرمة نحو ثمانين كيلو متر ، أما الهداة فهي موضع بين مكة وعسفان ، وهو على سبعة أميال من عسفان
خالد بن بكير بن عبد ياليل بن ناشب حليف بني عدي ، وقد شهد بدرأ ، وله أخوة إياس وعامر وغافل .

(واستشهد يوم الرجيع وهو ابن أربع وثلاثين سنة ذكره بن إسحاق وغيره وهو الذي أراد حسان ابن ثابت بقوله .

فدافعت عن حبي خبيب وعاصم ... وكان شفاء لو تداركت
(ألا ليتني فيها شهدت ابن طارق ... وزيدا وما تغني الأمانى ومرثدا
فدافعت عن حبي خبيب وعاصم... وكان شفاء لو تداركت خالدا)^(٤).
وهل نزل قرآن في أصحاب الرجيع ، الجواب نعم ، إذ أثنى الله عز وجل عليهم ، وفيه مواساة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
والمؤمنين ، فقد كان الغدر بهم وقتلهم فاجعة كبرى .

وقد وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عليهم
وجداً شديداً وخرج في مائتين من أصحابه ، ومعهم عشرون فرساً
وبلغ قريش خبر خروجه وخافوا وذعروا ، وكانوا في شهر حرام ،

(١) سورة التوبة ١٠.

(٢) عيون الأثر ١/٣٧٠.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٢٧.

(٤) الإستيعاب ١/١٢٦.

فقالوا هل يغزونا محمد في الشهر الحرام ، وكان خبيب وصاحبا في الحديد موثقين ، فزادت قريش بأن جعلت الجوامع في اعناقهم .

(عن ابن عباس، قال: لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لاهم أقاموا في أهلهم ولاهم أدوا رسالة صاحبهم.

فأنزل الله فيهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(١) وما بعدها.

وأنزل الله في أصحاب السرية (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)^(٢).

ولقد رثى حسان بن ثابت أصحاب الرجيع مع ذم لحيان غدرهم وسوء فعلهم .

(إِنْ سَرَكَ الْغَدْرُ صَرْفًا لَا مَزَاجَ لَهُ ... فَأَتِ الرَّجِيعَ فَسَلْ عَنْ دَارِ لَحْيَانَ
قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ ... فَالْكَلْبُ وَالْقَرْدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ ... وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانَ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَوْلَهُ

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ ... وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانَ
وقيل أن الذين أغاروا عليهم هم بنو لحيان وكان عددهم قريبا من مائتي مقاتل ، فأحاطوا بهم من كل الجوانب وهم شاهروا سيوفهم ، فالتجأ الصحابة إلى تل مرتفع وسحبوا سيوفهم من أغمادها ، فأدرك المشركون أنهم عزموا على الدفاع ، وهم يعلمون بالمدد الذي رزق الله المؤمنين ووقائع معركة بدر وأحد حاضرة في الوجود الذهني ، ويتناقلها الركبان ، ويتداولها الناس في المجالس ، وفيه ترغيب بالإسلام ، وزجر

(١) سورة البقرة ٢٠٤.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١٢٢/٢.

عن محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فاتجه المشركون إلى المكر وأعطوهم الأمان من خصوص القتل .

وطلبوا منهم أن يمدوا أيديهم للوثاق ، ووقع أخذ ورد بينهم وبين المسلمين ، إذ أرادوا إقامة الحجة على الذين كفروا بأن أخبروهم أنهم لم يقصدوا قتالهم أو قتال غيرهم وأنهم عابروا سبيل ، وليس عندهم ما يطمعون به من السلب والنهب .

فقالوا نريد أن نأخذكم إلى مكة ونسلمكم إلى قريش .

لقد خرج أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الصحراء لتبليغ كلمة التوحيد إلى الناس ، وبيان أحكام الصلاة والفرائض الأخرى لا يرجون إلا رضا الله عز وجل ، ولم يخرجوا إلا بطلب وسؤال من أهل القرى .

فان قلت إذا كان طلب السرية عن مكر وخديعة وإرادة الغدر فلماذا لم يعلم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الخديعة ، ويمتنع عن إرسال أصحابه ، والجواب إن الله عز وجل يطلع النبي محمداً على الغيب حيث يشاء هو عز وجل .

وقد ورد قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^{(١)(٢)} لبيان أن من علوم الغيب ما لا يعلمها إلا الله عز وجل .

(١) سورة آل عمران ١٧٩.

(٢) أنظر الجزء الحادي والثمانين بعد المائة من تفسيرنا للقرآن الذي صدر خاصاً بتفسير هذه الآية المباركة .

وشاء الله عز وجل أن تكون واقعة الرجيع حجة على الذين كفروا وتسيل دماء سبعة أو ثمانية من الشهداء ، وتكون آية من جهات :

الأولى : إنكار عامة الناس لفعل بني لحيان .

الثانية : لجوء المشركين إلى الغدر والخيانة للإيقاع بأصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : دخول طائفة من الناس الإسلام .

الرابعة : نزول فضل الله عز وجل على المسلمين .

الخامسة : نيل الشهداء منزلة رفيعة ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ

يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ^(١).

السادسة : صيرورة المسلمين في حيلة وحذر .

السابعة : بيان صدق إيمان الصحابة وعوائلهم .

الثامنة : بيان إخلاص الصحابة وصدق إيمانهم ، وفيه دعوة

لآخرين منهم لمحاكاتهم والصبر في رضوان الله ، وهذه الدعوة من رشحات مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار .

التاسعة : إعطاء رسالة للذين كفروا بأن قتلهم أفراداً من

المسلمين لم ولن يضر الإسلام والدعوة إلى الله .

العاشرة : جعل الحجة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأصحابه للقصاص من المشركين ، ومع هذا أظهروا الصبر ، نعم توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدعاء مع الوجد والأسى على الشهداء .

الحادية عشرة : في الخبر شاهد على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر أصحابه بالغزو ، وأنهم كانوا مكشوفين ، قريين من الناس ، وحصول الخيانة والغدر معهم لم يمنع استمرار قيامهم بالتبليغ ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (١) .

ليبان مسألة وهي أن النهي عن الوهن والضعف والذل لا يختص بميدان القتال ، إنما يشمل ضروب العبادة والتبليغ والدعوة إلى الله ، إنما يصيب الوهن والضعف الذين كفروا لأنهم على الباطل ، قال تعالى ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُؤَمِّنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) .

وهل تدل الآية أعلاه على النهي عن الدعوة إلى الصلح والمسالمة الحسن الذاتي للصلح مطلقاً ، قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (٣) .

الثانية عشرة : إقامة الحجة على الكفار بأنهم أهل غدر ، ويدل لجوئهم إليه على ضعفهم إذ أن هجران الأخلاق الحميدة والسنن الرشيدة المتعارفة من مصاديق الخيبة في قوله تعالى ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (٤) .

الثالثة عشرة : واقعة الرجيع من الشواهد على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً إنما كان يرسل السرايا للتفقه في الدين وإصلاح المجتمعات ، ومن المصاديق أن واقعة الرجيع وبشر

(١) سورة آل عمران ١٣٩.

(٢) سورة الأنفال ١٨.

(٣) سورة النساء ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران ١٢٧.

معونة وقعتا في شهر واحد ، كل واحدة منهما للتبليغ فكان مصير أصحابهما القتل .

ولم يأمر مرثد أصحابه بالقتال ، إنما ترك الخيار لهم ، ولكنه أعلن الإمتناع عن النزول على ذمة كافر وقال :
(إِنِّي نَذَرْتُ أَلَا أَقْبَلَ جِوَارَ مُشْرِكٍ أَبَدًا . فَجَعَلَ عَاصِمٌ يُقَاتِلُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ :

مَا عَلَتِي وَأَنَا جَلَدٌ نَابِلٌ النَّبِلُ وَالْقَوْسُ لَهَا بَلَابِلُ
تَزَلُ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءِ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمِّي هَابِلُ^{(١)(٢)}

فأخرج النبيل من كنانته وصار يرميهم حتى فنيت نبيله ، ثم طاعنهم بالرمح إلى أن انكسر رمحه عندئذ كسر غمد سيفه للدلالة على إختياره الشهادة ، وكيلا ينتفع المشركون من الغمد ، وتوجه بالدعاء قائلاً : اللهم حميت دينك أول نهاري فأحمي لي لحمي آخره وكانوا يجردون كل من قتل من أصحابه^(٣) .

أي علم بالقتل فسأل الله عز وجل أن يستر عورته ، إذ كان المشركون يجردون من قتل من ثيابه نكاية وطمعاً بملابسه .

وصار يقاتلهم وهو يقول :

(أَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي وَرِثْتُ مَجْدًا مَعْشَرًا كِرَامًا
أَصَبْتُ مَرْتَدًا وَخَالِدًا قِيَامًا)^(٤)

(١) هابل : أي فاقد ، يقال هبلته أمه إذا فقدته .

(٢) مغازي الواقدي ٣٥٥/١ .

(٣) مغازي الواقدي ١٢٧/١ .

(٤) مغازي الواقدي ٣٥٦/١ .

وجرح اثنين وقتل واحداً من الكفار وقتلوه شهيداً إذ أحاطوا به من كل جانب وشرعوا فيه الأسنة .

وتناجى المشركون على قتل عاصم إذ كان عاصم قد قتل ابني سلافة بنت سعد بن شهيد الحارث وهما مسافع والجلالاس ، ابنا طلحة بن أبي طلحة يوم معركة أحد وكانا من حملة اللواء وقد قتل يومئذ زوج سلافة وبنوها الأربعة كفاراً ، إذ كان عاصم من الرماة الحاذقين ، وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد وبايعه على الموت فنذرت أن تشرب الخمر في قحف رأس عاصم ، (وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة^(١) .

ونذرها هذا من أسباب إغراء جماعة من بني لحيان بقتله ، وعندما قتلوه أرادوا أن يحتزوا رأسه فبعث الله عز وجل فوجاً من ذكور النحل أحاطت برأسه .

وفي الليل جاء السيل فحمله فلم يصلوا إليه ، ولم يأخذوا ما جعلته سلافة لمن يقتله ، وكان عاصم جعل على نفسه ألا يمس مشركاً ولا يمس مشرك ، فلم يمسوه حتى وهو ميت وصحيح أن سلافة تسكن مكة وزوجها طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار إلا أنها بالأصل من أهل المدينة ومن بني عمرو بن عوف الذين نزل عندهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على مشارف المدينة أول الهجرة إليها ، وبنى عندهم مسجد قبا .

وقد خرجت سلافة مع زوجها طلحة بن أبي طلحة الى معركة أحد كفاراً ، ثم أسلمت وحسن اسلامها ، وهو من الشواهد على صدق نبوة محمد .

وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١)، ورد عن قتادة بن النعمان كان أهل بيت منا يقال لهم : بنو أبيرق . بشر ، وبشير ، ومبشر ، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ينحله بعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، قال فلان كذا وكذا ، وإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الشعر قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث فقال : أو كلما قال الرجال قصيدة أضحوا فقالوا : ابن الأبيرق قالها .

وكانوا أهل بيت حاجة وفاقية في الجاهلية والإسلام ، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرملك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما العيال فإنما طعامهم الشعير ، فقدمت ضافطة الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرملك ، فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح له درعان وسيفاهما وما يصلحهما ، فعدا عدي من تحت الليل فنقب المشربة وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي تعلم أنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه ، فنقبت مشربتنا ، فذهب بطعامنا وسلاحنا قال : فتجسسنا في الدار وسألنا فقليل لنا : قد رأينا بني أبيرق قد استوقدوا في هذه الليلة

ز

ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم . قال : وقد كان بنو أبيرق قالوا - ونحن نسأل في الدار - والله ما نرى صاحبكم إلا لييد

بن سهل رجلاً منا له صلاح وإسلام ، فلما سمع ذلك لبى اخترط سيفه ، ثم أتى بني أبيرق .

وقال : أنا أسرق ، فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبين هذه السرقة . قالوا : إليك عنا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها ، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها . فقال لي عمي : يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له .

قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : يا رسول الله إن أهل بيت منا أهل جفاء ، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فتقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سأنظر في ذلك ، فلما سمع ذلك بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلموه في ذلك ، واجتمع إليه ناس من أهل الدار فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقالوا : يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا ، أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت . قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلمته . فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت .

قال قتادة : فرجعت ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت ، فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : الله المستعان . . . فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا»^(١)، لبني أبيرق {واستغفر الله} أي مما قلت لقتادة {إن الله كان غفوراً رحيماً ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم} ، إلى قوله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ يُجِدْ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) ، أي أنهم لو استغفروا الله لغفر لهم {ومن يكسب إثماً} إلى قوله ﴿فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٣) ، قولهم للبيد .

﴿وَكَلَّا فُضِّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾^(٤) ، يعني أسير بن عروة وأصحابه إلى قوله ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥) .

فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسلاح فرده إلى رفاعه ، قال قتادة : فلما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولاً فلما أتته بالسلاح قال : يا ابن أخي هو في سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً .

فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين ، فأنزل الله {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى}^(٦) ، إلى قوله {ضلالاً بعيداً}^{(٧)(٨)} .

(١) سورة النساء ١٠٥ .

(٢) سورة النساء ١١٠ .

(٣) سورة النساء ١١٢ .

(٤) سورة النساء ١١٣ .

(٥) سورة الفتح ١٠ .

(٦) سورة النساء ١٠٥ .

(٧) سورة النساء ١٠٦ .

(٨) الدر المنثور ٣/٢٣٣ .

ولما وصل بشير إلى مكة أظهر ولاءه للمشركين ونزل على سلافة بنت سعد لأنها من بني عمرو بن عوف من الأوس .

ولما سمع الصحابة بالأمر هجاها حسان بن ثابت ، فقالت سلافة لبشير : انما أهديت لي شعر حسان ، وأخذت رحله فطرحته خارج المنزل.

وَقَالَتْ حَلَقْتُ وَسَلَقْتُ وَخَرَقْتُ إِنْ بَتَّ فِي مَنْزِلِي لَيْلَةً سَوْدَاءَ فَهَرَبَ إِلَى خَيْبَرَ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَقَبَ بَيْتًا ذَاتَ لَيْلَةٍ فَسَقَطَ الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَمَاتَ^(١).

ليان معجزة للقرآن وهي أن الذي ينزل فيه دم وتبكيه يلقى سوء العاقبة في الدنيا ويصيبه مثلما أصاب أبا لهب الذي ورد ذمه في القرآن مع أنه عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْمِي لَهُبٍ وَتَبَّ﴾^(٢).

وفي يوم الفتح طاف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالبيت الحرام على راحلته^(٣).

ثم جلس في ناحية المسجد والناس حوله وأرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة وكان المفتاح عنده وقد قتل أبوه وأخوته الأربعة في معركة أحد وقال لبلال (قل له : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة فجاء بلال إلى عثمان ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة .

فقال عثمان : نعم . فخرج إلى أمه سلافة بنت سعد بن شهيد الأوسية ، ورجع بلال إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره أنه

(١) الروض الأنف ٣٨١/٢ .

(٢) سورة المسد ١ .

(٣) الراحلة : البعير الذي يركب في الأسفار ، ويتحمل الأثقال ، ويقع على الذكر والأنثى .

قال نعم ، ثم جلس بلال مع الناس ، فقال عثمان لأمه والمفتاح يومئذ عندها : يا أمت ، أعطيني المفتاح ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إلي وأمرني أن آتي به إليه .
فقالت له أمه : أعيذك بالله أن تكون الذي تذهب بمأثرة قومك على يدك .

فقال : والله لتدفعنه أو ليأتينك غيري فيأخذه منك . فأدخلته في حجرها وقالت : أي رجل يدخل يده هاهنا فيبينما هما على ذلك إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى إبطاء عثمان : يا عثمان اخرج . فقالت أمه : يا بني خذ المفتاح ، فلأن تأخذه أنت أحب إلي من أن يأخذه تيم وعدي .
فأخذه عثمان ، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فناوله إياه ، فلما ناوله إياه فتح الكعبة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكعبة فغلقت عليه ومعه أسامة بن زيد ، وبلال بن رباح ، وعثمان بن طلحة ، فمكث فيها ما شاء الله ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة . قال ابن عمر : فسألت بلالا أين صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : جعل عمودين عن يمينه ، وعمودا عن يساره ، وثلاثة وراءه .

قالوا : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمفتاح في يده ، ووقف على الباب خالد بن الوليد يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١) .

كان الصحابة والمسلمون الذين جاءوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فتح مكة عشرة آلاف ، ولكن وقف شخص واحد هو خالد بن الوليد يمنع الناس من دخول الكعبة ، وذات الأمر يتكرر في

(١) الأزرقي / أخبار مكة ١/٣٤٤ .

هذا الزمان بأن يتولى الحراسة الظاهرة داخل البيت أفراد قلائل وليكون في مفتاح مكة وقبض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم له معجزة حسية ، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو في مكة قبل الهجرة قد دعا عثمان بن طلحة إلى الإسلام .

وأراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوماً قبل الهجرة أن يدخل الكعبة فأغلظ له عثمان هذا ونال منه .

وعن عثمان بن طلحة قال : لقيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث ففرقت جماعتهم وإلفتهم وأذهبت بهاءهم فانصرف وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس .

فأقبل يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه وحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت .

فقلت لقد أهلك قريش يومئذ وذلت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال فأردت الإسلام ومقاربة محمد فإذا قومي يزبروني زبرا شديداً ويزرون برأيي فأمسكت عن ذكره .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة جعلت قريش تشفق من رجوعه عليها فهم على ما هم عليه حتى جاء النفي إلى بدر فخرجت فيمن خرج من قومنا وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة عام القضية غير الله قلبي عما كان عليه ودخلني الإسلام وجعلت أفكر فيما نحن عليه وما نعبد من

حجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وظلف أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك مني فأقول ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت .

وجعلت أحب النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن رأيته خارجا من باب بني شيبه يريد منزله بالأبطح.

فأردت أن آتيه وأخذ بيده وأسلم عليه فلم يعزم لي على ذلك.

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجعا إلى المدينة ثم عزم لي على الخروج إليه فادلجت إلى بطن يأجج فألقى خالد بن الوليد فاصطحبنا حتى نزلنا الهدة فما شعرنا إلا بعمرو بن العاص فانقمعنا منه وانقمع^(١) منا ثم قال أين يريد الرجلان فأخبرناه فقال وأنا أريد الذي تريدان فاصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته على الإسلام وأقمت معه حتى خرجت معه في غزوة الفتح ودخل مكة فقال لي يا عثمان ائت بالفتح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلي مضطبعا عليه بثوبه وقال خذها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني إليه فقال ألم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة.

لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

وكان بنو عبد الدار عندهم الحجابة أي مفتاح الكعبة ويدهم اللواء يحملونه ذو السيف والجاه في الجاهلية قتل منهم تسعة يوم معركة أحد في عقوبة من الله عز وجل لإصرارهم على محاربة النبي

(١) انقمع : استخض واستتر .

(٢) تاريخ دمشق ٣٨٢/٣٨ .

صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ويسمى عثمان بن طلحة الحنظلي للحجابه ويسمون الشييين نسبة الى شية بن عثمان بن أبي طلحة.

أضعه حيث شئت لبيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يضم حقدًا ، ولا ينتقم من أحد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وتسلم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفتاح الكعبة ومن غير قتال وغزو من مصاديق تفضل الله بانجاز وعده بلحاظ أن إخبار النبي لعثمان بتسليمه المفتاح منه من الوحي والبشارة ، وقد ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ ، إذ (فبدأ بالصفاء فرقى عليه حتى رأى البيت فكبر الله وحده وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك وقال : مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه رمل في بطن الوادي حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة ، فصنع على المروة مثل ما صنع على الصفاء)^(٢).

وقال حسان بن ثابت :

منع النوع بالعشاء الهموم ... وخیالاً إذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه ... سقمٌ فهو داخلٌ مكتوم
يا لقومي هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام سثوم
لو يدب الحولي من ولد الذر ... ر عليها لأندبتها الكلوم

(١) سورة ن ٤.

(٢) الدر المنثور ١/٤٥٢.

شأنها العطر والفراش ويعلو ... ها لجين ولؤلؤ منظوم
 لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم
 إن خالي خطيب جابية الجو ... لان عند النعمان حين يقوم
 وأنا الصقر عند باب ابن سلمى ... يوم نعمان في الكبول سقيم
 وأبي وواقد أطلقا لي ... يوم راحا وكلهم مخطوم
 ورهنت اليدين عنهم جميعاً ... كل كف جزء لها مقسوم
 وسطت نسبتي الذوائب منهم ... كل دار فيها أب لي عظيم
 وأبى في سميحة القائل الفا ... صل يوم التقت عليه الخصوم
 تلك أفعالنا وفعل الزبيري ... خامل في صديقه مذموم
 رب حلم أضاعه عدم الما ... ل وجهل غطا عليه النعيم
 إن دهرأ يبور فيه ذوو العل ... م لدهر هو العتو الزنيم
 لا تسبني فلست بسبي ... إن سبي من الرجال الكريم
 ما أبالي أنب بالحزن تيس ... أم لحاني بظهر غيب لثيم
 ولي البأس منكم إذ رحلتهم ... أسرة من بني قصي صميم
 تسعة تحمل اللواء وطارت ... في رعا ع من القنا مخزوم
 وأقاموا حتى أبيضوا جميعاً ... في مقام وكلهم مذموم
 بدم عاتك وكان حفاظاً ... أن يقيموا، إن الكريم كريم
 وأقاموا حتى أزيروا شعوباً ... والقنا في نحورهم محطوم
 وقريش نفر منا لوأذا ... أن يقيموا وخف منها الحلوم
 لم تطق حمله العواتق منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم^(١).
 وفي القصيدة أعلاه يقول حسان : تسعة تحمل اللواء.

ولم تزل السقاية والرفادة والقيادة: لعبد مناف بن قصي يقوم بها
 حتى توفي، فولى بعده ابنه هاشم بن عبد مناف، ويطعم الناس في
 كل موسم ما يجتمع عنده من ترادف قريش، فلم يزل على ذلك

(١) سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي ٩٩/١.

حتى أصاب الناس جذب شديد، فخرج هاشم إلى الشام، فاشترى من ماله دقيقاً وكعكاً، فقدم به مكة، فهشم ذلك الكعك، ونحر الجزور، وطبخها وجعلها ثريداً، وأطعم الناس - وكانوا في مجاعة شديدة - حتى أشبعهم، فسمى بذلك هاشماً، ولم يزل هاشم على ذلك حتى توفي.

وكان عبد المطلب يفعل ذلك، فلما توفي، قام بذلك أبو طالب في كل موسم حتى جاء الإسلام وهو على ذلك.
وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسل بمال يعمل به ذلك الطعام مع أبي بكر الصديق حين حج بالناس سنة تسع، وعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع^(١).
ثم أقام الخلفاء على ذات النهج.

لقد وقعت معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة بهجوم وغزو من قبل ثلاثة آلاف من مشركي قريش ومن والاهم إذ صاروا على مشارف المدينة لا يرضون إلا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشطر من أصحابه لإستئصال الإسلام.

وخرج لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه مع سبعمائة من أصحابه، أي أن عدد جيش المشركين أكثر من أربعة أضعاف جيش المسلمين، ونزلت خسارة فادحة بالمسلمين يومئذ إذ خر إلى الأرض سبعون شهيداً، وفر أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصابته وأصحابه الجراحات الكثيرة، وسالت الدماء منهم، فطمع المشركون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وهذا الطمع بسبب تعدي وهجوم قريش، وهل هو من مصاديق تسمية مكة أم القرى بقوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ

يَدِيهِ وَتُنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١﴾، الجواب لا ، إنما وردت هذه التسمية لإرادة الصلاح والإنذار ، فمكة أم القرى في الخير ونشر مبادئ الإيمان.

وبعد معركة أحد تجاهر الأعراب حول المدينة بالعزم على غزوها لوجوه :

الأول : إرادة النهب والسلب ، والطمع فيما عند أهل المدينة من أموال ، وهل يشمل هذا الطمع نهب أموال اليهود فيها، الجواب نعم ، إذ كان فيها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع خاصة وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عقد معاهدة معهم، وكانوا حلفاء للأوس والخزرج ، وكانوا يقولون (أن نبياً من الأنبياء مبعوث) ^(٢)، وكانوا يستفتحون به على العرب، كما ورد في التنزيل ﴿وَكَاؤَمِينَ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ^(٣)، نعم أظهر بنو قينقاع العداوة بعد معركة بدر وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي سلول رأس النفاق، (وكانوا أشجع يهود المدينة) ^(٤).

(١) سورة الانعام ٩٢.

(٢) زاد المعاد ٣٨/٢.

(٣) سورة البقرة ٨٩.

(٤) زاد المعاد ١١٤/٣.

الثاني : الثأر لهزيمة المشركين من قريش في معركة بدر إذ كشف نصر المسلمين فيها قانوناً وهو قرب ظهور الإسلام ، وفرض الصلاة والصيام والزكاة على الناس.

الثالث : حماية الجاهلية الأولى في الإصرار على ما هم عليه من عبادة الأوثان .

الرابع : دسائس ومكر قريش بتحريض القبائل على النبي محمد وأصحابه ، ومدهم بالأموال على نحو القروض والهبات وإغراء الشعراء بهجاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والحث على قتاله .

وأيهم أكثر الشعراء الذين أغرتهم وأغوتهم قريش لهجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم الذين إمتنعوا عن هجائه ، الجواب هو الثاني ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنه يواجه بذل قريش الأموال وقيامهم بالإفتراء بالصبر والدعوة إلى الله وآيات القرآن التي يدرك معها الشعراء أنها فوق كلام البشر.

ومن الإعجاز في السنة الدفاعية نصر المسلمين في المعركة الأولى للإسلام ، وعدم تعرضهم للهزيمة أو الخسارة فيها ، قال تعالى ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(١) وحدثت الخسارة الجسيمة للمسلمين في المعركة التالية لها وهي معركة أحد ، ومع أنهم لم ينهزموا فقد تجرأ المشركون من أهل البوادي والمدن على المسلمين وتناجوا بالهجوم على المدينة وغزوها ، فكيف لو كانت هذه الخسارة في المعركة الأولى للإسلام لوقع ما لا يعلم إلا الله من الضرر ، ولكن الله عز وجل

وعد المسلمين بصرف الضرر الفادح عنهم بقوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١).

وظهرت تجمعات للمشركين قريباً من المدينة بقصد غزوها مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر على تلك القرى والقبائل هو وأصحابه من غير أن يتعرضوا لها .

وقام طليحة الأسدي وأخوه سلمة إبننا خويلد في نجد بجمع الجيوش لغزو المدينة، وكذا فعل خالد بن سفيان الهذلي بنخلة في وادي عربة .

ومن مكر الكفار بعد معركة أحد لجوؤهم للغدر إذ علموا أن الإسلام دين رشاد وتبليغ وهداية ، وليس دين غزو وقتال ، فمشى جماعة من بني لحيان من هذيل أصحاب خالد بن سفيان الذي قتل وحده في سرية عبد الله بن أنيس ، وقد تقدم أنها سرية تتألف من صحابي واحد إلى شخص واحد من الكفار مشوا إلى عضل وقارة وهم قبيلتان من بني الهون من خزيمة بن مدركة، فجعلوا لهم إبلا على أن يذهبوا إلى المدينة ويظهروا الإسلام فجاء سبعة نفر من عضل والقارة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأظهروا الإسلام وقالوا له إن فينا قوماً مسلمين وآخرين يرغبون في الإسلام فابعث معنا نفراً من أصحابك يقرؤنا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام وأحكام الحلال والحرام، فبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وعاصم بن ثابت وأصحابهما.

ولم يوح الله عز وجل إلى النبي بما يؤول إليه مصير أهل الرجيع لسبق علمه تعالى بفوزهم بالشهادة ولأنها تكون طريقاً لنفرة الناس من المشركين وغدرهم وسبباً للإمتناع عن نصرتهم فلا يعلم ما صرفه الله عن النبي وأصحابه بسبب وغدر المشركين بسرية الرجيع إلا الله عز وجل .

لقد كانت الأحداث تتسارع وآيات القرآن تترى في نزولها وهي تبين للمسلمين والناس جميعاً منهاج الإستقامة والصلاح ، إذ بعث الله عز وجل النبي محمداً ليحارب الإرهاب بالتقوى ، ويستأصل العبث بالدماء بالدعوة إلى السلم والسلام.

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد^(١).

لقد استصرخ النفر من عضل والقارة هذياً على المسلمين السبعة الذين معهم ، فجاء نحو مائتي رجل ، وقيل مائة ، وأحاطوا بهم وأقسموا لهم أنهم لا يريدون قتلهم وليسوا بحاجة إلى هذا القتل ، ولكن يريدون تسليمهم إلى قريش وأخذ بدل ومال عوضاً عنهم ، لتنظر قريش ماذا تفعل بهم ، وقد يطلقون سراحهم بعوض أو بشرط ، فصار مرثد وأصحابه على أقسام :

الأول : إختار مرثد وعاصم بن ثابت وخالد بن البكير الدفاع وعدم القبول بعهد مشرك خاصة وأنهم لم يعطوهم الأمان ، إنما وعدوهم بتسليمهم إلى قريش ، وهذا وعيد وليس وعداً ، فالجميع يعلم أنه ليس أحب لقريش من أسر بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتلهم

والتمثيل بهم ثاراً لسبعين قتيل من قريش في معركة بدر
واثنين وعشرين منهم في معركة أحد .

لقد كانت مدرسة الصبر والدفاع أن يرفض يومئذ ثلاثة من
المسلمين عرض المشركين بالإستسلام ليقابلوا نحو مائتين من
المشركين وهم يحيطون بهم وأغلبهم من الرماة المذكورين ، ليكون
حجة على الذين كفروا وزاجراً لهم عن التعدي على المدينة ، والهم
بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من أسرار عدم
إيحاء الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
بخصوص ما سيتعرضون له من القتل .

لقد أصاب الذين كفروا الرعب من عزم هؤلاء النفر من
المسلمين على القتال مع أن مصيرهم هو القتل ، فقد اختاروا
الشهادة ورضوا بها ، لتكون واقعة الرجيع من مصاديق قوله تعالى
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَمَا أُوْهُمْ النَّارُ وَبُسْ مُوَيِّ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

الثاني : إختار زيد وخبيب وعبد الله بن طارق التسليم
فاعطوا أيديهم إلى المشركين لينتفعوا من الوقت بالذكر
والدعاء وليرى هؤلاء المشركون عبادتهم وتقواهم ،
ويسمعوا منهم طوعاً وقهراً آيات القرآن وهم يتلونها وكأنهم
في سياحة ملكوتية.

وليس من عواقب معلومة للوقوع بالأسر بأيدي المشركين ،
ولكنه حجة عليهم ، لقد لاقى أسرى المشركين بيدر العناية والرفق
والإحسان ، واطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدداً منهم من
غير بدل أو عوض مع أنه تم أسرهم في ميدان القتال ، أما خبيب

وزيد فلم يكونوا في قتال ، ولم يقصدوا قريشاً ، إنما هم دعاة إلى الله عز وجل .

الثالث : لقد قام المشركون من هذيل بأخذ زيد وخبيب وطارق ابن عبد الله إلى مكة ليبيعوهم إلى قريش فيقتلوهم ، وفي الطريق وفي منطقة الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من الوثاق ، وأخذ سيفه ليقاتل القوم ، ولكنهم لم يشهروا السيوف وبيارزونهم لخوفهم وخشيتهم منه ، إنما استأخروا عنه وصاروا يرمونه بالحجارة حتى أثقلوه وقتلوه .

وقبره في مر الظهران ظاهر .

وفي هذه الواقعة شاهد على جواز قبول الأسر مع عدم الأمن ، وجواز الإمتناع عن قبوله حتى وأن تسبب بالقتل في مسألة وهي أن الصحابة لم يكونوا في سرية قتال ، ولم يقصدوا أولئك الذين حاصروهم أو غيرهم .

فلم يكونوا أسرى ولم يدخلوا معركة إنما استدرجهم الكفار بالجمع بين الغدر والإرهاب المشترك من قبل قبائل ورجالات من قريش .

فان قيل قد وقعت معركة بدر وأحد ، والجواب لقد انتهت كل واحدة منهما في نفس اليوم الذي بدأت فيه ، وانسحبت الجيوش ورجعوا إلى أهليهم .

وحينما جاء وفد عضل والقارة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألوه أن يبعث معهم من يفقههم في الدين ، ويرشدهم إلى معالم الإيمان ، مما يدل على اشاعة الأمن والسلام في الطرقات ، وعدم خشية أي من طرفي القتال من الغدر بالآخر .

واشترى صفوان بن أمية زيد بن الدثنة ليقبله بآبيه الذي قتل في معركة بدر كافراً .

خبيب وزيد في مكة

دخل المشركون مكة ومعهم خبيب وزيد بن الدثنة فعرضوا بيعهما على قريش ، وهما أول أسيرين من المؤمنين يدخلان مكة .
ومن فضل الله والشواهد على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً ولم يقع أصحابه أسرى في المعركة أن أهل مكة والناس جميعاً يعلمون بأن هذين المسلمين تم خطفهما والغدر بهما ، ولم يكونوا أسيرين وفق العرف آنذاك ، وحسب القانون الدولي الذي يعرف أسير الحرب أو سجين الحرب (prisoner of war) ويقال على نحو الاختصار (pow).

وهو المقاتل أو غير المقاتل الذي احتجز من قبل قوى معادية له أثناء النزاع المسلح أو بعده مباشرة.
وهل كان غدر عضل والقارة ، وشراء قريش للأسيرين موافقاً للأعراف آنذاك .

الجواب لا ، فالغدر والخيانة ونقض عهد الأمان أمور يستقبحها العرب وحدثت مع الدعاة إلى الله وفي وقت انتشرت فيه تلاوة آيات القرآن ، وصار الناس يتدبرون في إعجازها ، لتكون دماء شهداء الرجيع سبباً لإنحسار شأن قريش ، وضعف منزلة رجالاتها بين العرب .

ووقعت فاجعة الرجيع بعد معركة أحد ونزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾^(١) ، في حق حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وشهداء أحد الآخرين لتكون الآية عوناً للصحابة في الرجيع .

بليح الأرض

يجمع خبيب بن عدي بين الشجاعة وكثرة العبادة ، وقد أبلى في معركة بدر وأحد وقتل عدداً من المشركين فأمّلت قلوبهم حقاً عليه .

ورضى يوم الرجيع بالإستسلام بعد أن عاهدهم المشركون أن لا يسوهم بسوء .

ولما باعوا خبيباً وزيداً في مكة على قريش ليقتلوهما لم يلتفتا للبليح والغاية الخبيثة منه ، إنما كانا منقطعين إلى الله بالذكر والعبادة.

وطال أسر خبيب إذ أسر في بدايات السنة الرابعة للهجرة ، وقتل في السنة الخامسة للهجرة ، إذ حبست قريش خبيباً حتى تخرج الأشهر الحرم ، فيقتلوه ، فحبسوه في دار من دور بني الحارث ، وكانت في البيوت ماوية مولاة لحجير بن أبي إهاب ، ثم أسلمت فكانت تحدث عن قصته وخبره .

(فكانت تقول: والله ما رأيت أحداً خيراً من خبيب ، لقد اطلعت عليه من صير الباب وإنه لفي الحديد ما أعلم في الأرض حبة عنب تؤكل وإن في يده لقطف عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما هو إلا رزق الله .

وكان خبيب يتعهد بالقرآن فكان يسمعه النساء فيبكين ويرققن عليه)^(١).

وكان خبيباً يؤسس لفتح مكة بهداية قلوب الرجال والنساء إلى الإسلام ، وبعث النفرة في نفوسهم من مفاهيم الكفر وبطش كفار قريش .

وفي رسل عيسى عليه السلام إلى أهل إنطاكية، ورد قوله تعالى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا^(١)، وقيل (كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولص)^(٢).

فمن خصائص السرايا التي يبعثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفرادها أنهم رسل لبيان قانون صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت : ماوية، وسألت خبيبا يوماً هل لك من حاجة ؟ قال لا ، إلا مسائل :

الأولى : السقاية من العذب .

الثانية : عدم إطعامه مما ذبح على النصب ، قال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمَ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْقُوا بِالْأَزْلَامِ﴾^(٣).

والنصب حجارة حول الكعبة يذبح عليها أهل الجاهلية ويدلون بها بحجارة أعجب إليهم منها ، عن مجاهد ، ويقال للصنم أيضاً النصب ، فيكون معنى ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ أي على اسم الأصنام ، وهو حرام .

الثالثة : سأل خبيب ماوية أن تخبره إذا أرادوا قتله .

(١) سورة يس ١٣-١٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٦٩/٦.

(٣) سورة المائدة ٣.

وعندما انسحلت الأشهر الحرم عزمت قريش على قتل خبيب، فأخبرته ماوية بالأمر، ونظرت إليه لترى كيف يكون وقع الخبر عليه، قالت (فوالله ما رأيته أكثرث لذلك وقال: ابعثي إلي بحديدة أستصلح بها. قالت فبعثت إليه بموسى مع ابني أبي حسين، وكانت تحضنه ولم يكن ابنها ولادة .

فلما ولي الغلام قلت أدرك والله الرجل ثأره، أي شيء صنعت؟ بعثت هذا الغلام بهذه الحديدية فيقتله ويقول رجل برجل. فلما أتاه ابني بالحديدة تناولها منه ثم قال مازحاً له: وأبيك إنك لجريء، أما خشيت أمك غدري حين بعثت معك بحديدة وأنتم تريدون قتلي^(١) .

وسمعت ماوية كلامه والتفتت إلى ما ارتكبت من بعث ابنها لسجين عندهم أجمعوا على قتله ، ويبدوا أنها كانت تبعثه أحياناً بالطعام ونحوه لخبيب ، ولكن هذه المرة أجمعوا على قتله ، فاستعطفته وقالت له ، إنما أئتمتكم بأمان الله ، وأعطيتمك بالهك الذي تعبده وأراك تقوم له في الليل والنهار ، وله أعطك الحديدية لتقتل أبنني .

ومع شدة المصيبة التي كان فيها خبيب فانه حرص على مغادرة الدنيا على السنة النبوية بالإستحداد أي حلق العانة، وفيه دعوة لتعاهد السنن النبوية والحنيفية وأصول الفطرة .

ولم يقتل خبيب الصبي لوجوه :

الأول : تنزه المسلمين عن الغدر .

الثاني : الإمتناع عن قتل أطفال المشركين ، قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١).

الثالث : البشارة والأمل بأن يدخل هؤلاء الصبيان الإسلام وهو الذي حصل والحمد لله .

الرابع : بيان حقيقة وهي عدم جزع المؤمن من الصلب والقتل ظلماً .

الخامس : إرتقاء الصحابة في المعارف الإيمانية ، وتسليمهم بأمر الله سبحانه .

السادس : إنما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليأمن الآباء على أطفالهم في صغرهم ، وينشأوا على روح التسامح والمودة ، ونبد القتال والغزو وسفك الدماء.

فقد خرج خبيب وأصحابه من المدينة للتبليغ ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يخرجون في الكتائب والسرايا ، ويمرون على القرى والقبائل دون ان يتعرضوا لأحد من الكفار ، ولم يكرهوهم على دخول الإسلام ، ولم يأخذوا من أنعامهم وأموالهم ، فاستصعبت سرية التبليغ هذا الأمر وخرجوا وهم يحسبون عدم تعرض أحد لهم لأنهم دعاة سلم وصلاح ، وإذا بالقوم يكرهون بهم ، ويؤتى بخبيب وزيد بن الدثنة إلى مكة التي جعلها الله عز وجل ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾^(٢) ، ليصلبا ويقتلا فيها .

فقال خبيب كلمة خالدة فيها شهادة على التاريخ (ما كنت لأقتله وما نستحمل من ديننا الغدر).

(١) سورة فاطر ١٨.

(٢) سورة البقرة ١٢٦.

ليبان أن المسلمين يتزهون عن الغدر ، وعن الإغتيال وضروب الإرهاب الفردي والجماعي .

فعاد لها ابنها ليحسن إسلامها وابنها فيما بعد ، ثم أخبرته بأنهم سيخرجونه في الصباح لقتله .

وأبو حسين هذا من بني نوفل بن عبد مناف ، وقالت ماوية (ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ من حديقة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً آتاه الله إياه)^(١).

وفي الصباح جاءوا فأخرجوه وهو مصفد بالحديد في يديه ، وذهبوا به خارج الحرم ، من جهة التعميم لأنه أقرب الحل إذ يبعد عن المسجد الحرام ستة كيلو مترات وخرج معه النساء والصبيان والعبيد ، ورجال من أهل مكة ، ممن وتُر في معركة بدر أو أحد ، ومن الساخطين على الإسلام والمسلمين ، كما أخرجوا معه زيد بن الدثنة ومعه جمع كثير من أهل مكة أيضاً ، والتزم كل واحد منهما صاحبه وأوصى كل واحد منهما الآخر بالصبر ، قال تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٢).

وأمرُوا بِمُخَشَبَةِ طَوِيلَةٍ ، وجاءوا بخبيب ليشدوه على خشبته فقال لهم على نحو السؤال ، هل أنتم تاركى أصلي ركعتين فأذنوا له . وقالوا له : دونك فصل ، فصلى ركعتين يودع بهما الدنيا ، ويشهدوا له على القوم يوم القيامة ، وبعد أن فرغ من صلاته قال

(١) الإستيعاب ١/١٣١.

(٢) سورة العصر ٣.

(لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل) (١).

ثم توجه خبيب إلى الله بالدعاء والشكوى وقال (اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولما تبق منهم أحداً ثم قال لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع وكلهم مبدي العداوة جاهد علي لاني في وثاق بمضيع وقد قربوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي فقد بضعوا لحيي وقد ياس مطمعي وقد خيروني الكفر والموت دونه فقد ذرفت عيناى من غير مجزع

وما بي حذار الموت إنى لميت وإن إلى ربي إياي ومرجعي ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مضجعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع فلست بمبد للعدو تخشعاً ولما جزعاً إنى إلى الله مرجعي فقال له أبو سفيان أيسرك أن محمداً عندنا تضرب عنقه وإنك في أهلك فقال لا والله ما يسرنى أنى في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه (٢).

ثم قاموا برفعه على الخشبة التي يريدون قتله وأوثقوه فقال : (اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ؛ ثم

(١) السيرة لابن كثير ١٢٤/٢.

(٢) زاد المعاد ٢١٦/٣ .

قَالَ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . ثُمَّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ يَقُولُ حَضْرَتُهُ يَوْمَئِذٍ فِيمَنْ حَضَرَهُ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُلْقِينِي إِلَى الْأَرْضِ فَرَقًا مِنْ دَعْوَةِ خَيْبٍ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُعِيَ عَلَيْهِ فَاضْطَجَعَ لَجْنِبِهِ زَالَتْ عَنْهُ ^(١).

(ابن إسحاق : وَكَانَ الَّذِينَ أَجْلَبُوا عَلَى خَيْبٍ فِي قَتْلِهِ حِينَ قُتِلَ مِنْ قُرَيْشٍ : عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ ، وَبْنُ عَبْدِ وَدٍّ ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقِ الثَّقَفِيِّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ وَعَبِيدَةُ بْنُ حَكِيمٍ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السَّلَمِيِّ ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَبَنُو الْحَضَرَمِيِّ) ^(٢).

ونسبوا قتله إلى عقبة بن الحارث وأنه قتله بأبيه الذي قُتل في بدر (وقال ابن إسحاق: وابتاع خبيثاً حجيراً بن أبي إهاب التميمي حليف لهم وكان حجيراً أخا الحارث بن عامر لأبيه فابتاعه لعقبة بن الحارث ليقُتل به) ^(٣)، ولكنه وبعد أن أسلم أنكر هذا الأمر ، وقال لقد كنت يومئذ صغيراً لا أقوى على قتل شخص (ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قُتل) ^(٤).

ويظهر أن هذا القتل لم يكن بالسيف وقطع الرأس إنما كان بالحربة ، وهو موثق على الخشبة للزيادة في إيذائه وتعذيبه .

لقد كان قتل خبيب وزيد بن الدثنة حجة على الذين كفروا بعدم أهليتهم لولاية البيت الحرام ، ولا يشفع لهم إخراجهم من الحرم

(١) السيرة لابن هشام ١٧٢/٢.

(٢) الروض الأنف ٢٧٧/٢.

(٣) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٠/١.

(٤) السيرة لابن هشام ١٧٢/٢.

قبل قتلهم ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وهل كان أثر لدعوة خيب على المشركين يوم استشهاده ،
الجواب نعم ، فقد خذلهم الله .

وقد استعمل عمر بن الخطاب أيام خلافته سعيد بن عامر بن
حذيم الجُمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وإغماءة
وهو بين ظهрани القوم ، فذكر أمره لعمر بن الخطاب وقيل إن
الرجل مصاب ، وقدم سعيد على عمر فسأله عن حال الإغماء التي
يصاب بها وقال : ما هذا الذي يصيبك ؟

(فَقَالَ مَا بِي مِنْ بَأْسٍ وَلَكِنِّي كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ خَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ
حِينَ قُتِلَ وَسَمِعْتُ دَعْوَتَهُ فَوَاللَّهِ مَا خَطَرْتُ عَلَى قَلْبِي وَأَنَا فِي
مَجْلِسٍ قَطٍ إِلَّا غَشِيَ عَلَيَّ)^(٢).

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ مِمَّا قِيلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الشَّعْرِ قَوْلُ خَيْبِ
بْنِ عَدِيٍّ ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَصَلْبِهِ .

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَا ... قَبَائِلُهُمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلَّ مَجْمَعٍ
وَكُلُّهُمْ مَبْدِي الْعِدَاوَةِ جَاهِدٌ ... عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِمَضْبَعٍ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ... وَقَرِبتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مَمْنَعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كَرْبَتِي ... وَمَا أُرْصِدُ الْأَحْزَابَ لِي عِنْدَ
مَصْرَعِي

فَذَا الْعَرْشِ صَبْرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي ... فَقَدْ بَضَعُوا الْحُمَى وَقَدْ يَاسَ
مَطْمَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

(١) سورة الأنفال ٣٤.

(٢) السيرة لابن هشام ١٧٣/٢ .

وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ ... وَقَدْ هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ
وَمَا بِي حَذَارِ الْمَوْتِ أَنِّي لَمَيِّتٌ ... وَلَكِنْ حَذَارِي جَحْمَ نَارٍ مُلْفَعٍ
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعًا ... وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مُرْجِعِي ^(١).
ولقد قتل خبيب وزيد في يوم واحد (وقال خبيب اللهم انى لا
أجد إلى رسولك رسولا غيرك فأبلغه مني السلام) ^(٢).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في ذلك اليوم
فقال : وعليكما أو وعليكم السلام خبيب قتلته قريش (عن ابن
عقبة ^(٣)).

وبلغ المسلمين والمسلمات في المدينة نبأ قتل خبيب وزيد ووجدوا
عليهم وعلموا أن الفرّج قريب إذ جمع الكفار مع الكفر الغدر وقتل
المؤمنين .

وتتجلى معاني الفرّج في المقام بانكار الملائكة للقتل بغير حق
عندما أخبرهم الله عز وجل أنه متخذ ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٤) إذ
قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ^(٥).

(وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا :
لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَا جَدَّ بَطْلٌ ... أَلْوِي مِنَ الْقَوْمِ صَفْرًا خَالَهُ أَنَسُ
إِذَنْ وَجَدْتُ خُبِيًّا مَجْلِسًا فَسَحًا ... وَلَمْ يَشُدَّ عَلَيْكَ السَّجْنُ وَالْحَرَسُ
وَلَمْ تَسْقُكْ إِلَى التَّنْعِيمِ زَعْنَفَةً ^(١) ... مِنَ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدَسُ

(١) السيرة لابن هشام ١٧٣/٢ .

(٢) عيون الأثر ١٤/٢ .

(٣) الإكفاء بما تضمنه مغازي الواقدي رسول الله ٩٠/٢ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٥) سورة البقرة ٣٠ .

دَلُّوكْ غَدْرًا وَهُمْ فِيهَا أُولُو خُلْفٍ. وَأَنْتَ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُحْتَبِسٌ^(٣).
وبعث النبي عمرو بن أمية (وذكر سرية عمرو بن أمية وحلة
لخبيب بن عدي من خشبته التي صلب فيها وفي مسند ابن أبي شيبة
حسنة أنهما حين حلّاه من الخشب التقت منه الأرض)^(٣).

(قال أبو عمر وروى عمرو بن أمية الضمري قال بعثنى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خبيب بن عدي لانزله من الخشب
فصعدت خشبته ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفي
فالتفت فلم أر شيئا)^(٤).

وأما زيد بن الدثنة الذي اشتراه صفوان بن أمية لقتل أبيه ، فبعثه
مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ، ليقتله خارج الحرم ،
واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب الذي سأل زيدا
حينما قدم إلى القتل وقال (أنشدك بالله يا زيد، أحب أن محمدا الآن
عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟

(١) الزعنفه : طرف الأديم الذي يشد به الوتر إذا مد في الدباغ ، والجمع الزعانف
(والزعانف : أجنحة السمك. والواحد كالواحد.

وكل شيء قصير زعنفه.

وزعانف كل شيء. رديته ورذاله. وأنشد ابن الاعرابي:
طيري بمخرأق أشم كأنه ... سليم رماح لم تنله الزعانف
أي لم تنله النساء الزعانف الحسائس يقول: لم يتزوج لثيمة قط فتتاله.
وقيل: إنما سمي رذال الناس زعانف على التشبيه بزعانف الثوب والاديم. وليس بقوي.
والزعانف: الأحياء القليلة في الأبناء الكثيرة. وقيل هي القطع من القبائل تشد وتنفرد،
والواحد من ذلك زعنفه المحكم والمحيط الأعظم ٢٦١/١.

(٢) الروض الأنف ٣/٣٧٢.

(٣) الروض الأنف ٤/٤٢٢.

(٤) عيون الأثر ٢/١٤.

قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا^(١).

ولم يبق خبيب مصلوباً على خشبته ، إنما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ينزله منها ويدفنه ، وفيه وجهان :

الأول : ما رواه عمرو بن أمية الضمري أن (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه عينا وحده قال جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا اتخوف العيون فأطلقته فوقع بالأرض فانتبذت غير بعيد ثم التفت فلم أر خبيبا فكأنما ابتلعت الأرض فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة)^(٢).

الثاني : (عن الضحاك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارسل المقداد والزبير في انزال خبيب عن خشبته فوصلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلا نساوى فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فنذر بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعت الأرض فسمي بليع الأرض)^(٣).

وذكر أن المقداد والزبير حينما وصلا إلى التنعيم حمل الزبير جثة خبيب على فرسه وكان رطباً لم يتغير منه شيء ، فاحس بهم الرجال المشركون الذين كانوا هناك ، فلحقوهم فقذفه الزبير فابتلعت الأرض فسمي بليع الأرض^(٤).

(١) السيرة لابن كثير ١٢٨/٢.

(٢) الخصائص الكبرى ٢٧٤/١.

(٣) الخصائص الكبرى ٢٧٤/١.

(٤) أنظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٨/١.

والمشهور والمختار هو الأول أعلاه ، كما يستبعد وجود أربعين رجلاً حرساً حول جثة خبيب في التنعيم والذي يقع شمال غربي مكة المكرمة ، ويبعد عن المسجد الحرام ستة كيلو مترات ، ويقع خارج الحرم ، ومنه يعتمر أهل مكة لذا يطلقون عليه اسم العمرة ، كما يعتمر منه الحجاج والمعمرون الذين يقومون بالإعمار نيابة عن ذويهم ، وفيه مسجد التنعيم ، سمي به لأن الجبل المشرف عليه من الجنوب الغربي اسمه نعيم ، والجبل المقابل له من الشمال الشرقي اسمه ناعم .

ومن الإعجاز في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الموضع الذي قتل فيه خبيب وزيد من الدثنة ظلماً وتعدياً صار محلاً لشروع مئات الآلاف من المسلمين للعمرة أو الحج منه كل سنة ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

لقد كانت سرية الرجيع شاهداً ومصدقا بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يقصد القتال ، ولا يسعى للغزو ، وأن أصحابه يتحلون بالزهد والتقوى ، ولا هم لهم إلا الإجهاد في التبليغ والدعوة إلى الله .

وعن (عبد الله بن عمرو يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)^(٢).

وإذ قامت قريش بقتل خبيب وزيد بن الدثنة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعفو عمن يقع في يده من المشركين في مثل هذا

(١) سورة القصص ٥.

(٢) مسند أحمد ١٢٣/١٤.

الحال ، ولم تنظر قريش إلى اطلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأسرى بدر ، ومنهم بيدل ومنهم دون بدل مع استشهاد أربعة عشر من المسلمين يوم بدر.

ترى لماذا قتلت قريش خبيثاً وزيداً هذه القتل الشنيعة ، فيه مسائل :

الأولى : حمية الجاهلية الأولى التي يتصف بها المشركون .

الثانية : علاج حال الوهن والإنهيار الذي صار عليها المشركون بعد معركة بدر وأحد .

الثالثة : بعث الخوف في قلوب المسلمين والمسلمات الذين لا يزالون في مكة .

الرابع : إرسال رسالة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن قريشاً في حال حرب معه وأنه وأصحابه مطلوبون ، فلا غرابة أن يقوم أبو سفيان وصفوان بن أمية بالسعي لإغتيال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد منهما يعمل على نحو مستقل ، لبيان قانون وهو أن نجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من محاولات الإغتيال المتكررة معجزة له ، ومن مصاديق العصمة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

الخامسة : الإخبار العملي إلى القبائل المحيطة بمكة ووفد الحاج والمعتمرين بأن قريشاً تترصد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتبذل الأموال من أجل قتلهم ، ولم يعلموا أن قتل خبيب وزيد جعل القلوب تميل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى من قبل أهل مكة لأن الخصومة بين النبي والكفار ليست

شخصية أو على أمور دنيوية ، إنما هي بين العلم والجهل ، وبين المعجزة والجحود ، بين التنزيل والكفر ، قال تعالى ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾^(١).

وصحيح أن الآية نزلت في المبارزة يوم بدر إلا أن موضوعها أعم .

(عن أبي ذر أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية { هذان خصمان اختصموا في ربهم . . . }^(٢) إلى قوله { ان الله يفعل ما يريد }^(٣)) نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم : حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وعلي بن أبي طالب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة .^(٤)

والمدار على عموم المعنى ، وليس سبب النزول وحده ، وكان موضوع نزول الآية المذكورة أعلاه من الخاص بالنسبة للعام وهو الخصومة والتضاد الحاد بين الإسلام والشرك .

ومع قلة عدد أفراد سرية الرجيع فقد تعددت مواضع قتلهم وهي :

الأول : قتل طائفة منهم عند ماء الرجيع نفسه ، إذ أبوا التسليم للمشركين كمرثد بن أبي مرثد وعاصم بن أبي الأقلح .

الثاني : منهم من قتل في الطريق إلى مكة ، وهو عبد الله بن طارق .

الثالث : اللذان صلبا في مكة وقتلا صبراً ، وهما :

(١) سورة الحج ١٩ .

(٢) سورة الحج ١٩ .

(٣) سورة الحج ١٤ .

(٤) الدر المنثور ١٢٨/٧ .

الأول : خبيب بن عدي.

الثاني : زيد بن الدثنة.

ويتجلى في شعر حسان بن ثابت وغيره من الصحابة بخصوص واقعة الرجيع الحزن البالغ الذي نزل بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لفقد هؤلاء النفر من الصحابة .

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا :
فَلَا وَاللَّهِ مَا تَذَرِي هُذَيْلٌ ... أَصَافُ مَاءَ زَمْزَمَ أَمْ مَشُوبٌ
وَلَا لَهُمْ إِذَا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا ... مِنَ الْحَجَرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبٌ
وَلَكِنَّ الرَّجِيعَ لَهُمْ مَحَلٌ ... بِهِ اللَّؤْمُ الْمَيِّنُ وَالْعِيُوبُ
كَأَنَّهُمْ لَدَى الْكَنَاتِ أَصْلًا ... تَيُوسٌ بِالْحَجَّازِ لَهَا نَيْبٌ
هُمْ غَرَّوا بِذَمَّتِهِمْ خُبَيْبًا ... فَبَشَّسَ الْعَهْدُ عَهْدَهُمُ الْكَذُوبُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : آخَرَهَا بَيْتًا عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ .

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي خُبَيْبًا وَأَصْحَابَهُ
صَلَّى إِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأَثَبُوا
رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْتَدٌ وَأَمِيرُهُمْ ... وَابْنُ الْبَكْرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيْبُ
وَابْنُ لَطَارِقٍ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمْ ... وَافَاهُ ثُمَّ حَمَاهُ الْمَكْتُوبُ
وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ ... كَسَبَ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَكُسُوبُ
مَنْعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ ... حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبٌ ^(١).

وعلة الحزن من جهات :

الأولى : غدر المشركين واتخاذهم المكر بسؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبيعهم معهم نفراً من أصحابه لتفقههم في الدين .

الثانية : تعاون المشركين للغدر بالمسلمين واستدراجهم غيلة

وهم :

الأول : بنو لحيان من هذيل .

الثاني : عضل .

الثالث : القارة .

الرابع : كفار قريش في مكة .

لقد جعل الله عز وجل مكة أمناً للناس ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ^(١) فاتخذت قريش من البيت محلاً لعبادة الأصنام و وبذلوا الأموال للغدر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : أفراد سرية الرجيع من القراء أي الفقهاء ، وكانوا يجلبون الماء للمسجد للشرب والوضوء ، ويحتطبون ويبيعون الحطب ليشتروا به طعاماً لأهل الصفة وغيرهم من الفقراء ، أما في الليل فانهم يجلسون لتدارس القرآن والآيات التي تنزل منه .

الرابعة : تنزه المسلمين عن الغدر ونفرتهم منه ، وعلمهم بأنهم لا يقابلون المشركين بمثل ما فعلوه .

الخامسة : الحزن مناسبة للدعاء ، وقد اجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء على الذين قتلوا أفراد سرية الرجيع ، كما لجأوا إلى الله عز وجل لدفع شرور عامر بن الطفيل الذي أمر بقتل أفراد سرية الرجيع ، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم اكفني عامراً واهد قومه) ^(٢) .

لقد كان عامر بن الطفيل فتاكاً ، ولم يأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقتله أو اغتياله ، بل التقى به في المدينة وعرض عليه وعلى صاحبه أريد الإسلام في الوقت الذي حضرا فيه ليغتالا النبي

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٩/٢ .

صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الله صرف شرورهما وعرض عليهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام فامتنعا ، وتوعد عامر بن الطفيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخييل والرجال .

فالتجأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدعاء ، وهو سلاح الأنبياء ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث يدعو على (عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا : اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه داء يقتله)^(١).

فاصيب عامر هذا بالطاعون عندما غادر المدينة ، إذ نزل في ظهرها على امرأة من قومه تسمى سلولية ونام في بيتها ، فأخذته غدة في حلقه ، فأبى أن يموت على الفراش انما وثب على فرسه وأخذ رحمه وصار يدور به (غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ! فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتا)^(٢).

وفي قتل أصحاب الرجيع دليل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبعث أصحابه بالسلام والأمن والفاقة ، ومع هذا منهم من يسمى خروجهم هذا بأنه غزوة الرجيع^{(٣)(٤)}.

وقد أفرد البخاري باباً باسم باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة^(٥).

وسرية الرجيع ليست بغزوة انما هي بعثة علماء للتفقه في الدين باجماع المؤرخين وكتاب السيرة.

(١) سبل الهدى والرشاد ٣٦٢/٦.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ١١٠/٤.

(٣) أنظر ابن كثير / السيرة النبوية ١٢٣/٣.

(٤) السيوطي / الخصائص الكبرى ٣٧١/١.

(٥) صحيح البخاري ٤٦٦/١٢.

ترى لماذا أقدم المشركون على الغدر في استدراج نفر من المسلمين وقتلهم في الرجيع ، فيه وجوه :

الأول : الحسد والغيط الذي ملأ قلوب المشركين لنصر المسلمين في معركة بدر ، وعصمتهم من الهزيمة في معركة أحد.

لقد اعتذرت قريش لهزيمتها في معركة بدر بأنهم كانوا على عجلة من أمرهم ، أما في معركة أحد فقد إستعدوا لها لعام كامل ، وأنفقوا الأموال الكثيرة على الإعداد لها ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(١) ، إذ تدل الآية أعلاه على إصابة الذين كفروا بالحسرة في الحياة الدنيا فليس بين إنفاقهم على معركة أحد وبين الحسرة إلا إنقلابهم من المعركة في ذات اليوم الذي إبتدأت به ، لذا قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢).

ترى ما هي النسبة بين الخيبة التي رجع بها المشركون من معركة أحد ، وبين حال الحسرة التي أصابتهم ، المختار هو العموم والخصوص المطلق ، فالخيبة أعم وفيه بيان لقانون وهو مصاحبة الخيبة والحسرة للكافر عندما يقوم بالتعدي والغزو.

الثاني : مناجاة الذين كفروا فيما بينهم للإجهاز على الإسلام ، وبعد معركة أحد وعجز الذين كفروا عن هزيمة المسلمين أدرك الكفار سطوع شمس الإيمان ، وبناء المجتمع على قواعد وأسس سماوية ، منها أداء الفرائض العبادية والقصاص وحرمة التعدي

(١) سورة الأنفال ٣٦.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

والغزو والنهي عن شرب الخمر والزنا والعقاب عليهما ، وحرمة أكل الربا وتعاطيه مطلقاً إذ أن الحرمة تشمل كل من :

الأول : المربي الذي يأخذ الربا .

الثاني : الذي يقترض المال بالربا والفائدة .

الثالث : الكاتب الذي يكتب وثيقة الدين الربوي .

الرابع : الشاهد على القرض الربوي .

فيه وجوه :

الأول : الطمع في أموال قريش ، لأخذ الصحابة إلى مكة وبيعهم هناك .

الثاني : وجود أحلاف بين قريش وبعض القبائل .

الثالث : سخية التعدي والظلم التي يتصف بها المشركون .

الرابع : عجز المشركين عن غزو المدينة ، فلجأوا إلى الغدر وما ينافي عادات العرب .

ومن الآيات في سرية الرجيع أمور :

الأول : لم تخرج السرية لقتال أو غزو .

الثاني : صيرورة كل فرد من أفراد السرية داعية إلى الله .

الثالث : دخول عدد من الناس الإسلام بسبب صبر أفراد سرية

الرجيع ، والظلم الذي لاقوه من غير سبب .

الرابع : بيان قانون وهو عجز المشركين عن الوصول إلى المدينة ،

ولإيذاء المسلمين فيها ، فيدل استدراج المشركين لبعض الصحابة

بالخيلة والمكر على كون المدينة محصنة .

ومن معاني قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى

أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(١) تعاهد المسلمين لحرمة

الربا، وأن الكاتب الذي يكتب بالعدل يمتنع عن كتابة القرض الربوي .

فمن مصاديق العدل الذي ذكرته الآية أعلاه الإمتناع عن إمضاء الزيادة الربوية وكأن الكاتب في الآية أعلاه حاكم، فلا بد أن يتفقه في الدين .

ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية اليسر والسهولة في تجلي أحكام الشريعة الإسلامية، إذ أن الربا والحرم أمر بين وظاهر، وهو الزائد ومن دون عوض على الدين والقرض المستلم.

ولم يرد لفظ (ليكتب) في القرآن إلا مرتين في هذه الآية لتكون كناية عن كون كتابة الدين من الحكم والقضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واختلف في وجوب أو استحباب كتابة القرض ، والمشهور والمختار هو الثاني ، نعم يتجلى الوجوب بالكتابة بصفة العدل ، وتقدير الآية : يجب أن يكتب الكاتب بالعدل ، فالعدل في المقام حرب على الربا ، ومنع من الجهالة والغرر ، وهو برزخ دون الفتنة وبعث الأسى في نفس الذي يلحقه الغبن عند الكتابة بغير صفة العدل .

ومن إعجاز الآية أنها لم تقل (وليكتب بينكم كاتب منكم) لبيان العموم في صفة الكاتب فيجوز أن يكتب القرض الذي يقع بين المسلمين كاتب من ملة أخرى ولكن يشترط أن يكتب بالعدل وهو من إعجاز القرآن بلحاظ الصفة والضابطة التي تضمن الحقوق ، وتمنع من الفتنة ومن العدل في المقام أن الكاتب سواء كان مسلماً أو غير مسلم لا يحق له كتابة الفائدة الربوية بين المسلمين أو بين مسلم وطرف آخر لحرمة مطلقاً.

سرية القراء

وتسمى أيضاً :

الأول : وقعة بئر معونة .**الثاني** : بعث بئر معونة .**الثالث** : سرية المنذر بن عمرو ، وهو من بني ساعدة بن كعب

بن الخزرج .

لقد قدم أبو براء بن مالك ، وهو من شجعان العرب ، ومن الرؤساء في قومهم ، ويسمى ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآيات والبراهين التي تدل على صدق نبوته ودعاه إلى الإسلام ، فلم يسلم ولكنه لم يبعد ، ولم يححد بنبوته محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه طلب الإمهال مع إظهاره التعضيد في تبليغ الرسالة .

(فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَوْ بَعَثَ أَصْحَابُكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ)^(١).

لقد أظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خشيته من المكر والكيد بأصحابه ولم تقع بعد فاجعة الرجيع إذ كان وفود أبي براء عامر بن مالك في ذات الأيام التي خرجت فيها سرية مرثد بن أبي مرثد والتي هي للتبليغ فحسب .

فقال أبو براء (أنا جار لهم فابعثهم)^(٢).

فبعث النبي أربعين صحابياً ، وذكر أنهم سبعون رجلاً ، وأمر عليه المنذر بن عمرو وأمه هند بنت المنذر بن الجموح ، ولم يعقب ، وشهد العقبة ،

(١) الروض الأنف ٢/٣٨٣.

(٢) الإستيعاب ١/٤٥٥.

وحضر معركة بدر وأحد ، وهو أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحد النقباء الاثني عشر ، ويسمى (أعناق المنذر) وأصل هذه التسمية قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

(أعناق المنذر ليموت يقول مشى إلى الموت وهو يعرفه) ^(١) .

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُحَرِّضُ بَنِي أَبِي بَرَاءٍ عَلَى

عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرَعَكُمْ ... وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ

تَهَكِّمُ عَامِرٌ بِأَبِي بَرَاءٍ ... لِيُخَفِّرَهُ وَمَا خَطَأَ كَعَمَدٍ

أَلَا أَبْلَغُ رَيْبَةً ذَا الْمَسَاعِي ... فَمَا أَحْدَثْتُ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي

أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ ... وَخَالَكَ مَا جَدَّ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ) ^(٢) .

وقال ابن اسحاق : أخى النبي بين المنذر وبين أبي ذر الغفاري ،

واشكّل محمد بن عمر إذ قال أن المؤاخاة قبل واقعة بدر ، وأن

المؤاخاة انقطعت بنزول آية الميراث ^(٣) .

وقد دخل المنذر بن عمرو وسعد بن النعمان الأنصاري مكة

معتمرين ، ولما قضيا مناسك العمرة طلبهما أبو سفيان (فأدرك سعدا

فأسره ، وفاته المنذر فلم يدركه ففي ذلك يقول ضرار بن الخطاب :

تداركت سعدا عنوة فأخذته ... وكان شفاء لو تداركت منذرا

وقال في ذلك أبو سفيان بن حرب شعرا يحث قومه على فكه

من الحجز ، ولم يكن أسرا إنما هو خطف وحجز رهينة ^(٤) .

(١) الطبقات الكبرى ٥٥٥/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥٥٥/٢ .

(٣) أنظر ابن سعد / الطبقات الكبرى ٥٥٥/١ .

(٤) أنظر الإستيعاب ١٨٣/١ .

لقد أسر المسلمون يوم بدر عمرو بن أبي سفيان ، فقيلاً لأبي سفيان : ألا تفتدي عمراً .

فأبى أن يدفع بدلاً عنه ، وقال : قُتل ابني حنظلة وكان يكنى به وافتدي عمراً فأصاب بمالي وولدي .

وفي رواية (أجمع علي دمي ومالي؟! قتلوا حنظلة وأفدي عمراً؛ دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم) ^(١).

وكان عهد الناس بقريش أنهم لا يتعرضون لحاج أو معتمر ، وإن جاء في الأشهر الحلال لحرمة البيت الحرام وعماره ، ولكن أبا سفيان شذّ وقام بمطاردة سعد والمنذر ، ونجا المنذر ولم يقدروا عليه ، وكان سعد شيخاً مسلماً له غنم في النقيع فاسره وحبسه أبو سفيان بأبنة عمرو .

والنقيع : وادي من أودية الحجاز يقع جنوب المدينة وأوله مما يلي المدينة يبعد عنها (٤٠) كم وأقصاه (١٢٠) كم ثم يليه باتجاه المدينة بئر الماشي ، ثم عقيق الحسا إلى ذي الحليفة وهو الميقات الذي يبعد عن المسجد النبوي (١٤) كم ثم مجمع الأسياح ، ويسمى ذو الحليفة بأسماء أخرى وهي :

الأول : آبار علي ، نسبة إلى الإمام علي عليه السلام ، وذكر هذه النسبة عدد من العلماء منهم بدر الدين العيني الحنفي ٧٦٢- ٨٥٥ هجرية في كتابه عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٦/٢٥ .

الثاني : مسجد الشجرة .

الثالث : مسجد الميقات لأنه ميقات أهل المدينة ، ومن يمر بها من أهل الشام والعراق وغيرهم .

الرابع : مسجد المحرم .

الخامس : مسجد الإحرام .

(عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرس، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة وإذا رجع صلى بذي الحليفة ببطن الوادي وبات حتى يصبح)^(١).

لقد كان سعد بن النعمان خارج المدينة يرعى غنمه باتجاه مكة ، فسار إليها لأداء العمرة ، فأختطفه واحتجزه ابو سفيان وهو عند البيت الحرام معتمراً ، وهو من الشواهد على الإرهاب الذي كان يزاوله المشركون .

(قال أبو سفيان: من الطويل :
أرھط ابن أكال أجیبوا دُعاءہ ... تَعَاقدتمْ لَا تُسَلِّمُوا السد الْکَهَلَا
فَإِنْ بني عَمْرُو لثَامِ أَذَلَّةٌ ... لَثْنٍ لَمْ يَفْکُوا عَقَ أُسِيرِهِمُ الْکَبَلَا
فأجابه حسان بن ثابت: من الطويل:
لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطْلَقًا ... لِأَكْثَرِ فِیکم قَبْلَ أَنْ يُؤْسَرَ الْقَتْلَا
بِعُضْبِ حُسَامٍ أَوْ بِصَفْرَاءِ نَبْعَةٍ ... تَحْنِ إِذَا مَا أُنبِضَتْ تَحْفَزُ النِّبْلَا)^(٢).
لقد قام أبو سفيان بغدر ومكر للبيت الحرام وعماره ، وكان الأولى من قریش استهجان فعله ، والإصرار على إطلاق سراح سعد ، وتزويده بمتاع لأنه معتمر ، إنما سكتوا على فعل أبي سفيان وهو من التفرير وفيه سبب لصدود وامتناع الناس عن الحج والعمرة ، لتكون هذه الواقعة من الشواهد على إنكار ولايتهم للبيت الحرام وتعجيل الفتح ، قال تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يَعِذُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ

(١) السيرة النبوي لابن كثير ٢١٨/٤.

(٢) سمط النجوم ٢٥٩/١.

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

ووصل الخبر المدينة المنورة بأن قريشاً أسروا سعد بن النعمان ، وقد دخل مكة معتمراً ، مما يضعف شأن قريش بين القبائل ، ومشى قوم سعد وهم بنو عمرو بن عوف من الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بما اصاب سعد بن النعمان ثم سأله أن يدفع لهم عمرو بن أبي سفيان ليأخذوه إلى مكة ، ويفكوا به سعداً ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذوا عمرو إلى مكة وسلموه إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد بن النعمان .

وهل كان أخذ أبي سفيان سعد بن النعمان من الإرهاب أم أنه من التأسير ، الجواب هو الأول ، وهو من أشد ضروب الإرهاب لأنه خلاف موثيق البيت الحرام التي توارثتها قريش ، فقد تعاقدوا على أمن وفد الحاج والمعتمرين وعلى نصرة المظلوم ، ولكن حينما احتج أبو سفيان سعد بن النعمان لم تحتج قريش ، ولم يعلنوا صراحة لزوم فكه وإطلاقه لأنه جاء معتمراً .

وهل فيه دعوة للمسلمين للتعجيل بفتح مكة ، الجواب لا دليل عليه ، ويجب ألا تكون الوقائع الفردية سبباً للقتال العام ، ولو تصفحت التاريخ لرأيت حروباً نشبت بسبب مسألة شخصية سواء في التاريخ القديم أو الحديث ، ومنه الوقائع التي حدثت في الجزيرة ، فحرب البسوس بين بكر وتغلب وهم أبناء عمومة واصهار .

فجاء الإسلام بالتأكيد على صلى الرحم والإحسان إلى الجار سواء في السكن أو الأرض والديار .

وكلا الطرفين من قبائل وائل ، إذ نشبت الحرب بين :

الأول : قبيلة تغلب بن وائل مع حلفائها .

الثاني : قبيلة بني شيبان من قبيلة بكر بن وائل مع حلفائها ، مع صلة القرى والنسب فقد كانوا متجاورين في الديار واستمرت المعركة أربعين سنة من سنة ٤٩٤ ميلادية ، والذي يقل مدتها بقول أنها استمرت بضعا وعشرين سنة فكان سبب المعركة قتل الملك كليب بن ربيعة لقتله ناقة لامرأة تسمى البسوس ، وقيل لضيف كان عندها ، إذ اختلطت بابله .

مع أن كليباً هذا كان يحمي الجوار وكان يقول وحش أرض كذا في جوارى فلا يهاج ، وكان لا توقد نار مع ناره حتى قيل (أعز من كليب وائل)^(١).

إنما كان إذا وردت إبله الماء لا يرد أحد إبله معها ، وهذا هو السبب في رميه لهذه الناقة بسهم فقتلها .

وعلم الجساس بن مرة ابن اخت البسوس بالأمر فطعنه ، وطلب كليب شربة ماء ، وقال (أغثني بشربة من ماء)^(٢) فامتنع جساس عن إعطائه .

فصار الإسلام حاجة للناس وبرزخاً دون الإبادة العامة .

وكانت الحاجة إلى الإسلام من وجوه :

الأول : حاجة عقائدية بلزوم التوحيد ، ونبد الشرك وعبادة الأوثان التي نصبت حتى في البيت الحرام ، وصار لكل قبيلة فيه صنم ، فيتزلفون إليها ، ويجعلونها وسائط يتقربون بها إلى الله ، ويأبى الله إلا اللجوء إليه في البيت من غير واسطة ، وقد حضر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت في عمرة القضاء ، ثم في حجة الوداع ، ولم يتقرب المسلمون بها ، وكان النبي صلى

(١) لسان العرب / ٧٢٦ .

(٢) الكامل في التاريخ ١/١٨١ .

الله عليه وآله وسلم هو الإمام في الحج وأداء المناسك ، وقال (لتأخذوا عني مناسككم) ^(١) .

فمثلما كان هو الإمام في الدفاع ومنع المشركين من غزو المدينة ، فانه أدى مناسك الحج كما أداها آدم ، وإبراهيم ، والأنبياء السابقون .

الثاني : حاجة اجتماعية لتثيت أواصر المودة وصلات القربى ، وحسن الجوار بين الناس لينعكس هذا الحسن على حياة الأسرة والعائلة .

الثالث : لقد كان الإسلام حاجة وحجة أخلاقية ، إذ يلزم بناء صرح من القيم قائم على التقوى والخشية من الله ، والسعي في مسالك الصلاح ، وهناك ملازمة بين مفهوم الخير والأخلاق الحميدة ، وكل منهما يجذب قلوب الناس ، وجاءت الديانات السماوية بتثيت سننها .

وفرض الله عز وجل على المسلمين الصلاة خمس مرات في اليوم مع وجوب تلاوة القرآن في كل ركعة من الصلاة ، فمن الآيات أن التلاوة لا تختص بذات الصلاة وحدها ، فلا تكون التلاوة مرة واحدة في الصلاة الواحدة كصلاة المغرب ، إنما في كل ركعة منها قراءة للقرآن ، وفيها تنمية للأخلاق الحميدة والسنن الرشيدة .

الرابع : الإسلام حاجة للأمن والسلام ، لقد صار بيعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتنزل القرآن الحق جلياً ، وأنكشف للناس حقيقة وهي أن المعارك والحروب أمر زائد ، ولا يجلب للناس إلا الضرر .

ومن الآيات أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يجهز الجيوش للقتال .

وكان المشركون يعدون العدة بعد معركة بدر لغزو المدينة ،
ويبعثون رسائل التهديد والوعيد ، ولكن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا منشغلين بالذكر والصلاة والتسبيح ،
ويتطلعون إلى نزول آيات القرآن للتفقه في الدين ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١) .

لستجلى حجة للناس جميعاً بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد القتال ، ولا يتهياً للدفاع تهيئاً زائداً ، نعم حينما
صارت جيوش المشركين على بعد بضعة كيلو مترات من المسجد
النبوي ، وأخذوا يسرحون إبلهم وخيلهم في زروع أهل المدينة من
الأوس والخزرج ويرمون بالنبال والسهم كل من يقترب من تلك
الزروع من الفلاحين والمزارعين خرج اليهم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وأصحابه للدفاع ، ليكون هذا الخروج من مصاديق
قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢) .

بمعنى عدم إنقطاع هذا الإعداد وعدم التفريط به أو التهاون في
لقاء المشركين ، فلم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للدفاع إلا
بعد أن صاروا على بعد ستة كيلو مترات من المسجد النبوي ،
وتناجى الصحابة بوجوب الدفاع لما في زحف المشركين هذا من
التحدي والتعدي والاستخفاف .

(١) سورة آل عمران ١٧٠.

(٢) سورة الأنفال ٦٠.

الخامس : الحاجة الأخروية ، إذ تكون حاجة الإنسان في الدنيا مقدمة ومرآة لحاجته في الآخرة ، وهل من نسبة وتقدير بين الحاجتين في الكثرة والقلة ، الجواب لا ، لذا جاء البعث على الإنفاق في سبيل الله وأن الثواب فيه سبعمائة ضعف ، لتكون هذه الأضعاف واقية يوم القيامة ، وكفاية لحاجات من حوائج الآخرة ، قال تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَنَشِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْطُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلُّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ (١) .

إذ يتقوم عالم الآخرة بالحساب على الأفعال في الدنيا ، وترتب الثواب أو العقاب عليها ، فجاء الإسلام بالعبادات وهي مادة للثواب ، وواقية من الذنوب والمعاصي ، قال تعالى ﴿ إِنْ الصَّلَاةَ نَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۝ ﴾ (٢) .

وهل يختص النهي عن السيئات والفواحش بفريضة الصلاة أم كل فريضة عبادية تنهى عن الفحشاء والمنكر ، الجواب هو الثاني ، ويمكن تقدير الآية على وجوه :

- الأول : أن الزكاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .
- الثاني : أن الصيام ينهى عن الفحشاء والمنكر .
- الثالث : أن الخمس ينهى عن الفحشاء والمنكر .
- الرابع : أن حج بيت الله ينهى عن الفحشاء والمنكر .

(١) سورة البقرة ٢٦٥ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٥ .

ويدل عليه إخبار القرآن بأن الله عز وجل هو الذي ينهى عن الفحشاء ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(١) وهل يحتمل أن بعض الفرائض تنهى عن الفحشاء ، وبعضها عن المنكر ، وتختص الصلاة بالنهي عنها معاً ، الجواب لا دليل عليه ، والأصل اتحاد الموضوع في تنقيح المناط .

وسياتي قانون الحاجة الأخروية

ليكون الإمتناع عن الغزو من مصاديق النفع والأجر في الآخرة .
لقد كان عامر بن الطفيل أحقق يسعى للأمرة والرياسة والملك بغير حق ، وحينما بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ملأ قلبه الغيظ وأظهر الخنق ، وأدرك قانوناً وهو دخول الناس وأهل المدن والقرى تباعاً في الإسلام ، وكان يرى وغيره من الناس إنكسار المشركين الذين يقاتلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة وبخصوص معركة أحد ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَقًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢) فجاء عامر بن الطفيل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال له أخيرك بين ثلاث خصال ، وهي :

الأولى : تكون الأرض السهلة للنبي محمد ويكون أهل المدد أي سكان المدن والقرى لعامر بن الطفيل .

الثانية : يكون عامر بن الطفيل خليفة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعده .

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

الثالثة : إن لم يستجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باختيار أحد الأمرين أعلاه قال عامر بن الطفيل (أَغْزُوكَ بِغَطَفَانِ بِأَلْفٍ أَشَقَرٍ وَأَلْفٍ شَقْرَاءَ) ^(١).

أي ألف حصان وألف مهرة ، فلم يرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآلته وآله وسلم بقوله ولكنه لم يوجبه ، ولم يؤذيه إذ كان الناس يأتون إلى المدينة ليتزودوا بسنن الإيمان طوعاً وقهراً ، ولا عبرة بالقليل النادر الذي يأتي المدينة ، وينقلب إلى أهله مستكبراً ، وحتى هذا فان مجيئه لا يخلو من منافع منها :

الأولى : إقامة الحجة عليه .

الثانية : دعوته للتفكير والتدبر في الآيات الكونية وذخائر النبوة .

الثالثة : تذكيره بوجوب عبادة الله ، فالذي يأتي المدينة آنذاك لا يغادرها في يوم أو يومين لبعد الشقة بين المدن وعناء السفر وانتظار الرفقة ، فكان الوافد إلى المدينة يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يقفون بين يدي الله خمس مرات في اليوم ، وهم في حال خشوع وخضوع لله عز وجل ، ويتلو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم في كل ركعة آيات من القرآن فيتدبر بها المسلمون والوافدون .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ^(٢) سلامته من الإغتيال في حالات يكون كل إنسان قريباً منه ، ويستطيع أن يصل إليه ، ومنها :

(١) زاد المعاد ٢/ ٥٢٥.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

الأولى : أثناء إقامة صلاة الجماعة .

الثانية : عند صلاة النبي نافلة على انفراد .

الثالثة : عند صعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر .

الرابعة : حال جلوس النبي في المسجد .

الخامسة : عند دخول وخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وسلم من المسجد ومن البيت ، وصحيح أن عدداً من أصحابه يحيطون به في أغلب الأحيان إلا أن الذي يريد الاغتيال قد يجد ثغرة فوقى الله عز وجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين هذا الشر .

لقد أستجاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لطلب ملاعب الأسنة وبعث معه أربعين من الصحابة في شهر صفر من السنة الرابعة أي بعد معركة أحد بنحو أربعة أشهر (فبعث معه رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، سبعين رجلاً من الأنصار شبيهة يسمون القراء) ^(١) ومنهم :

الأول : المنذر بن عمرو .

الثاني : الحارث بن الصمة .

الثالث : حرام بن ملحان أخو أم سليم وخال أنس بن

مالك .

الرابع : عامر بن فهيرة ، وهو صاحب النبي صلى الله

عليه وآله وسلم في طريق الهجرة أسود البشرة اشتراه أبو بكر فاعتقه وهو ممن أسلم قبل أن يدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وشهد بدرأً واحداً ، وكان عمره يوم بئر معونة أربعين سنة .

الخامس : أبي بن معاذ بن أنس^(١) .

السادس : ثابت بن خالد .

السابع : عروة بن أسماء بن الصلت السلمي .

الثامن : نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي .

وبينما ذكرت سبعة أسماء من أفراد سرية الرجيع التي تردد عدد أفرادها في الروايات بين سبعة وعشرة أي ذكر العدد الأدنى منهم ، فلم يرد ذكر سوى نحو أربعة عشر من أفراد سرية بئر معونة في كتب متفرقة مع أنهم من خيار المسلمين مما يرجح معه أن عددهم أقل حتى من أربعين فضلاً عن السبعين ، ولكن لهول المصيبة صار ذكر هذا العدد.

فالظاهر أنه أقل من أربعين ، وحينما قتل نافع بن بديل بن ورقاء يومئذ رثاه الصحابة (وَقَالَ أَنَسُ بْنُ عَبَّاسٍ السَّلْمِيُّ ، وَكَانَ خَالَ طُعَيْمَةَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَلٍ وَقَتْلَ يَوْمِئِذٍ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ بْنِ وَرَقَاءَ الْخَزَاعِيِّ :

تَرَكْتُ ابْنَ وَرَقَاءَ الْخَزَاعِيَّ ثَاوِيًا ... بِمُعْتَرَكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الرِّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ ... وَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرُ
وَأَبُو الرِّيَّانِ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَبْكِي نَافِعَ بْنَ
بُدَيْلٍ بْنِ وَرَقَاءَ :

رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ ... رَحْمَةً الْمُبْتَغِي ثَوَابَ الْجِهَادِ
صَابِرٍ صَادِقٍ وَفِي إِذَا مَا ... أَكْثَرَ الْقَوْمِ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ^(٢) .
(وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي قَتْلَى بَيْرِ مَعُونَةَ ، وَيَخُصَّ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو :
عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهْلِي ... بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحَا غَيْرَ نَزْرٍ

(١) عيون الأثر ١٩/٢ .

(٢) الروض الأنف ٢٨٤/٣ .

عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَأَقُوا ... مَنَائِهِمْ وَلَاقَتْهُمْ بِقَدَرِ
 أَصَابِهِمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ ... نُحُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بِغَدَرِ
 فَيَا لَهْفِي لِمُنْذَرٍ إِذْ تَوَلَّى ... وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
 وَكَائِنْ قَدْ أَصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ ... مِنْ أَيْبُضِ مَا جَدِ مِنْ سِرِّ عَمْرٍو^(١).
 ويدل هذا الحصر في رثاء عدد قليل من أفراد سرية بئر
 معونة على قلة عددهم ، خاصة وأنها خرجت في ذات
 الوقت والغاية التي خرجت بها سرية الرجيع .
 كما أنهم حينما نزلوا بئر معونة وهي أرض بني عامر
 وطرة بني سليم أرسلوا رسولا منهم إلى عامر بن الطفيل ،
 وهو عدو لله ولرسوله أرسلوا شخصاً واحداً منهم وهو
 حرام بن ملحان وكان يحمل كتاب رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم .

التاسع : أبو عبيدة عمرو بن محسن^(٢) .

العاشر : المنذر بن محمد بن عقبة .

الحادي عشر : الحكم بن كيسان مولى بني مخزوم .

الحاجة إلى البعثة النبوية

لقد كان العرب في حال ضياع يغزو بعضهم بعضاً ، ويقتل
 بعضهم بعضاً ، ويعكفون على أصنام لهم ، وهذه الحال تجعلهم في
 ضيق وخوف دائم ، فالذي يقوى على غزو غيره يخشى من قيام
 الآخرين بغزوه في الليل أو النهار ، والذي يغادر بيته مسافراً أو
 غازياً يخاف على عياله هجوم الآخرين عليهم .

(١) الروض الأنف ٢٨٤/٣ .

(٢) مغازي الواقدي ١٩/٢ .

ومن خصائص الحياة الدنيا أنها (دار الرحمة) إذ يرحم الله عز وجل بها العباد ، ففي كل ساعة هناك رحمة مستحدثة من الله لأي فرد من أهل الأرض ، يدركها ظاهرة في وجوده وحاله ، وما يأتيه من النعم ، وما يصرف عنه من الأذى والضرر ، وفيه مسائل :

الأولى : وجوه الرحمة التي تأتي للعبد مما لا يعلمها إلا الله هي الأكثر.

الثانية : وجوه الرحمة التي يعلمها ويدركها العبد أكثر من التي يجهلها ولا يعلمها .

الثالثة : التساوي بين الأمرين أعلاه .

والصحيح هي الأولى ، فما تنزل على العبد من شأيب الرحمة كل ساعة يعجز عن إحصائها والإلتفات إليها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُعَذِّبُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١).

ومن الرحمة الإلهية المتجددة حضور التنزيل بين الناس ، وانتفاعهم وتزودهم منه لأمر الحياة الدنيا والآخرة ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة خمس مرات في اليوم في أوقات متعددة حسب الظواهر والآيات الكونية من طلوع الشمس وزوالها وغروبها ولو شاء الله لجعل الصلوات الخمس في أن واحد ، ويؤتى بها مرة واحدة ، ولكن أراد الله عز وجل إنبساط ذكر المؤمنين له في آفات الليل والنهار لتتري عليهم النعم .

لقد خرجت سرية الرجيع لتعليم الناس هذه الصلاة بما يمنع من الإرهاب ، ويقطع ضروب الغزو بين الناس فالذين يؤدون الصلاة يصلون ويخشون الله ، ولا يهتمون بغزو غيرهم .

ومن الفطرة أن الناس يأمنون المصلين العابدين فلا يخشونهم ، وقد تجلّى هذا القانون برؤية عامة الناس صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أذى قريش ولجؤته إلى الهجرة عند اشتداد أذاهم عليه وعلى أصحابه ، ولم يرد عليهم ، ولم يأمر باغتيال أحدهم ، ثم جاءت الوقائع لتبين استدامة هذا النهج بعد الهجرة .

إذ يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في كتائب ، ويمرون على القرى والقبائل فلا يهيجون أحداً ، ولا يسلبون مالا ، ولا يستولون على أنعام إنما كانوا ينزلون على مشارف القرى فيؤدون الصلاة جماعة ، ويصدح الأذان ويسمعه الرجال والنساء والصبيان ويأتي المؤذن بفصول التوحيد :

الله اكبر الله اكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، لبيان حرمة البقاء على حال الوثنية وعبادة الأصنام ثم ينادي المؤذن بذات الصوت الجمهوري المرتفع :

أشهد أن محمداً رسول الله ليعلم أهل القرية أن الله عز وجل قريب منهم قال تعالى ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١) ، وأن النبي الذي الذي يرد اسمه في الأذان يجلس في باب قريتهم يدعوهم إلى الإسلام والسلام والنجاة في النشأتين ، وهو أمر لم يتكرر إلى يوم القيامة .

والصلاة من أعظم صيغ الدعوة إلى الله ونبذ الإرهاب والمنع من التعدي والغزو بين القبائل .

وهل أداء الصلاة ونشرها ، وجذب الناس إليها من مصاديق الحاجة للبعثة النبوية ، الجواب نعم ، لما فيها من تهذيب النفوس وإصلاح المجتمعات .

وتجلى قانون وهو إدراك الناس لوجوب عبادة كل واحد منهم لله عز وجل وأن الصلاة المصداق اليومي المتجدد لهذه العبادة ، وهي من مصاديق الصراط في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) والنبوة سفارة بين الله وبين الناس جميعاً ، ولا تختص بفئة أو طبقة من الناس ، والنبى واسطة نزول آيات الأحكام وسنن التشريع ، وما فيه قوام وصلاح السلوك العام ، لذا قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وتحتمل حاجة الناس للنبوة وجوهاً :

الأول : الحاجة للنبوة أكثر من الحاجة إلى الطعام والشراب .

الثاني : الحاجة إلى النبوة مساوية لحاجة الناس للطعام والشراب.

الثالث : حاجة الناس للنبوة أقل من حاجتهم للطعام والشراب.

والمختار هو الثاني أعلاه على نحو التقريب ، وهو من الأسرار في جعل الصلاة الواجبة في الإسلام خمس مرات في اليوم فهي غذاء للروح والبدن ، ونوع طريق لتلقي الغذاء والشراب بأسباب الصحة والسلامة .

لذا قال الله تعالى في خطاب لآدم وحواء ﴿وَكَلَامُهَا رَغَدًا حَيْثُ

شِئْنَا﴾^(٣) لأنهما كانا في الجنة في حال تقوى وانقطاع إلى ذكر الله سبحانه .

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة البقرة ٣٥.

(عن عياض بن حمار أخى بني مجاشع وكان حليفاً لأبي سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس إن الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا إن كل مال نخلته عبدي فهو له حلال وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأنتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم^(١) وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم كلهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان)^(٢).

ويمكن انشاء قانون وهو أن بعثة كل نبي حرب على الإرهاب ، ومانع من الغزو ، فان قلت قد ورد قوله تعالى ﴿وَكَاْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

والجواب صحيح أن هذه الآية تتضمن الإخبار عن قتال عدد من الأنبياء إلا أنها تدل بالدلالة التضمنية على أن قتالهم كان دفاعاً ، ولم يلجأوا إليه إلا عن حاجة واضطرار ، ودفع لشرور المشركين بدليل نعت الآية لصحابة الأنبياء الذين يقاتلون معه بأنهم ﴿رِبِّيُّونَ﴾ أي ربانيون ومن معانيه العلماء الأتقياء .

ولم يرد لفظ ﴿رِبِّيُّونَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، ونعتهم بالكثير لبيان تسليم هؤلاء العلماء بأن القتال يومئذ حاجة ودفع للإرهاب ، وأن القتال كان شديداً ، وهل في الآية أعلاه ثناء على

(١) اجتالهم أي صرفتهم عن سبل الهدى والرشاد.

(٢) تاريخ بغداد ٤٥٧/٨.

(٣) سورة آل عمران ١٤٦.

أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين دافعوا عن النبوة والتنزيل ، وحاربوا إرهاب قريش ، الجواب نعم .

ومن معاني ﴿رَبِّيُّونَ﴾ في المقام أنهم يسعون إلى السلام والسلم ، ولا يتخذون من الحرب مهنة أو حرفة أو مكسباً ، بل لباسهم التقوى ، وحليتهم الزهد ، قال تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (١).

آية الميراث

قل تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكَدُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَبِيهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمَا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢).

ولم يرد لفظ ﴿يُوصِيكُمُ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

والرجال قوامون على النساء ، من القيمومة النفقة ، والمنفق مقدم على المنفق عليه ، ويتطلع المنفق عليه إلى النافلة .

ولم تذكر آية البحث ميراث البنين ، إنما ذكرت ميراث الأختين بقوله تعالى ﴿يَسْتَقْوُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُؤُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكَدُ وَكَهْ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكَدُ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ

(١) سورة البقرة ١٩٧.

(٢) سورة النساء ١١.

فَلَهُمَا الثُّلَاثُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ تَصْلَحُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١).

والبنت أقرب رحماً وأقوى صلة في النسب والميراث من الأخت ، فيكون حكم البنتين بالأولوية أن لهما الثلثين بدليل مفهوم الأولوية وفحوى الخطاب ومفهوم الموافقة ، ولأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، ولو كانت البنت من الزنا فهل ترث ، الجواب لا ، وعليه إجماع علماء المسلمين ، لأنها ليست بنتاً له شرعاً .

ولكن هل له أن يتزوجها ، المشهور والمختار لا يحق له أن يتزوجها ونسب إلى الشافعي القول بجوازه ، لذا قال الزمخشري .

(وإن شافعيًا قلت قالوا بأنني ... أبيع نكاح البنت والبنت تحرم) وصحيح أنه لا حرمة لماء الزاني ، ولكنها مخلوقة من مائه ، وهي شبيهة له في الخلق والصورة ، ولا يصح التلذذ بما هو جزء منه وسبب لوجوده .

وتفرع في هذا الباب مسائل مستحدثة بخصوص الإستساخ البشري ، وأطفال الأنابيب وغيرها .

وابتدأت ذات آية البحث بالخطاب بصيغة جمع المذكر ﴿يُوصِيكُمُ﴾ ولم تقل يوصيك ، وفيه مسائل :

الأولى : إرادة المعنى الأعم وشمول الرجال والنساء بالخطاب ، قال المتنبّي :

(وَمَا التَّائِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلَا التَّذْكِيرُ فُخْرٌ لِلْهَلَالِ)^(٢).

ولقد كان بعض العرب يذمون القمر لأنه :

الأول : يقرب الأجل باطلالة الهلال كل شهر.

(١) سورة النساء ٧٦.

(٢) تفسير الرازي ٣٨٢/١.

وكانت العرب إذا نظرت إلى الهلال قالت لا مرحباً بمحلّ الدين مقرب الأجل^(١).

الثاني : يفضح القمر السارق.

الثالث : يدرك الهارب ، فاذا فرّ في ليلة ظلماء قد لا يرويه .

الرابع : هتك القمر للعاشق .

الخامس : يبلي الكتان واللباس.

السادس : يهرم الشبان مع تقادم الأشهر والسنوات .

السابع : ينسي القمر وتعاقبه ذكر الأحباب .

الثامن : يدني حلول الدين وأوان قضائه .

التاسع : قال ابن الأثير: وبلغني عن العرب أنهم يقولون عند رؤية الهلال لا مرحبا باللجين مقرب أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة في طي ذكر المستعار له^(٢).

ويقال : القمران لافادة تبعية الشمس للقمر للتذكير وقد أكرم الله عز وجل القمر وتكرار طلوع الهلال مرتين للناس أنه مناسبة للعبادة ، وذخيرة ليوم القيامة ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٣).

الثانية : إرادة عدم بخس الأبناء حتى عندما تكون التركة من الأمهات، إذ تكون سلطة الأب حيثئذ أكثر مما لو كانت الأم هي الوارثة مع الأبناء ، وكان الصحابة يتوارثون بالمؤاخاة .

ومن الأعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التكامل في نظام المواريث بما يمنع من الخلاف والفرقة والشقاق بين كل من :

(١) لسان العرب ١٦٣/١١ .

(٢) ضياء الدين ابن الأثير ٦٣٧ هجرية ، كتاب المثل السائر في أدب الكاتب ٣٦٠/١ .

(٣) سورة البقرة ١٨٩ .

الأول : أفراد الأسرة .

الثاني : صلات القربى بالنسب والسبب .

إذ تدخل في الميراث الزوجة أو الزوجات المتعددات ، وأبناء
الضررات.

الثالث : منع الفرقة بين الأخوة والأخوات ، وقد ينتج عن هذه
الفرقة ضعف بنت المتوفى عند زوجها وأهلها في حال الغبن
والخصومة على الميراث .

الرابع : لقد جاء القرآن والسنة لصلة الرحم ولزوم تعاهدها ،
قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(١) وقال تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ
فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) ليكون من مصاديق صلة
الرحم في الكتاب نظام الميراث بحسب مراتب الإرث وهي :

المرتبة الأولى : الأبوان والأولاد وإن نزلوا .

المرتبة الثانية : الأخوان والأجداد .

المرتبة الثالثة : الأخوال والأعمام .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (إن الرحم
معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله).

وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي
هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن للرحم
لساناً يوم القيامة تحت العرش فتقول يا رب قطعت يا رب ظلمت يا
رب أسيء إليّ فيجيئها ربها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع
من قطعك.

(١) سورة الرعد ٢١.

(٢) سورة الأنفال ٥٧.

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للرحمن لسناً ذليلاً يوم القيامة رب صل من وصلني واقطع من قطعني.

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي عن طاوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للرحم شعبة من الرحمن تجيء يوم القيامة لها جلبة تحت العرش تكلم بلسان ذلق فمن أشارت إليه بوصل وصله الله ، ومن أشارت إليه بقطع قطعه الله.

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرحمن معلقة بالعرش لها لسان ذلق تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني.

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في حلقة فقال : إنا لا نحل لرجل أمسى قاطع رحم إلا قام عنا فلم يقم إذا فتى كان في أقصى الحلقة فأتى خالة له .

فقلت : ما جاء بك؟ فأخبرها بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فجلس في مجلسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما لي لا أرى أحداً قام من الحلقة غيرك فأخبره بما قال لخالته وما قالت له فقال : اجلس فقد أحسنت ألا أنها لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم^(١).

وهل نظام الميراث من صلة الرحم ، الجواب نعم ، ومن أسرارها أنه صلة بين الأحياء من ذوي القربى وبين الأموات والأحياء .

وهل هو سبب في إطالة الأعمار ، الجواب نعم (عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من سره النساء في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه)^(١).

تري كيف تكون صلة الرحم بالنسبة للميراث خاصة وأن المورث قد مات ، الجواب إنه صلة رحم بين الأحياء في التقسيم العادل بالميراث ، ومنه قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى﴾^(٢).

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار صلة الأرحام ، لتكون هذه الصلة وسيلة نشر شأيب المودة بين الناس .

وتبين الآية تفضيل الذكر على البنت في الميراث مع إتحادهما في القرابة ، ولم تبين الآية علة هذا التفضيل ، وقد أشار إليه القرآن بقوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٣) وتجلي هذا التفضيل من بداية الخلق إذ كان المائز والتفضيل لآدم من وجوه:

الأول : نفخ الله عز وجل في آدم من روحه ، قال تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٤).

(١) الدر المنثور ٤/ ٢٢٤.

(٢) سورة النساء ١١.

(٣) سورة النساء ٣٤.

(٤) سورة السجدة ٩.

الثاني : تكليم الله عز وجل لآدم قبلاً ، ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(١) نعم اشترك آدم وحواء بالإقامة في الجنة أياما ، وبتكليم الملائكة لهما .

ويمتثل الإنتفاع من هذه الإقامة وتكليم الملائكة وجوهاً :
الأول : انحصار إنتفاع آدم وحواء منه مدة بقائهما في الجنة .
الثاني : هبوط آدم وحواء الى الأرض بالمنافع العظيمة من هذه الإقامة ، والاختلاط مع الملائكة .

الثالث : اقتباس الأنبياء من هذه الإقامة .
الرابع : تزود المؤمنين من اقامة آدم وحواء في الجنة ، وتكليم الملائكة لهما ، وهو من مصاديق التقوى ، في قوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٢) .

الخامس : إنتفاع ذرية آدم قاطبة من إقامته وحواء في الجنة .
 والمختار هو الأخير ، فحينما كلم الله عز وجل آدم قبلاً وأمره بتعليم الملائكة فان منافع هذا الكلام تركة عقائدية وعلمية تتوارثها الأجيال إلى يوم القيامة ، وهي من أسرار الوقاية من الإرهاب ونبذ عامة الناس له ولسفك الدماء .

الثالث : سجود الملائكة لآدم وتكرار خبر هذا السجود خمس مرات في القرآن دليل على إكرام الله عز وجل والملائكة لآدم وذريته ، لم ينزل آدم إلى الأرض خليفة إلا بعد أن جرت له مراسيم خلافة لم تحدث في تأريخ الخلائق كلها بأن سجد الملائكة له ، ولم يكن

(١) سورة البقرة ٣٣ .

(٢) سورة البقرة ١٩٧ .

هذا السجود ابتداءً من الملائكة إنما كان بأمر من عند الله عز وجل ، وهو من أعظم مصاديق الإكرام .

وهل أمر الله عز وجل الملائكة للسجود لغير آدم من الخلائق ، كما لو أمرهم بسجود بعضهم لبعض ، أو أمرهم بالسجود لكبار الملائكة أو المخلوقات أخرى ، كما في الروح في قوله تعالى ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(١) .

المختار لا ، فلم يثبت سجود الملائكة لغير الله سبحانه ، أما سجودهم لآدم فلم يكن سجود عبادة إنما هو إكرام لآدم لأن الله نفخ فيه من روحه ولأنه خليفة الله في الأرض ، وفيه طاعة لله تعالى . وعن ابن عباس قال : أمر من أمر الله وخلق من خلق الله ، وصورهم على صورة بني آدم . وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح ، ثم تلا {يوم يقوم الروح والملائكة صفاً}^(٢)^(٣) . ومن إعجاز القرآن ذكره بعض الوقائع وفيه دعوة عامة للمسلمين للتدبر فيها .

وفي تكرار ذكر سجود الملائكة لآدم في القرآن مسائل :

الأولى : إنه تشریف إضافي لآدم عليه السلام وذريته .

الثانية : دعوة المسلمين للتدبر في آية سجود الملائكة لآدم .

الثالثة : بعث المسلمين للشكر لله عز وجل على نعمة السجود

لآدم .

(١) سورة النحل ٢ .

(٢) سورة النبأ ٣٨ .

(٣) الدر المنثور ١١٩/٦ .

الرابعة : حث المسلمين والناس جميعاً على التآسي بالملائكة في طاعة الله والإنقياد لأوامره ، قال تعالى في الثناء عليهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) ، وهل الملائكة مكلفون أم ليسوا بمكلفين ، وأن التكليف خاص بأهل الأرض من الإنس والجن ، وأن الملائكة خارجون بالتخصيص من الوعد والوعيد .

الجواب هو الأول ، لقانون من الإرادة التكوينية وهو ما من مخلوق إلا وهو مكلف كل بحسبه ولكنهم لم يكلفوا بذات التكليف التي عليها البشر ، قال تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢) ، وذات الخوف من الله عبادة ، إلى جانب دلالة الآيتين أعلاه على امثال الملائكة لأوامر الله عز وجل .

إن ذكر الملائكة في القرآن وخضوعهم وخشوعهم لله عز وجل وسجودهم لآدم وتنزههم وعصمتهم عن المعاصي والتعدي دعوة للناس جميعاً لنبد الظلم والإرهاب والتفجيرات العشوائية . وسجود الملائكة لآدم شاهد على حب الله عز وجل له ولذريته ، ويملي إطلاع الخلائق واسماها وهم الملائكة على تجليات هذا الحب على الناس التحلي بالسنن والأخلاق الحميدة ، وإظهار معاني التأخي والتعاون والتعاقد بينهم .

وعن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر

(١) سورة التحريم ٦ .

(٢) سورة النحل ٥٠ .

على أسود إلا بالتقوى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(١)، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائها، كلكم لآدم وحواء كطف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، فمن أتاكم ترضون دينه وأمانته فزوجوه.

وأخرج أحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أنسابكم هذه ليست بمسيئة على أحد، كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملأوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة، أكرمكم عند الله أتقاكم^(٢).

ونزلت آيات في آدم عليه السلام:

الأولى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ

وكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، بينما سأل الملائكة عن علة جعل آدم

﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤)، عندما أخبرهم الله وذكروا أن من الناس

من يفسد ويفجر، ويظهر سفك الدماء بين الناس ولكن الملائكة لم يسألوا ولم يترددوا في الإستجابة لأمر الله عندما أمرهم بالسجود

لآدم لبيان التباين بين الخير والأمر، فاذا جاء الأمر من عند الله عز وجل فليس للملائكة إلا المبادرة إلى الإستجابة وفيه تأديب لآدم

وذريته.

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) الدر المنثور ٩/٢٦٨.

(٣) سورة البقرة ٣٤.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

لقد علم آدم الملائكة الأسماء فقام الملائكة بتعليمه الإمتثال لأوامر الله من غير تردد أو إبطاء ، وهذا التعليم رأفة بالناس جميعاً ، وفيه وجوه :

الأول : إنه بشارة اللبث الدائم في الجنة لمن يطع الله ورسله ، قال تعالى ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَّشَاءُ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَاِنْ تُوْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ ﴾ (١) (٢).

الثاني : إنه إنذار للكفار والذين يعصون أوامر الله.

الثالث : دعوة الناس لعدم اتباع الشيطان في استكباره ومعصيته ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوْا مِمَّا فِى الْاَرْضِ حَلٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴾ (٣).

الثانية : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلِيْسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّٰجِدِيْنَ ﴾ (٤).

وقيل في تفسير الآية أعلاه أي بخلقنا وتصويرنا لايكم آدم .
والمختار حمل الكلام على ظاهره .

الثالثة : ﴿ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلِيْسَ قَالَ اَسْجُدْ لِمَنْ اَخْلَقْتُ طَيِّبًا ﴾ (٥).

(١) سورة آل عمران ١٧٩.

(٢) أنظر الجزء الحادي والثمانين بعد المائة من هذا السفر والذي اختص بتفسير الآية أعلاه.

(٣) سورة البقرة ١٦٨.

(٤) سورة الأعراف ١١.

(٥) سورة الإسراء ٦١.

الرابعة : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(١).

الخامسة : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾^(٢).

الرابع : نيل آدم مرتبة النبوة ليكون أول نبي في الأرض ، وتكون حواء من أنصاره وأتباعه .

وكانت عضداً وعوناً ونصيراً وتابعاً له لبيان قانون وهو لا بد من اتباع لأي نبي من الأنبياء ، إلا أن يدل دليل على الخلاف .

الخامس : ذكر آدم بالاسم في القرآن بينما ورد ذكر حواء بلفظ زوجة بقوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) .

السادس : مخاطبة الله عز وجل لآدم أيضاً بقوله تعالى :

الأولى : ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٤) ، لبيان أن رسالة الإنسان في الأرض طلب العلم والارتفاع الأمثل منه ، وإتخاذه وسيلة للعودة الى الجنة بالإيمان والعمل الصالح ، وهذا الطلب من مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥) ، لذا أمر الله المسلمين

(١) سورة الكهف ٥٠.

(٢) سورة طه ١١٧.

(٣) سورة البقرة ٣٥.

(٤) سورة البقرة ٣٣.

(٥) سورة الفاتحة ٦.

بتلاوته سبع عشرة كل يوم أي في كل ركعة من الصلاة اليومية مرة واحدة.

الثانية : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ليبان قانون وهو أن الفوز باعظم النعم لا يحتاج إلى الإرهاب أو الى القتل والغزو والإقتال ، والسماوات والأرض كلها ملك لله عز وجل ، وكأن الشجرة المنهي عن الإقتراب منها هي شجرة الإرهاب وسفك الدماء الذي حذرت منه الملائكة.

الثالثة : ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢).

وفي الآية أعلاه تحذير لآدم وحواء وذريتهما إلى يوم القيامة من ابليس وإغوائه ، والذي يزين القتل والإرهاب والفجور للذين يتبعونه.

الرابعة : ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾^(٣).

لقد قام إبليس بالهمس في إذن آدم كلاماً خفياً للمكر والإيقاع به كيلا تسمعه الملائكة فيقدموا النصيح والتحذير لآدم، وهناك مسائل:

الأولى : هل كان بإمكان آدم وحواء إستشارة الملائكة بخصوص كلام إبليس.

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة طه ١١٨.

(٣) سورة طه ١٢٠.

الثانية : لو إستشار آدم وحواء الملائكة هل ينصحنهما بعدم الأخذ بمشورة إبليس، ويبينون لهما أنها وسوسة وغش ومكر.

الثالثة : لو إمتنع آدم وحواء عن الأكل من الشجرة المنهي عنها، فهل يبقيان في الجنة أم يقع إبتلاء آخر بغير الأكل من الشجرة.

أما المسألة الأولى فيأمكن آدم وحواء مجتمعين ومتفرقين إستشارة الملائكة، فليس من حاجز أو برزخ بينهم، وأما المسألة الثانية فإن الملائكة يتعاونون في نصيحة آدم وحواء، ويسارعون لنبد إبليس وفضحه.

وأما المسألة الثالثة فقد خلق الله عز وجل آدم ليكون ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

ولا يعلم نوع هذا الإبتلاء إلا الله، والمختار أنه لا يكون عن طريق الغش والمكر بآدم إنما بطريقة فيها إكرام وثناء وتشيع الملائكة آدم وحواء إلى الأرض.

(وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قام إلى الصلاة يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)^(٢).

وقد ورد الخطاب إلى النبي آدم خمس مرات أيضاً في القرآن وهي :

الأولى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١٨١/٧.

(٣) سورة الأعراف ٢٦.

الثانية : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وتبين الآية قانوناً وهو أن في الدنيا إفتناناً، ومصدره الشيطان وجنوده، فصحيح أن أول الآية ذكر الشيطان، ولكن جاء في وسطها قوله تعالى ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٢).

أنهم يسرون بحال الفتنة والإرهاب والإقتال بين الناس، حتى بين الذين يطيعون الشيطان في مسالك الضلالة والفسوق، وقد تقدم الإخبار من عند الله بأن الشيطان عدو مبين للناس جميعاً، ومن معاني الآية الكريمة أن الدنيا كالجنة للناس إن إمتنعوا عن الإنصات لوسوسة الشيطان وأتباعه .

ولا يصح إفسادها بالقتل وسفك الدماء الذي حذرت منه الملائكة يوم خلق الله آدم.

وجاءت آيات القرآن للتذكير بوسوسة إبليس لأدم والأضرار التي ترسخت عنها وعن الإستماع لها، لتكون موعظة للناس بلزوم تعاهد الأمن في الحياة الدنيا.

الثالثة : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف ٢٧.

(٢) سورة الأعراف ٢٧.

(٣) سورة الأعراف ٣١.

وتدل الآية بالدلالة التضمنية على لزوم عمارة الناس للمساجد، ودور العبادة، فمن الإعجاز في الآية أنها لم تقل (يا أيها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كل مسجد) إنما نزلت بصيغة العموم. وعن ابن عباس في قوله {خذوا زينتكم عند كل مسجد} قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة، والزينة اللباس، وهو ما يوارى السوء وما سوى ذلك من جيد البر والمناجاة^(١). وموضوع الزينة في آية البحث بحسب أمور:

الأول: الحال.

الثاني: الشأن.

الثالث: العرف العام.

الرابع: الزمان.

ففي كل زمان هناك مصداق للزينة، فجاءت الآية مطلقة، ومن الزينة التحلي بالأخلاق الحميدة وتحلية المساجد بالذكر والتسبيح وإفشاء السلام، وتدل الآية في مفهومها على حرمة تفجير المساجد ودور العبادة.

والمساجد دور عبادة المسلمين، ومع هذا جاء الخطاب في الآية للناس جميعاً بلحاظ تنزيه المساجد عن الأخلاق المذمومة والفتن والإرهاب والتفجيرات، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا...﴾^(٢).

(١) الدر المنثور ٤/٢١٥.

(٢) سورة البقرة ١١٤.

وقال تعالى ﴿وَأَنِّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(١)، والمسجد للمسلمين، والكنيسة والبيعة والكاتدرائية للنصارى والكنيسة لليهود والصومعة للرهبان، وبيت النار للمجوس.

الرابعة : ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُصْغَرُ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ آيَاتِي فَتَنٌ أَتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وجاءت الآية أعلاه بالنداء العام للناس، مع كون الموضوع خاص وهو المساجد، إلا أن يحمل لفظ المساجد على مطلق دور العبادة والسجود والخضوع لله عز وجل.

وذكرت هذه الآية الرسل وأنهم من بني آدم وفي التنزيل بيان للجدال والحوار بين الرسل والذين كفروا من قومهم، قال تعالى ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَنِّي اللَّهُ شَكَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ♦ قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣).

لقد تضمنت آية البحث هذه الترغيب بأمور:

الأول : التقوى.

الثاني : الإصلاح.

الثالث : إجتماع التقوى والإصلاح.

(١) سورة الجن ١٨.

(٢) سورة الأعراف ٣٥.

(٣) سورة إبراهيم ١٠-١١.

وتبين الآية أن هذه الغاية الحميدة حاضرة في كل الرسائل السماوية، ومن التقوى الإمتناع عن الإرهاب والتنزه عن الإضرار بالغير، كما أن الإرهاب والتفجيرات العشوائية أو المقصودة مخالفة للإصلاح الذي ذكرته الآية أعلاه.

الخامسة : ﴿لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

لقد ذكرت الآية عبادة الشيطان والمراد طاعته وإتباع خطواته في البغي والظلم والفجور، وإذ نهت آية البحث عن عبادة الشيطان، فإن الآية التي بعدها تأمر الناس جميعاً بعبادة الله، وهو سور الموجبة الكلية المانعة من التكفير والإرهاب والعنف باسم العبادة إذ قال تعالى ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢).

وجاءت خمس آيات تذكر آدم بما فيه إكرامه وهي :

الأولى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

الثانية : ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

الثالثة : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

(١) سورة يس ٦٠.

(٢) سورة يس ٦١.

(٣) سورة البقرة ٣١.

(٤) سورة البقرة ٣٧.

الرابعة : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فِتْنَيْهِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٢).

الخامسة : ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٣).

وهناك آيات ذكرت آدم في بيان إكرام الله عز وجل للأنبياء خاصة وجنس الإنسان عامة ، وهي خمسة :

الأولى : ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَشَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

الثانية : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

الثالثة : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنَّا نَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٦).

الرابعة : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

(١) سورة آل عمران ٣٣.

(٢) سورة طه ١١٥.

(٣) سورة طه ١٢١.

(٤) سورة آل عمران ٥٩.

(٥) سورة المائدة ٢٧.

(٦) سورة الأعراف ١٧٢.

لقد أخبر الله عز وجل عن إكرامه للناس جميعاً على اختلاف مشاربهم ، والتباين في أفعالهم ، وجاءت الآية بصيغة الفعل الماضي (اكرمنا) فهل انقطع هذا التكريم .

الجواب لا ، فانه مصاحب لأجيال الناس المتعاقبة ، ولم تذكر الآية مصاديق الإكرام ، ولو دار الأمر بين الأقل والأكثر ، فالصحيح هو الثاني ، لأن الله عليه عز وجل يهب من غير حدود أو قيود .

وإبتدأ الإكرام بخلق آدم والنفخ فيه من روح الله ، واختلاطه بالملائكة في الجنة ، ومن مصاديق الإكرام ما هو ظاهر كالقوام الحسن ، قال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١) ، ومنها نعمة العقل والتميز وتسخير النعم الأرضية والسمائية ، وكل حيوان يتناول طعامه بفمه ويشق عليه تقطيعه ومضغه أما الإنسان فانه يتناول طعامه بيده ، ويرفعه الى فمه .

فان قيل القرد يتناول طعامه بيده والجواب يد القرد كرجله إذ يمشي عليها ويطأ بها الأرض ، وهل من مصاديق الإكرام ما سيقع في الزمن الحاضر والمستقبل الجواب نعم ، لإرادة استدامة معاني ودلالات الفعل الماضي ، وانبساطها على أفراد الزمان الطولية الثلاثة ، قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾^(٢) .

(١) سورة الإسراء ٧٠.

(٢) سورة التين ٤.

(٣) سورة الجاثية ١٣.

وورد لفظ (سَخَر) أي بصيغة الماضي أيضاً ومصاديقه متجددة ومتكثرة كل يوم ، ويدل لفظ (جميعاً) أعلاه بأن الوسائط العلمية والآلية لهذا التسخير هي من عند الله عز وجل.

وهل قوله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١) ، من ذات التكريم أم أنه موضوع إضافي مستقل الجواب هو الثاني ونسب الله عز وجل الحمل له سبحانه لبيان أنه تعالى هو الذي حفظ بني آدم وذريتهم وجعلهم ينتشرون في أرجاء المعمورة ليعمروها بذكر الله وإقام الصلاة.

ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية أداء كل مسلم ومسلمة الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة وبما ينبسط على أوقات ساعات النهار والليل لتحيا الأرض بذكر الله ، وتكون بقع البحر التي يملأونها في السفن شاهداً على أدائهم الصلاة وذكرهم لله وتلاوتهم القرآن فيها .

ولم تقل الآية وحملناهم في البر بركوب الأنعام ، وفي البحر بركوب السفن إنما جاءت الآية بصيغة الإطلاق في آلة الحمل لتشمل البواخر وغيرها، وما يأتي به المستقبل من وسائط نقل بحرية سريعة لا يعلمها إلا الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ﴾^(٢) ،

وهو من مصاديق الآية الكريمة لبيان شكر الناس لله عز وجل على نعمة وسائط النقل وكيف أنها سبب لحفظ الجنس البشري قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَاطِقِي الْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً﴾^(٣) ، لبيان أن من منافع البحار والأنهار نجاة الناس من الآفات الأرضية

(١) سورة الإسراء ٧٠.

(٢) سورة فاطر ١٢.

(٣) سورة الحاقة ١١-١٢.

والسماوية ، وبقاء الحياة على الأرض إلى ﴿الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ﴾^(١) ، وقد تكرر لفظ ﴿وَرَوَى الْفَلَكَ﴾ مرتين في القرآن^{(٢)(٣)}.

وورد لفظ (وترى) اثني عشرة مرة في القرآن في خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه لم ير البحر وجريان الفلك فيه فهل المراد منه وجوهاً :

الأول : إرادة المعنى العام وتقريبه للأذهان.

الثاني : بيان حال وأمر واقع يعلمه الناس جميعاً.

الثالث : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه يكشف له الحجاب فيرى البواخر تجري في البحار.

الرابع : يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم البواخر وعالم البحار بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى .

ولا تعارض بين هذه الوجوه وكلها من مصاديق الآية والإعجاز فيها ، وفي نوح ونجاته من الطوفان ورد قوله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾^(٤) ، والمراد من الدسر المسامير .

يقال : دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير^(٥).

إن ذكرت سفينة نوح من الألواح والمسامير ، أما الحمل في البحر فجاء مطلقاً لتعدد وسائط النقل البحري ، وتؤكد عليه الآية الكريمة ، وتدعو للإنتفاع الأمثل منه ، وإجتناّب إتخاذ البحار جملاً للقتال أو الإرهاب.

(١) سورة الحجر ٣٨.

(٢) أنظر سورة النحل ١٤.

(٣) أنظر سورة فاطر ١٢.

(٤) سورة القمر ١٣.

(٥) الكشف والبيان ١٣/٤٤.

الخامسة : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝﴾^(١).

وتذكر الكتب السماوية كلها خلق آدم وإقامته في الجنة ، وفي التوراة خلق الله السموات والأرض في ستة أيام كالآتي :

الأول : خلق الله الشهور .

الثاني : خلق الله السماء .

الثالث : خلق الله الأرض والبحار .

الرابع : خلق الله القمر والنجوم .

الخامس : خلق الله الطيور والأسماك .

السادس : خلق الله آدم والبهائم والوحوش والزواحف .

ويتضمن سفر التكوين الحديث عن الخليقة وخلق آدم وحواء ونسلهما.

(وجبل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى ادم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به ادم ذات نفس حية فهو اسمها

٢: ٢٠ فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية واما لنفسه فلم يجد معينا نظيره

٢: ٢١ فاقع الرب الاله سباتا على ادم فنام فاخذ واحدة من اضلاعه و ملأ مكانها لحما

٢: ٢٢ و بنى الرب الاله الضلع التي أخذها من ادم امرأة واحضرها الى آدم.

٢: ٢٣ فقال آدم هذه الان عظم من عظامي و لحم من لحمي هذه تدعى امرأة لانها من امرء اخذت

٢: ٢٤ لذلك يترك الرجل اباه و امه و يلتصق بامرأته و يكونان جسدا واحدا

٢: ٢٥ و كانا كلاهما عريانين ادم و امرأته و هما لا ينجلان^(١).
لقد كان آدم نبياً رسولاً ترى هل تدخل كيفية خلقه وخلق حواء و اقامته في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض في التوقي والسلامة من القتال والغزو .

الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) في رد الله عز وجل على الملائكة عندما احتجوا على جعل الإنسان خليفة في الأرض ، ليكون مما توارثه الأنبياء تعاهد السلام في الأرض .

ومن مصاديق الآية أعلاه أن الذي صرفه الله عز وجل عن الناس من القتال والحروب أكثر مما وقع منها ، ومن الشواهد عليه فترة نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس بعد تلقيه الوحي ، وهي ثلاث وعشرون سنة.

ولا يعلم ما صرفه الله عز وجل من ضروب القتال عن المسلمين والناس إلا هو سبحانه ، وهناك مصاديق تاريخية تبين إجتماع أسباب القتال ، ومع هذا لا يقع بفضل من الله .

(١) سورة الإسراء ٧٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

وعدم الوقوع هذا من مصاديق قوله تعالى ﴿يُنْحُوا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ
وَيُثَبِّتُ﴾^(١) لبيان مسألة وهي أن الذي يقع من القتال إنما هو بمشيئة
الله ، وقد يكون فيه إصلاح للبشر وفوز للأنبياء وأصحابهم ، وحجة
على الذين كفروا ، ولييان قانون لزوم الإيمان لأن الدين السماوي
يحول دون سفك الدماء.

ولا تختص أحكامه بهذه الحيلولة إنما تشمل قوانين تضبط أقوال
وأفعال الناس بما ينشر أسباب المودة والرافة بينهم ، وقد أكد القرآن
والسنة النبوية على رد التحية والسلام ووجوبه ، كما في قوله تعالى
﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٢).

ومن أسماء الله عز وجل (السلام) واقترن ذكره في الآية بأسماء
أخرى لله ، وتعقبه اسم المؤمن ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾^(٣) لبيان أن الله سبحانه يتعاهد السلام في الأرض.

ويستحب السلام على أهل المقابر أيضاً ، وهناك نصوص نبوية
في المقام (عن أنس بن مالك قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عن زيارة القبور ثم قال زوروها ولا تقولوا هجرا)^(٤).

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) سورة النساء ٨٦.

(٣) سورة الحشر ٢٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٢٩/٣.

(وعن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل علي بن أبي طالب عليه السلام الدار فأنشأ يقول :

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذي دون الفراق قليل

وإن افتقادي واحداً بعد واحد

دليل على أن لا يدوم خليل.

ثم دخل المقابر فقال : السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسّمت ودوركم سكنت ، وأزواجكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟

فهتف هاتف : وعليكم السلام ما أكلنا ربّحنا وما قدّمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا^(١).

وقد ذكر آدم في القرآن خمساً وعشرين مرة وهو بعدد أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن ، وأيهما أكثر الناس أم بني آدم ، الجواب الناس لأن آدم وحواء من الناس وليس من بني آدم ، لذا فمن الإعجاز في فرض حج البيت الحرام قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢) لبيان وجوبه على آدم وحواء.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما أفاض آدم عليه السلام من عرفات تلقته الملائكة فقالوا له : بُرّ حجك يا آدم أما إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢١٥/١.

(٢) موسوعة الكتاب المقدس ٤٣/١.

وورد الحديث (عن ابن عباس قال : حج آدم فطاف بالبيت سبعا ، فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا : برحك يا آدم ، أما إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام .

قال : فماذا كنتم تقولون في الطواف؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال آدم : فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فزادت الملائكة فيها ذلك ، ثم حج إبراهيم بعد بنائه البيت ، فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه .

فقال لهم : ماذا كنتم تقولون في طوافكم . قالوا : كنا نقول قبل أيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فاعلمناه ذلك ، فقال : زيدوا ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقال إبراهيم : زيدوا فيها العلي العظيم . فقالت الملائكة ذلك^(١) ، وورد عن ابن عمر^(٢) .

ولا يعني تفضيل الرجل على المرأة إختصاص الرجل بالنعيم إذ تشاطره المرأة طوعاً وانطباعاً ويعملان معاً للذرية ، وسجد الملائكة لآدم كي يتعاهد الإيمان في ذريته ، وتسلم حواء بأن زوجها نبي وأن النبوة تنتقل إلى أبنائها من بعده من غير أن تحتج حواء ، أو تدعي الأولوية بنيل مرتبة النبوة لأنها لبثت في الجنة آناء ماء وأكلت من ثمارها ، وكلمها الملائكة وجهاً لوجه .

إن حصر النبوة والقيومة بالرجال دعوة لهم للتعاون في التنزه عن المعاصي ، وإجتنب للإرهاب .

(١) الدر المنثور ١/٢٥٦ .

(٢) أنظر الدر المنثور ١/٨٦ .

قانون السلام أمان وأمانة

من أسماء الله السلام والمؤمن ، وجاء متجاورين في القرآن بقوله تعالى ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّنُ﴾^(١) وتتغشى رحمة الله سبحانه الخلائق كلها ، وهو الذي يمنح الأمان ويدفع الشرور والآفات عن الناس .

ومن أسماء الله اشتق السلام والتحية لبيان أن السلام والأمن عهد الله في الأرض ، وما الغزو والظلم والإرهاب إلا هي ضد للسلام وسعي في نقضه ومحاوله لهدمه ، فتفضل الله عز وجل ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإشاعة السلام بين الناس ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَقْسَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٢).

والأمن بلحاظ العوالم الطولية على أقسام :

الأول : الأمن في الحياة الدنيا .

الثاني : الأمن في عالم البرزخ .

الثالث : الأمن في عرصات يوم القيامة .

الرابع : الأمن في دار القرار وبعد إنقضاء الحساب ، إذ ينعم

المؤمنون باللبث الدائم في الجنة ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا

(١) سورة الحشر ٢٣.

(٢) سورة النساء ٩٤.

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ .

فالأية أعلاه بيان ومرآة لاسم المؤمن ، إذ يتغشى الأمن هذه العوالم بفضل من الله سبحانه .

ومن الأمن إنعدام الغزو والقتال ، فان قلت قد وقع القتال في أيام الهجرة الأولى ، الجواب من جهات :

الأولى : لقد أصر المشركون على القتال سواء في معركة بدر أو أحد أو الخندق .

الثانية : لم يبدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه القتال ، وهو من مصاديق النبوة ، والدلائل على أن دخول الصحابة الإسلام لم يكن عن طمع أو إرادة السلب والنهب .

الثالثة : تجلي حال كريمة مستحدثة في المجتمعات وهي الانضباط العام عند أفراد السرايا بأن يتقيد الصحابة بعدم التعدي أو الهجوم أو الغزو .

الرابعة : من خصائص ميدان المعركة رؤية كل طرف لثغرة عند الطرف الآخر قبل القتال .

وقد يبادر للهجوم ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لا يبدؤون القتال وإن رأوا ثغرات عند المشركين ولا يقومون برمي السهام والنبال .

وأما ما ورد في صفة النبي الضحك القتال ، فليس لها أصل .
(وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسمى في الكتب القديمة احمد ومحمد والمحي والمقفي ونبي الملاحم وحمطايا وفارقليطا وماذا

وأخرج ابن فارس عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اسمي في التوراة احمد الضحوك القتال يركب البعير ويلبس الشملة ويجتري بالكسرة سيفه على عاتقه (١).

وقيل (وَأَمَّا الضَّحُوكُ الْقَتَالُ فَاسْمَانِ مُزْدَوَجَانِ لَا يُفْرَدُ أَحَدُهُمَا عَنْ الْآخَرِ اللَّهُ لَا تَأْخُذُهُ فِيهِمْ لَوْمَةٌ لَائِمٌ) (٢).

ولم تثبت هذه الصفة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة ، ولم يذكر هذا الاسم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في كثير من كتب السنن ، وقد يميل بعض الكتاب إلى التغني به ، ومنهم من استدل عليه أو ذكره تأويلاً لقوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

ولا تعني كلمة أشداء الرغبة في القتال والقسوة والبطش ، إنما الشدة في الجدل والاحتجاج بلحاظ الرحمة والمودة والتعاون بين المؤمنين.

وذكره بعض العلماء من دون اسناد مثل ابن كثير الذي قال : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنا الضحوك القتال (٤). ولم يكن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ قتالاً ، ولا يسعى للقتال إنما كان يجتهد في دفعه ويتحمل وأهل بيته وأصحابه الضرر في إجتنابه ليأتي النفع العظيم بسبب هذا الإجتنا ، وهو من

(١) الخصائص الكبرى ١/١٣٢.

(٢) زاد المعاد ١/٨٦.

(٣) سورة الفتح ٢٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٣٨ ولم يثبت هذا الحديث .

مصاديق قوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

نعم ورد في أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه (الصادق الأمين) ولم يرد عنه أنه قال أني الصادق الأمين ، ولكن هذين الاسمين مستقرآن من أحاديث عديدة ومن أخبار تأريخية ، إذ تسالم المشركون قبل الإسلام على أن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم صادق في قوله ، أمين في التجارة والمعاملات .

لقد نزل القرآن بأفشاء السلام والترغيب بالتحية ووجوب ردها ، قال تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾^(٣).

والسلام تحية الملائكة في الدنيا والآخرة ، وهو من فيوضات النبوة ، ومدخل كريم لطرد الغيظ والحقد والحنق ، ومقدمات الغضاضة التي قد تجلب الإرهاب والبطش.

وكم من إنسان اشتد غضبه على آخر وينوي إيذائه والبطش به ، ولكن ما أن يسلم عليه حتى يدرك وجوب رد السلام لقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٤) وعندئذ يتبدل غيظه ويستحي من الله إذ تلزم الآية أعلاه المسلم برد التحية على كل حال ، ومن أي جهة جاءت.

(١) سورة آل عمران ١١١.

(٢) سورة القصص ٥٦.

(٣) سورة النور ٦١.

(٤) سورة النساء ٨٦.

والسلام تحية الملائكة فيما بينهم ، وتحيتهم على أهل الجنة يوم القيامة لتكون هذه التحية ، وجهة صدورها من الجزاء للمؤمنين على إفشائهم السلام في الدنيا وتقيدهم بسنته ، ومنها الإمتناع عن الإرهاب والقتل العشوائي ، ومن الآيات التي ذكرت السلام .

الأولى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١).

الثانية : ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢).

الثالثة : ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾^(٣).

الرابعة : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾^(٤) ، وهو سلام من عند الله عز وجل للمؤمنين ، وبشارة لهم باستدامة السلام .

الخامسة : السلام التحية بين أهل الجنة ، قال تعالى ﴿دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

ومن خصائص تحية الملائكة أنها بشارة الأمن ، كما في قولهم لإبراهيم ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾^(٦) ، فمن

(١) سورة الرعد ٢٣-٢٤.

(٢) سورة الزمر ٧٣.

(٣) سورة الفرقان ٧٥.

(٤) سورة يس ٥٨.

(٥) سورة يونس ١٠.

(٦) سورة هود ٦٩.

معانيها إنك وأهلك نجوتم من هلاك لوط وأهله ، وفي حديث الإسراء عن (أبي العالية : أرواح الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله قبلي من لدن إدريس ونوح إلى عيسى قد جمعهم الله عز وجل ، فسلموا عليّ وحيوني بمثل تحية الملائكة قلت : يا جبرئيل من هؤلاء؟

قال : أخوتك الأنبياء ، زعمت قريش أن الله شريكاً ، واليهود والنصارى أن الله ولداً ، سل هؤلاء المرسلين هل الله شريك؟ وذلك قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(١) ، فأقرأوا بالربوبية لله تعالى ثم جمعهم والملائكة صفوفاً فقدمني وأمرني أن أصلي بهم فصليت بهم ركعتين .

ثم إن الأنبياء أثنوا على ربهم فقال إبراهيم عليه السلام الحمد لله الذي إتخذني خليلاً وأعطانني ملكاً عظيماً وجعلني أمة قانتاً يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها عليّ برداً وسلاماً. ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله رب العالمين الذي كلمني تكليماً وجعل هلاك فرعون منه ونجاة بني إسرائيل على يدي.

وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون. ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلمني الزبور والآن لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن

والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب. ثم إن سليمان (عليه السلام) أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي جنود الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتمائيل وجفان كالجواني وقدور راسيات،

وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلاً وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس عليّ فيه حساب. ثم إن عيسى (عليه السلام) أثنى على ربه فقال : الحمد لله ربّ العالمين الذي جعلني كلمة منه وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمّي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل.

ثم إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال : كلّمكم قد أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل عليّ القرآن فيه بيان كل شيء، وجعل أمّتي ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١)، وجعل أمّتي ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢)، وجعل أمّتي هم الأولون والآخرين وشرح لي صدري ووضّع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحاً وخاتماً^(٣).

لقد أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بإفشاء السلام والمبادرة إليه وإن الإبتداء به والمبادرة إليه لا تختص بالقادم والداخل على غيره ، بل يصح أن يأتي به المضيف للمضيف ،

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

(٣) الكشف والبيان - للثعلبي ٤٥٣/٧.

ومن الجالس للراكب ، وفيه الأجر والثواب ، قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، إن أمر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يبادر بالسلام شاهد على بقاء السلام في الأرض إلى يوم القيامة ، وهو دعوة للتآلف والوفاق بين أهل الأرض جميعاً .

وهل يرد السلام والتحية وإن كانت من العدو ، الجواب نعم ، لصيغة الإطلاق في الآية الكريمة ، وفيها ترغيب بالرد بالأحسن من ذات التحية ، ولا يختص أفعال التفضيل في المقام بذات لفظ التحية إنما يشمل القول والفعل والسكينة ، لبيان أن الإسلام لا يريد القتال ، ويرضى بالقليل في سبيل درئه ، ومنع استمراره أو تجدده .
والسلام أمان لكل من :

الأول : الذي يبدأ السلام إذ يكون الرد على سلامه واجباً كضائياً ، فلا بد أن يقوم أحد الذين يتوجه إليهم السلام بالرد ، وفيه الإجزاء ، وإذا امتنع الجميع عن الرد يؤثمون .

الثاني : السلام أمان وأمن للذي يتلقى السلام ، وباعث للرحمة في قلبه إذ أن السلام واقية من غلبة النفس الغضبية .

الثالث : الذي يسمع السلام سواء من الذين يتوجه إليهم الذي يقوم بأداء التحية والسلام أم من غيرهم .

الرابع : إشاعة الأمن العام بين الناس بالسلام .

ومن خصائص السلام أنه دليل على التواضع والتهذيب ، والتقيد بالسنن الحميدة ، فافشاء السلام من مكارم الأخلاق ، وفيه البركة ، ومن معانيها صرف أسباب الخصومة والملامة والجدال .

وهو مانع من المغالطة ، ونشر السلام والإكثار منه إحياء لسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشاهد على الحقوق العامة على الإنسان ، ولما أخبر الله عز وجل الملائكة بقوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) إحتجوا بإفساد الإنسان في الأرض وسفكه الدماء.

فلم يترك الله عز وجل إحتجاجهم إنما تفضل بالإجابة عليه بالرد المقترن بالبيان والوعد بقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) فخروا لله سجداً. ومن علم الله عز وجل في المقام أمره تعالى للمسلمين في ملل التوحيد المتعاقبة بإنشاء وإفشاء السلام ، ومن الإعجاز في أحكام السلام في القرآن والسنة أنه لا يخلو من النفع الدنيوي والأخروي ، ولا يتحول إلى سبب للعداء ، كما لا يمكن تحريف السلام كتحية ، وهو من أسرار اشتقاق السلام من اسم من أسماء الله عز وجل ، لبيان قانون وهو حلول البركة من اشتقاق اسم وموضوع من أسماء وصفات الله عز وجل.

ومن خصائص الإنسان أنه يسعى إلى الأمن ، ويختار الفعل الذي يحقق له الأمن والأمان في الحال أو المستقبل المنظور أو البعيد ، لذا جعل الله عز وجل الفرائض العبادية أمناً وطريقاً للأمن .

ويجتهد الإنسان في الكسب والعمل وجمع المال طلباً للأمن في الدنيا ، وقضاء الحاجة عند المرض والبلية ، فجاء الأمر بالزكاة وإخراج الحقوق الشرعية للأمن في الدنيا والآخرة ، وهو من الإعجاز في الفرائض العبادية ، وهو من مصاديق قوله تعالى

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وقد أنعم الله عز وجل علينا بصدور الجزء التاسع والثمانون بعد المائة من تفسيرنا للقرآن ، وهو خاص بتفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

لتدل الآية في مفهومها بأن الذين يدفعون الحقوق الشرعية ويخرجون الزكاة والخمس هو خير لهم ، وفيه أمن لهم من العذاب ، وهل يختص هذا الأمن بالنجاة من تطويق أفعى على العنق يوم القيامة .

الجواب ، إنما هو أعم ، إذ أن الزكاة واقية من العذاب ، ووسيلة مباركة لتكون طريقاً للنجاة من أهوال يوم الحشر، ودفعها من مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣).

و(عن عبد الله بن عمرو بن العاص : "أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي الإسلام خير؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)^(٤).

لقد جاء السلام في الحديث النبوي بالعموم من وجوه :

(١) سورة البقرة ٢٧٤.

(٢) سورة آل عمران ١٨٠.

(٣) سورة الفاتحة ٦.

(٤) تفسير الطبري ٥/٥١٨.

الأول : الذي يقوم بتوجيه السلام .

الثاني : ذات السلام .

الثالث : الذين يتوجه إليهم السلام .

قانون صلة الرحم واقية من الغزو

من خصائص القرآن تثبيت صلات الأرحام ، والمودة بين ذوي القربى مع بعد عمود النسب ، ويدل عليه تكرار الخطاب القرآني ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ في القرآن ، إنه آية في نبذ الغزو والهجوم والظلم والتعدي .

وهناك ثوابت يتوارثها الناس ، وعليها إجماع الناس والمذاهب والملل إذ يذكر العلماء اجماع علماء المسلمين ، أو علماء مذهب مخصوص ولكن هناك قوانين ومسائل يجمع عليها أرباب المذاهب والملل في الأرض وإن تشعبت واختلفت منها أن الناس من أب واحد وأم واحدة .

فتصف حواء بانه ليس لها ضرة ، ولا يستطيع آدم الزواج من غيرها لأنه سالة بانتفاء الموضوع فلم يكن على الأرض إلا أبناؤه ذكوراً وأنثاء ، وماتت حواء بعد آدم بعام ، لبيان مسائل:

الأولى : أول من جاء بالعولمة هو القرآن ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

الثانية : تقوم نظام العولمة بالإيمان وسيادة سنن الهدى والتقوى .

الثالثة : النبوة حرز العولمة بتقييدها بسنن الهدى .

الرابعة : العولمة الإيمانية رحمة للناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وليس من تعارض بين تأكيد القرآن على صلة الرحم وبين سنن العولة الإيمانية ، وتكون صلة الرحم أساساً لنشر مفاهيم المودة والرفق بين الناس.

(وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : إن صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة، ثم قرأ: " يصلون ما أمر

الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)^(٢). وهل بر الوالدين من صلة الرحم أم أنه أمر خاص يختلف عنه ، الجواب هو الأول .

و(عن أبي بكره قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور . ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)^(٣).

وهل تشمل صلة الرحم الأصهار ، الجواب نعم ، إذ ذكرت الآيات والأحاديث المعنى الأعم ، إذ يشمل الرحم في الإصطلاح كل من يتصل بالإنسان بالنسب أو السبب قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٤)، وهناك آيات قرآنية أخرى ذكرت صلة الرحم بالإضافة إلى الآيتين السابقتين.

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) البحار ٢٧٣/٧.

(٣) الدر المنثور ٩٣/٣.

(٤) سورة الفرقان ٥٤.

الأولى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (١).

الثانية : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

الثالثة : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٣).

الرابعة : ﴿وَاتَّذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (٤).

ويوم بدر استأذن حنظلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتل أباه عتبة بن ربيعة فمنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : دعه يكفيك غيرك.

وهذه الكفاية أعم من القتل ، فقد يكون الغير سبباً لهدايته ، ومنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا صفحة ناصعة لصلة الرحم ، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥).

ترى ما هي الصلة بين صلة الرحم والإمتناع عن الغزو ، الجواب من جهات .

(١) سورة محمد ٢٢.

(٢) سورة النساء ١.

(٣) سورة الاسراء ٢٣.

(٤) سورة الاسراء ٢٦.

(٥) سورة لقمان ١٥.

الأولى : تنمي صلة الرحم ملكة الرحمة والرافة في النفس .
الثانية : تزيد صلة الرحم في العمر ، وهي منسأة في الأجل ،
 و(عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
 صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفيا تطفىء غضب
 الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل
 المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في
 الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، وأول من يدخل الجنة أهل
 المعروف)^(١).

الثالثة : في صلة الرحم تثبيت للإيمان في النفوس ، وهو شاهد
 على صدق الإيمان والتفقه في الدين و(عن أنس قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم : مثل الإسلام كمثل الشجرة الثابتة الإيمان
 بالله ،

أصلها الصلوات الخمس جذوعها ،
 وصيام شهر رمضان لحاءها ،
 والحج والعمرة جناها ،
 والوضوء وغسل الجنابة شربها ،
 وبر الوالدين وصلة الرحم غصونها ،
 والكف عما حرم الله ورقها ،
 والأعمال الصالحة ثمرها ،
 وذكر الله تعالى عروقه)^(٢).

الرابعة : صلة الرحم دعوة لنبذ الفرقة ، وترك المكر والنهب
 ومقدمات الخصومة والقتال ، وإجتهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) الدر المنثور ٢/٢١٦.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٤١١/١.

وسلم في الدعوة إلى صلة الرحم ، وكان الإمام في صلته للرحم مع المؤمنين وحتى مع الكفار ، إنما يسأل الله عز وجل هدايتهم وصلاهم .

ومن صلة الرحم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظَمَهَا بِالْأَبَاءِ النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } ^(١) الْآيَةَ كُلَّهَا . ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرًا ، أَخَ كَرِيمٍ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . قَالَ أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ) ^(٢) .

ومن إكرام النبي للقرآن يومئذ أنه لم يقل كلامه هذا إلا بعد أن تلا قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٣) ، وحمد الله عز وجل ، وذم نخوة الجاهلية ، والوقوف عند تعظيم الأبناء لبيان أن الدنيا دار التكاليف والفرائض ، وفيه تنمية لملكة التقوى عند الناس ، وترغيبهم بالإيمان ، ونبذ الإقتال والغزو .

إن تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الآية أعلاه من سورة الحجرات في فتح مكة دعوة عالمية للأمن والسلم ونبذ

(١) سورة الحجرات ١٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤١١/٢ .

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

الإرهاب ، فلم يقرأ آية تتضمن النداء لخصوص المسلمين ، أو تختص بموضوع الفتح ، أو آية فيها تخويف ووعيد ، إنما تلا آية فيها مناشدة للألفة ، وترغيب بالمودة والرحمة بين الناس ، وتذكير بوحدة الأبوة والأمومة للناس ، واتحاد النسب ، ويلتقي نسب العرب من قحطان وعدنان مع بني إسرائيل ومن شاركهم في نسبهم عند عابر بن (أرفخشذ بن سام بن نوح) ^(١).

وابراهيم الخليل (بن آزر - وهو تارخ - بن ناحور بن ساروع بن أرعوا بن فالغ بن عابر بن أرفخشذ - والنصارى تقول: أرفخشاذ - بن سام بن نوح بن لامك) ^(٢).

وفي العمود الزكي (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ وَاسْمُ هَاشِمٍ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ ، (وَاسْمُ قُصَيٍّ : زَيْدٌ) بْنُ كِلَابٍ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مَدْرِكَةَ وَاسْمُ مَدْرِكَةَ عَامِرُ بْنُ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ (أَدَّ وَيُقَالُ) : أَدَدُ بْنُ مَقُومٍ بْنُ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَحَ بْنِ يَغْرُبَ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ نَابِتَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - بْنِ تَارِحَ وَهُوَ آزَرُ بْنُ نَاحُورَ بْنِ سَارُوعَ بْنِ رَاعُو بْنِ فَالْخَ بْنِ عَيْرَ بْنِ شَالْخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحَ بْنِ لَمَكَ بْنِ مَتَوْشَلْخَ بْنِ أَخْنُوحَ ، وَهُوَ إِدْرِيسُ النَّبِيِّ أَعْلَمُ وَكَانَ أَوَّلَ بَنِي

(١) أنظر جمهرة اللغة ١/١٤٠.

(٢) أنساب الأشراف ١/١.

آدَمَ أُعْطِيَ النَّبُوءَ وَخُطِّ بِالْقَلَمِ - ابْنُ يَرْدِ بْنِ مَهْلِيلِ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ يَانِشَ بْنِ شَيْثَ بْنِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

والنسب إلى عدنان متفق عليه .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتهى في نسبه إلى معد بن عدنان أمسك ، وتلا قوله تعالى ﴿وَعَادَا وَثُمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾^(٢).

وعن ابن عباس (ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله عز وجل (وقرونا بين ذلك كثيرا).

وقال ابن عباس لو شاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلمه لعلمه^(٣).

ومن الإعجاز في فتح مكة أنها قاطع للغزو ، ومانع منه ، ومن أوائل ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل صلة الرحم ، وكأنها ملازمة لأوان وجوب الصلاة ، فلما هاجر طائفة من الصحابة إلى الحبشة حملوا معهم الآيات وأقوال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تدعو إلى صلة الرحم ، وتحث على تعاهدها ، فذكروا للنجاشي أنه كان يأمرهم

(١) السيرة لابن هشام ١/١.

(٢) سورة الفرقان ٣٨.

(٣) عيون الأثر ١/٣٢.

بصلة الرحم عندما حضروا بين يدي النجاشي بوشاية ومكر من رسل قريش إليه .

فاستدعى النجاشي الصحابة ، فقال (ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه .

قال جعفر : أما الدين الذي كنّا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره . كنّا نكفر بالله ونعبد الحجارة . وأما الذي تحولنا إليه فدين الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقاً له . فقال النجاشي : يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك . فأمر النجاشي فضرب بالناقوس . فاجتمع إليه كل قسيس وراهب . فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي : أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى . هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبياً مرسلًا؟

فقالوا : اللهم نعم . قد بشرنا به عيسى (عليه السلام) فقال : من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي . فقال النجاشي لجعفر : هيه : أي هات ماذا يقول لكم هذا الرجل؟

وما يأمركم به؟

وما ينهاكم عنه؟

فقالوا : يقرأ علينا كتاب الله ،

ويأمر بالمعروف ،

وينهى عن المنكر ،

ويأمر بحسن الجوار ،

وصلة الرحم ،

ويأمر للوالدين واليتيم) ^(١) .

قانون أحد جبل يحبنا ونحبه

نستقرأ عنوان هذا القانون من السنة النبوية الشريفة لبيان قانون وهو أن كلاً من القرآن والسنة منبع ومصدر لإستقراء واقتباس القوانين والسنن ، إذ ورد الحديث بصيغ متعددة تشير مجمعة ومتفرقة إلى هذا القانون منها.

(هذا جبل يحبنا ونحبه ، إن أحداً هذا لعلى باب من ابواب الجنة).

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربعة أنهار في الجنة ، وأربعة أجبل ، وأربع ملاحم في الجنة : فأما الأنهار فسيحان وجيحان والنيل والفرات ، وأما الأجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان ، وسكت عن الملاحم^(١).

وعن كثير المري عن أبيه عن جده قال : أربعة أجبل من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهر الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ؛ قيل : فما الأجبل يا رسول الله ، قال : أحد جبل يحبنا ونحبه ، جبل من جبال الجنة ، وطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة ، والأنهار النيل والفرات وسيحان وجيحان ، والملاحم بدر وأحد والخندق وخيبر ، وسقط ذكر الجبل الرابع^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : منبري هذا على ترعة من ترع الجنة ، فانه قال : أحد على ترعة من ترع الجنة وغير على ركن من أركان النار^(٣).

والترعة الروضة على مكان مرتفع.

(١) تأريخ المدينة ٨٥/١.

(٢) ابن العديم / بغية الطلب في تأريخ حلب ١٠٧/١.

(٣) جمع الجوامع ١٣١/١.

وفي مناسبة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا جبل يحبنا ونحبه ، ذكر أنه عند عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك ، وفي رواية عند عودته من خيبر .

والمختار هو الأول خاصة بعد طول غياب عن المدينة ، ولا مانع من الجمع بينها .

وذهب الثعلبي الى وجود حذف في الحديث مثلما ورد قوله تعالى ﴿يُؤْذِنُ اللَّهَ﴾^(١) ، قال : يلحدون في أسمائه وصفاته ، وقال أهل المعاني : يؤذون أولياء الله ، ومثل قوله ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٢) ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قفل من تبوك فبدا له أحد : هذا جبل يحبنا ونحبه ، فحذف الأهل^(٣) .

والمختار أنه ليس من حذف إنما قصد ذات الجبل لبيان أن له إحساساً ، وهذا الإحساس فرع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٤) .

وهل لمعركة أحد موضوعية في حديث حب جبل أحد ، فيه وجوه :

الأول : معركة أحد سبب حب الجبل للمسلمين .

الثاني : معركة أحد سبب حب المسلمين لجبل أحد .

الثالث : لا موضوعية لمعركة أحد في مسألة حب الجبل للمسلمين .

(١) سورة الأحزاب ٥٧ .

(٢) سورة يوسف ٨٢ .

(٣) الكشف والبيان ١١/ ١٧٥ .

(٤) سورة الاسراء ٤٤ .

الرابع : لحب الجبل للمسلمين موضوعية في سلامة المسلمين من الهزيمة يوم أحد.

وباستثناء الوجه الثالث أعلاه فإن الوجوه الأخرى من مصاديق الحديث وذخائره العلمية ، فمن خصائص هذا الجبل أمور :

الأول : إطلالة جبل أحد على المدينة وهي دار هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : جبل أحد مدخل للمدينة للقادم لها من طريق الشام .

الثالث : وقوع معركة أحد في سفح هذا الجبل .

الرابع : نزول الآيات القرآنية التي توثق معركة أحد ، وتبين صبر وجهاد المسلمين فيها ، منها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ﴾ (١) .

الخامس : في سفح جبل أحد قبور سبعين شهيداً منهم حمزة عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السادس : زيارة وفد الحاج والمعتمرين لقبور الشهداء وموضع معركة أحد (وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في قتلى أحد : هؤلاء شهداء فأتوهم وسلموا عليهم ولن يسلم عليهم أحد ما قامت السماوات والأرض إلا ردوا عليه).

وروى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت (٢).

(١) سورة آل عمران ١٥٢.

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ١/١٢٣.

السابع : ترغيب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالتدبر في معركة أحد وكيف أنه كان في حال دفاع واضطراب ، وأن المشركين بذلوا الوسع للإجهاز على الإسلام.

الثامن : رجوع المشركين من معركة أحد خائبين لم ينالوا ما كانوا ييغون من المقاصد الخبيثة ، إذ كانوا يجاهرون بأن غايتهم من الهجوم قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشطر من أصحابه ، وأسر عدد آخر منهم .

إنما فقدوا اثنين وعشرين رجلاً من بينهم حملة اللواء من بني عبد الدار ، ولأول مرة يقع لقريش قتل متعدد لحملة اللواء ، واحداً بعد الآخر إلى أن سقط اللواء ، فحملته امرأة وفيه خزي مضاعف لهم ، لذا نزل قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

التاسع : لأن جبل أحد من الجنة فانه يحب المسلمين ، ويحبه المسلمون إذ يرونه في الآخرة .

وفي المدينة عدة جبال منها على حدود المدينة ، ومنها في داخلها وهي :

الأول : جبل أحد.

الثاني : جبل غير.

الثالث : جبل ثور.

الرابع : جبل سلع.

وتشمخ المدينة بمسجد الرسول وقبره صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة ، فهو جبل الأمن يضىء على القلوب المنكسرة ويدفع السقم عنها ، ويمنع من الإرهاب والعنف .

وفي المدينة عدة أودية منها .

الأول : وادي العقيق وهو أطول أودية الحجاز ، ويبدأ من مدينة الطائف ، وتتجمع مياهه في منطقة النقيع والتي تبعد عن المدينة نحو (١٠٠) كم .

وقد أقطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه لبلال بن الحارث المزني عندما سأله واشترط عليه العمل .

الثاني : وادي بطحان ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بطحان على ترع الجنة وقد توضع منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق لصلاة العصر .

الثالث : وادي قناة : وهو من أعظم أودية المدينة وتكون سيول هذه الأودية مسيلاً واحداً يصب في البحر الأحمر .

الرابع : وادي مهزور ، وكان ينزل به بنو قريظة .

فمن حب المسلمين للجبل كفايتهم شرور حملة اللواء وهم من فرسان قريش ، وقد طلبوا المبارزة وأصروا عليها ، وكان المسلمون يعزفون عن الإستجابة لطلبهم مرة بعد أخرى ، ولم يتعظ حملة اللواء من واقعة بدر ، وطلب عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخيه شيبة بن ربيعة المبارزة وأصروا عليها فقتلوا جميعاً في ذات المبارزة ، فلم ينج واحد منهم من تلك المبارزة ، ويقتل مثلاً في التحام الصفين ، أو عند مبارزة أخرى .

وفيه آية ومعجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الدفاعية وإنذار للمشركين يوم معركة أحد والمعارك الأخرى بالإمتناع عن طلب المبارزة ، وإذ لم يتفجع حملة لواء المشركين من إنذارات واقعة بدر فخروا صرعى في الميدان بمرآى من الفريقين ، فان عمرو بن ود العامري لم يتعظ هو الآخر من إنذارات بدر وأحد في المقام ، إذ كان حاضراً معركة بدر ، وأصيب بجراحات يومئذ ،

فتخلف عن معركة أحد فانه عبر الخندق يوم الأحزاب ، ومعه ثلاثة من أصحابه ، وطلب المبارزة فهابه جمع المسلمين ، وكان من فرسان قريش المعروفين ، فبرز له الإمام علي عليه السلام . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (برز الایمان كله إلى الشرك كله) (١).

وأصاب الفرع جيش المشركين ، وهرب أصحابه ممن عبر الخندق ، فسقط نوفل بن عبد الله في الخندق فرماه الحرس بالحجارة . وهل لمعركة أحد وسلامة المسلمين فيها من الهزيمة موضوعية في أحجام المشركين عن غزو واقتحام المدينة ، الجواب نعم ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ (٢) مسائل :

الأولى : إذ تقتلون المشركين يوم أحد بإذن الله .

الثانية : إذ تبعثون الفرع والخوف في قلوب المشركين يوم أحد .

الثالثة : إذ تقتلون حملة لواء المشركين الذين سألوا المبارزة ليمتنعوا عن إعادة الكرة والهجوم ، وقد تجلّى من وجوه :

الأول : تأخر هجوم وغزو المشركين للمدينة سنتين إلى حين وقوع معركة الخندق .

الثاني : تردد المشركين في إقتحام المدينة ، وإكتفاء عشرة آلاف منهم بالإحاطة بها وتطويقها .

الثالث : إنفراد عمرو بن ود العامري بطلب المبارزة ، بينما طلبها عتبة وابنه وأخوه يوم بدر ، وحملة لواء المشركين يوم معركة أحد .

(١) البحار ٢٠/٢١٥.

(٢) سورة آل عمران ١٥٢.

الرابع : فزع المشركين بعد مقتل عمرو بن ود العامري ، إذ خشوا على أنفسهم القتل للأولوية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَلِّمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) ، وظهور هذا الفزع دليل عقلي استقرائي ، إذ أدرك معه المشركون رجحان قتلهم إن طلبوا المبارزة لأن فارسهم الأول لقي حتفه على يد الإمام علي عليه السلام ، والذي كان مستعداً لمبارزة الذي يتقدم منهم .

وعندما انجلت الغبرة رأى الجمع أن علياً عليه السلام واقفاً على جسد عمرو بن ود العامري فكبر وهلل المسلمون ليسمع أهل المدينة هذا التكبير والتهليل ، ويدركون أنه صفقة من النصر ونزل قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٢) فمع أن المبارزة الفردية قتال ، فقد أخبرت الآية عن كفاية المسلمين القتال العام والكر والفر ومقابلة بضع مئات من المسلمين لعشرة آلاف فارس من المشركين ، ولا يقدر على هذه الكفاية ، وصرف القتال يومئذ إلا الله سبحانه .

وفي معركة أحد وقعت معجزات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وَقَالَ أَبُو الْيَسْرِ لَقَدْ رَأَيْتِي يَوْمَئِذٍ فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَصَابَنَا النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا يَغْطِ غَطِيطًا حَتَّى إِنْ الْحَجَفَ لَتَنَاطَحَ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ سَيْفَ بَشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ سَقَطَ مِنْ يَدِهِ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ وَأَخَذَهُ بَعْدَ مَا تَثَلَّمَ وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَتَحْتًا .

(١) سورة آل عمران ١٥١ .

(٢) سورة الاحزاب ٢٥ .

وَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَلْقِيَ عَلَيْنَا النَّعَاسُ فَكُنْتُ أَنْعَسُ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي. وَكَانَ النَّعَاسُ لَمْ يُصَبِّ أَهْلَ النَّفَاقِ وَالشَّكِّ يَوْمَئِذٍ فَكُلُّ مَنْافِقٍ يَتَكَلَّمُ بِمَا فِي نَفْسِهِ وَإِنَّمَا أَصَابَ النَّعَاسُ أَهْلَ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ^(١) وَأَصَابَ الْمُشْرِكِينَ الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ ، وَقِيلَ دَخَلَ الذَّلُّ لِكُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْمُشْرِكِينَ .

ولا يختص حب المسلمين لجبل أحد بذات وقائع المعركة ، إنما يشمل ما بعدها من الأحداث وسميت المعركة باسم جبل أحد لتخلد ذكره في الوجود الذهني للمسلمين ، ويدرك الناس جميعاً أموراً تخص هذه المعركة :

الأول : المشركون هم الغزاة في معركة أحد .

الثاني : إبتداء المشركين بالقتال .

الثالث : لو لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للقاء المشركين عند سفح جبل أحد لغزا المشركون قلب المدينة ، ولقتلوا الصبيان والنساء .

أسباب حب جبل أحد

من أسباب حب المسلمين لجبل أحد مسائل :

الأولى : عدم تخطي أو تجاوز المشركين لجبل أحد باتجاه المدينة .

الثانية : انصراف المشركين من جبل أحد باتجاه المدينة قبل أن

يغادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ميدان المعركة إذ نادى أبو سفيان (أَلَا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرُ الصَّفَرَاءِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ فَوْقَ عَمْرِ وَقْفَةٍ يَتَنَظَّرُ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُلْ نَعَمْ . فَقَالَ عَمْرُ نَعَمْ ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانٍ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَخَذُوا فِي الرِّحْلِ^(٢) ، وهو من

(١) مغازي الواقدي ٢٩٦/١ .

(٢) مغازي الواقدي ٢٩٨/١ .

الشواهد الجلية على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لم يخسروا المعركة ، ولم ينهزموا فيها .

الثالثة : استحضار المسلمين لواقعة أحد في حال :

الأول : عند تلاوة آيات معركة أحد .

الثاني : عند ذكر وقائع معركة أحد .

الثالث : في ذكر شهداء معركة أحد .

الرابع : عند زيارة قبور شهداء أحد ، أو المرور عليها ، وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسلم عليهم .

الخامس : ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لوقائع معركة أحد .

السادس : انتفاع المسلمين من معركة أحد ، وأخذ الموعظة من ترك الرماة المسلمين مواضعهم التي جعلهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأضرار التي لحقت المسلمين بسبب هذا الترك .

وإذا كان المسلمون يحبون جبل أحد ، فكيف يكون حب هذا الجبل لهم .

الجواب يدل على هذا الحب إخبار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه بلحاظ أن كلامه وحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) ، لبيان قانون وهو أن الجبل عنده إحساس بقدر محدود ، ويدل على الإحساس هذا قوله

تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١).

وهل حب جبل أحد للمسلمين من الأمانة التي عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال ، الجواب لا ، إذ أخبرت الآية عن اشفاق هذه الأكوان منها أي خافت ، وفيه شاهد على الإرادة والإدراك عندها ولو بقدر محدود.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : **إِنْ حَجَرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستند الى جذع عندما يخطب فلما صنعوا له منبراً ، حنّ الجذع لتحول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه ، وقد ورد في الحجر الأسود أنه يشهد لمن استلموه بحق يوم القيامة.

إن الأذى الذي صرفه الله عز وجل عن المسلمين بمعركة أحد كثير ، وكانت سبباً بنحزي الذين كفروا ، فقد علمت العرب أن المشركين أعدوا لها لسنة كاملة ، وجهزوا الجيوش العظيمة ، وأنفقوا الأموال الطائلة .

وكانوا يكثرون من التهديد والوعيد وبحضرة عموم أهل مكة ، ومنهم ذوو المهاجرين ، وبمسمع من وفد الحاج والمعتمرين ، وعندما زحفت الجيوش من مكة التحقت بها جيوش حلفاء قريش في الطريق ، وشاع أمرهم ، وظن الناس أن المعركة ستكون فاصلة بين الطرفين لأن قريشاً أبت إلا الثأر لخسائرها وما لحقها من الذل في معركة بدر حتى إذا وصلوا إلى جبل أحد أناخوا رحالهم وصاروا

(١) سورة الأحزاب ٧٢.

(٢) النكت والعيون ١/٦٣.

يعيشون بزروع أهل المدينة ، وتسرح خيلهم وإبلهم فيها ، وهو من الإرهاب الإقتصادي ، والإضرار العام .

الرابعة : جبل أحد على باب الجنة يوم القيامة .

الخامسة : إطلالة جبل أحد على المدينة ، وكأنه حارس لها .

السادسة : رؤية المسلمين لجبل أحد عند قدومهم من السفر أو الرؤيا بشارة الوصول إلى الأهل بسلام ، وقرب اللقاء بهم .

السابعة : ذكرى واقعة أحد ، وفوز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالثواب العظيم في الدفاع فيها .

الثامنة : في معركة أحد تكسرت أحلام كفار قريش ، وعجزوا عن تحقيق مقاصدهم الفاسدة .

التاسعة : إرادة عمومات قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ^(١) .

العاشرة : نزول الملائكة لنصرة المسلمين في معركة أحد ، قال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ ^(٢) .

الحادية عشرة : في يوم معركة أحد انكشف وافتضح أمر المنافقين إذ انخزل من وسط الطريق إلى المعركة ثلاثمائة من جيش المسلمين الذي كان مجموعه ألف رجل .

الثانية عشرة : وجود قبور الشهداء في سفح جبل أحد وتستحب زيارتهم ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يزورهم ويسلم عليهم ويدعو لهم .

(١) سورة البقرة ٧٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٤ .

(عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى على المقابر قال السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإننا إن شاء الله بكم للاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم)^(١).

وعن (عائشة ، قالت : ألا أحدثكم عني وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا : بلى ، قالت : لما كان ليلتي انقلب صلى الله عليه وآله وسلم ، فوضع نعليه عن رجله ووضع رداءه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت ، ثم انتعل رويدا وأخذ رداءه رويدا ، ثم فتح الباب ، فخرج وأجافه رويدا .

فجعلت درعي في رأسي ، ثم تقنعت بإزاري ، فانطلقت في أثره حتى أتى البقيع ، فرفع يديه ثلاث مرات فأطال القيام ، ثم انحرف فانحرفت .

فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت دخل ، فقال : مالك يا عائشة ؟ ، قلت : لا شيء ، قال : لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير .

قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي فأخبرته الخبر ، قال : أنت السواد الذي رأيت أمامي ؟ قلت : نعم ، قالت : فلهز في صدري لهزة أوجعتني ، ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله .

قالت : فقلت : مهما يكتم الناس فقد علمه الله .

قال : فإن جبريل صلوات الله عليه أتاني حين رأيت ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، فناداني فأخفى منك ، فأجبتة

فأخفيتك منك ، وظننت أنك قد رقدت ، وكرهت أن أوقظك ،
وخشيت أن تستوحشي ، فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم ،
قلت : كيف يا رسول الله ؟ .

قال : قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين المسلمين ويرحم
الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون^(١) .
لقد خرجت قريش إلى معركة بدر على عجلة إذ جاءتهم رسالة
من أبي سفيان يحثهم فيها على إنقاذ قافلته .

لتعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لها ، وليس
من تعرض للقافلة ، فاستعدوا وتهيأوا وخرجوا في ثلاثة أيام ،
وكانت هذه العجالة من ضروب اعتذارهم عن هزيمتهم فيها .

الثالثة عشرة : من الآيات ما كان سبباً لحب المسلمين لجبل أحد
وحبه لهم مثل نزول آيات متعددة بخصوص معركة أحد ، ومن
الآيات ما نزلت في ذات الموضع ، وكل آية سبب في حب المسلمين
لجبل أحد وحبه لهم ، إذ شرفه الله عز وجل بصيرورته موضعاً
لنزول الآيات .

الرابعة عشرة : حضور جبل أحد يوم القيامة ليشهد للنبي صلى
الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، ويكون حجة على الذين كفروا
وإصرارهم على القتال ، إذ تنكشف لأهل المحشر جميعاً يومئذ
مصاديق كثيرة لقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) وأن المشركين هم
الغزاة لا لشئ إلا لمحاربة النبوة والتنزيل ، ورغبة بالإقامة على عبادة
الأوثان والغزو ، وإباحة القتل ثم اللجوء إلى الديات والصلح .

وقد تكون سيادة التصالح القبلي المتكرر على القتل وجعله
السييل الوحيد لحل الأمر سبباً في التماذي بالقتل ، لذا جاء الإسلام

بقانون القصاص بقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

واستعد الكفار لمعركة أحد بانفاق الأموال الطائلة ، لقد مشى كل من :

الأول : صفوان بن أمية .

الثاني : عكرمة بن أبي جهل .

الثالث : عبد الله بن أبي ربيعة ، وآخرون من رجالات قريش ممن أصيب وقتل آبائهم وأبنائهم وإخوانهم يوم بدر لسؤال أصحاب الأموال في قافلة أبي سفيان لتسخيرها في قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه

(فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا. ففعلوا)^(٢).

ونزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(٣) .

ومن دهاء قريش أنها ابتدأت بجمع الأموال للاستعداد للمعركة ليروا كيف يكون التدبير والتصرف فيها فقد وظفوها في أمور :

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١٩/٢.

(٣) سورة الأنفال ٣٦.

الأول : الإنفاق على الشعراء مثل أبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي الذي أسري يوم بدر فسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلقه وقال له أنني فقير وذو عيال وحاجة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف حاله فاطلقه بشرط أن لا يظهر عليه .

وعندما رجع إلى مكة من الأسر جاءه صفوان بن أمية وأغراه بالمال ، وقال له (فأعنا بنفسك، فلك الله إن رجعت أن أغنيك، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر) ^(١).

وكان صفوان واثقاً من عودته هو سالماً بحيث يغني أبا عزة إن رجع من معركة أحد سالماً ، أو يأوي بناته ويضمهن إلى بناته إن أصيب وقتل .

فخرج أبو عزة في تهامة يحرض بني كنانة حلفاء قريش عن النصرة وهو يقول (إيها بني عبد مناة الرزام ... أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام ... لا تسلموني لا يحل إسلام
وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك
بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال

يَا مَالُ مَالُ الْحَسَبِ الْمُقَدِّمِ ... أَنشُدْ ذَا الْقُرْبَى وَذَا التَّذَمُّمِ
مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ ... الْحِلْفَ وَسَطَ الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ
عند حطيم الكعبة ^(٢).

وفي طواف قريش على القبائل وتحريضها قبل أوان المعركة حجة دامغة بأن المشركين هم الذين قاموا بالهجوم والغزو في معركة أحد.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٠٠.

(٢) السيرة لابن هشام ٣/٦٠.

وعن أنس بن مالك قال (خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى خَيْرِ أَخْدَمِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَاجِعًا ، وَبَدَأَ لَهُ أَحَدٌ قَالَ : هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ . ثُمَّ أَشَارَ يَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمَدَنَّا) ^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزور شهداء أحد ويقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية ^(٢).

وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا جبل يحبنا ونحبه أمور :

الأول : دعوة أجيال المسلمين للتذاكر في واقعة أحد ، ومعرفة حقيقة بكون النبي وأصحابه في حال دفاع محض وأن تسميتها غزوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أصل لها .

الثانية : زيارة قبور الشهداء السبعين ، ومعرفة مسألة وهي أنهم قتلوا مظلومين مستضعفين ، لقد هجم المشركون ليغزو المدينة ويقتلوا النبي ويقتلوه ، فلما أدركوا أن القتل ملاقيهم ، اختاروا الدفاع عن النبي قال تعالى ﴿وَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ^(٣) ، لينجو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسلم معه التنزيل من وجوه :

الأول : الآيات والسور المكية أي التي نزلت مدة وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة ،

(١) صحيح البخاري ١٠ / ٣٥٢.

(٢) زاد المعاد ١ / ٥٠٧.

(٣) سورة آل عمران ١٤٣.

وقد تقدم إحصاء هذه السور في الأجزاء السابقة منها سورة الفاتحة ، الأنعام ، الأعراف ، يونس ، هود ، النحل ، إبراهيم ، يوسف ، الإسراء .

الثاني : السور المدنية التي نزلت قبل معركة أحد ، والتي وقعت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، فقد نزلت في هذه المدة سور من آيات كثيرة ، ومنها آيات أحكام مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ومنها آيات فرض الزكاة .

والآيات الخاصة بوقائع بدر والتي حدثت قبل معركة أحد بثلاثة عشر شهرا .

الثالث : الآيات المدنية التي نزلت أوان ويوم معركة أحد ، من جهات .

الأولى : مقدمات اللقاء .

الثانية : وقائع معركة أحد .

الثالثة : أثناء رجوع المسلمين إلى المدينة من المعركة وتفشي الجراحات بينهم .

الرابع : الآيات والسور التي نزلت بعد معركة أحد وإلى حين مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ويمكن اعتماد هذا التقسيم بحسب الوقائع بأن تكون الواقعة هي الوسط بين مثل .

الأول : الهجرة النبوية .

الثاني : معركة بدر .

الثالث : معركة الخندق .

الرابع : فتح مكة .

الخامس : واقعة حنين .

وإختصاص كل حدث وواقعة بنزول آيات تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا في حال دفاع واستضعاف من قبل المشركين .

قال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَّاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِهِ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) ، ولتجلى مصاديق لقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .

وكذا يمكن إحصاء الأحاديث النبوية وفق هذه المنهجية وإحصاء الأحاديث والسنة النبوية الفعلية الخاصة بكل واقعة لتبين حقائق متعددة لقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) .

قانون الترتيب السنوي لنزول الآيات

يمكن انشاء قانون ومنهاج خاص عن نزول آيات القرآن بحسب الترتيب الزمني ، ويصعب تعيين شهر وسنة نزول كل آية أو سورة لكن يمكن استقراء تعيين أوان نزول عدد كثير من الآيات والسور خاصة بلحاظ أسباب وموضوع نزول الآية القرآنية فنقول مثلاً :

السنة الأولى للبعثة : نزول خمس آيات من أول سورة العلق ، ونزول سورة المدثر ، وسورة الفاتحة لأنها ركن من الصلاة .

وعن الأوزاعي قال : حدثنا، أبو نصر يحيى ابن أبي كبير العطار اليماني قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أي القرآن أنزل قبل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني جاورت بحراء

شهرًا فلما قضت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي ، فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم أر شيئاً ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني وحشة ، فأمرتهم فدثروني فأنزل الله سبحانه : يا أيها المدثر ، حتى بلغ : وثيابك فطهر^(١).

وكذا ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري^(٢).

السور المكية .

السنة الأولى للهجرة : عن المقرئ سورة البقرة أول قرآن نزل بالمدينة ، لقد نزلت آيات سورة البقرة على فترات متعددة. ويمكن لحاظ الآيات والسور الخاصة بالوقائع وأسباب النزول ومنها :

آيات الهجرة ، وبداية إقامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة .

السنة الثانية للهجرة : نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) ، وفي السنة الثانية للهجرة نزلت فريضة آية استقبال البيت الحرام. تحويل القبلة وفرض الزكاة ، ووقوع معركة بدر ونزول الآيات الخاصة بها ، ومنها ما نزل في سورة آل عمران منها ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾^(٤) وأكثر الآيات التي تخص معركة بدر

(١) الكشف والبيان ٤١٢/١٢.

(٢) تفسير القرطبي ٥٦/١٩.

(٣) سورة البقرة ١٨٣.

(٤) سورة آل عمران ١٢٣.

نزلت في سورة الأنفال ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا
 يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى
 الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَه تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ
 أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلِيَكَرَّهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿١﴾، ومنها ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمُ
 بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ
 قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ * إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسَ
 أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ
 وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي
 مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
 فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بَأْهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ
 النَّارِ﴾ (٢)، استغاثة المسلمين بالله عز وجل على أنهم في حال دفاع
 وأن الكفار هم الذين أصروا على القتال ولا يبعد أن بعض الآيات
 الخاصة منها نزلت في السنة الثالثة للهجرة كمقدمة في شد عضد
 المسلمين في معركة أحد ، والصبر في الميدان ، وتلقي خسارة سقوط

(١) سورة الأنفال ٥-٨.

(٢) سورة الأنفال ٩-١٤.

سبعين شهيداً مع كثرة جراحات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه

السنة الخامسة للهجرة : آيات الخندق .

السنة الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : سورة المائدة وسورة النصر ، ولما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١) ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نعت إلى نفسي أنني مقبوض ، فمات في تلك السنة. وقال لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن: إنك لا تلقاني بعد هذا^(٢).

وسورة التوبة من أواخر ما نزل من القرآن وعن ابن عباس آخر آية نزلت على النبي آية الربا.

السنة الثالثة للهجرة : واقعة أحد.

السنة الرابعة للهجرة : قتل عدد من الصحابة القراء غيلة وندراً كما في واقعة الرגיע وبئر معونة.

السنة الخامسة : واقعة الخندق ، ونزول سورة الأحزاب وعدد

آياتها ثلاث وثلاثون آية ، قال تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ

(١) سورة النصر ١.

(٢) البحار ١١٦/١٨.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا^(١).

السنة السادسة : سنة صلح الحديبية ، ومن الآيات الخاصة به
ومنها قوله تعالى ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) ، وبطن مكة هو الحديبية ، وتم صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة ، و (عن قتادة وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة قال : بطن مكة الحديبية ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال له زنيم أطلع الثنية زمان الحديبية فرماه المشركون فقتلوه فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيلا فأتوا بأثني عشر فارسا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل لكم عهد أو ذمة ؟ قالوا لا فأرسلهم فأنزل الله في ذلك وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية)^(٣) ، وعن (سلمة بن الأكوع قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا ترويهما ، فقعده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جباهها - يعني الركي - فإما دعا وإما بصق فيها ، فجاشت ، فسقينا واستقينا . قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا إلى البيعة في أصل الشجرة . فبايعته أول الناس ، ثم بايع وبايع ، حتى إذا كان في وسط الناس قال صلى الله عليه وآله وسلم : "بايعني يا سلمة" . قال : قلت : يا رسول الله ، قد بايعتك في أول الناس . قال : "وأياضا" . قال :

(١) سورة الأحزاب ١٢٢-٢٥ .

(٢) سورة الفتح ٢٤ .

(٣) الدر المنثور ٩/٢٢٥ .

ورآني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزلاً فأعطاني حنفة - أو درقة - ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا تباع يا سلمة؟" قال: قلت: يا رسول الله، قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم. قال: "وأيضاً". فبايعته الثالثة، فقال: "يا سلمة، أين حنفتك أو درقتك التي أعطيتك؟". قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عامر عزلاً فأعطيتها إياه: فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: "إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي" قال: ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاصطلحنا. قال: وكنت خادما لطلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، أسقي فرسه وأحسه وأكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله. فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكتها، ثم اضطجعت في أصلها في ظلها، فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبغضتهم، وتحولت إلى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم. فاخرطت سيفي، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثا في يدي، ثم قلت: والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وجاء عمي عامر برجل من العَبَلات يقال له: "مكرز" من المشركين يقوده، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: "دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه"، فعفا عنهم رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم، وأنزل الله عز وجل { وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ } (١) (الآية) (٢).

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٣).

وكان تأويل هذه الرؤيا عمرة القضاء إذ رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أنه يطوف بالبيت وأصحابه فصدق الله رؤياه بالحق.

دلالة آيات معركة أحد على دفاع المسلمين

من خصائص القرآن أنه شاهد صدق على التاريخ ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٤) ولا تقبل آيات القرآن التفسير والتحريف ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿نَحْنُ نُقْصِرُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (٥) لإرادة الإطلاق في الآية أعلاه وشمولها لوقائع معارك الإسلام الدفاعية الأولى ، بلحاظ تقدير الآية في الخطاب لأجيال المسلمين المتعاقبة بصيغة الجمع ﴿نَحْنُ نُقْصِرُ عَلَيْكُمْ أَحْسَنَ

(١) سورة الفتح ٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٥/٧.

(٣) سورة الفتح ٢٧.

(٤) سورة النساء ١٢٢.

(٥) سورة يوسف ٣.

الْقَصَصُ ﴿١﴾ ومنها أحسنها وأكثرها بهاء قصص الأنبياء ، ومن السنة النبوية الشريفة .

ووثق القرآن وقائع معركة أحد من بداياتها ، قال تعالى ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) (٣) في خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإشعار متجدد للمسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج يوم أحد من الصباح من بيته مفارقاً أزواجه لينظم صفوف أصحابه للدفاع ، ويعين لهم واجباتهم .

ولمن تقل الآية (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) أو (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ) أو (وَإِذْ غَدَوْتَ) من غير تقييد بجهة الإبتداء ، إنما ذكرت الآية الأهل ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ وفيه مسائل :

الأولى : بيان حقيقة وهي أن النبي يقدم الدفاع عن بيضة الإسلام على العيال والجلوس معهم .

الثانية : لم يتعلق قلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنساء مع كثرة نسائه إنما كان يسعى للذب عن النبوة والتنزيل .

الثالثة : في الخروج من الأهل للدفاع حاجة للإقامة معهم ، إذ أراد المشركون غزو المدينة بدليل اطلالتهم عليها من جبل أحد ولا يمكن استدامة عسكرتهم في سفحه لأسابيع أو أشهر ، كما لا يعقل أن يعودوا من حيث أتوا إن لم يخرج لهم النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة يوسف ٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٢١ .

(٣) أنظر الجزء السابع والسبعين الذي يتضمن تفسير هذه الآية من سورة آل عمران .

وسلم والمسلمون ، فقد أرادوا قتله وأصحابه مما يدل على حقيقة وهي أن المشركين هم الغزاة في واقعة أحد .

الرابعة : تقييد الآية بأن الخروج بالغداة أي في الصباح شاهد على لزوم عدم الفتور في الدفاع ، وفيه إشارة بأن المشركين هددوا باقتحام المدينة .

الخامسة : تتضمن الآية الثناء على الصحابة بنعتهم بالإيمان بقوله تعالى ﴿تَبَوَّءَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(١) وفيه بشارة نزول المدد والعون من الله ، قال تعالى ﴿إِنْ تَسْتَحِذُوا فَتَدْرِكُوا كَمَا الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تُعْذِرُوا وَاعْتَدُوا وَكُنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فُتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كُفِّرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢).

السادسة : بيان فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتهيئة أمة من المؤمنين يدافعون عنه وعن القرآن ، فلقد خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة مهاجراً خائفاً ، وفي ليلة أرادت فيها قريش اغتياله في فراشه ، وهو من أشد أصناف الإرهاب ، إذ اختارت القبائل رجلاً من كل قبيلة ليضربوه ضربة واحدة ليعجز بنو هاشم عن الأخذ بدمه ويرضون بالدية .

وحالما وصل إلى المدينة وجد انصاراً له في استقباله وبنى فيها أكثر من مسجد يصلي فيها وأصحابه خمس مرات في اليوم ، ويتلو عليهم آيات القرآن ، ويفد الناس إلى المدينة لرؤية معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أما قريش وهم أبناء عمومته فقد جهزوا الجيوش من القريب والبعيد ، والداني والقاصي لقتاله ، فلم يفتن

(١) سورة آل عمران ١٢١.

(٢) سورة الأنفال ١٩.

أصحابه بهذه العداوة إذا كان عمه أبو لهب وشطر من أبناء عمومته من قريش ينكرون نبوته ويحاربونه بالسيف ، وأدركوا أن العداوة بين الإيمان والكفر ، فأظهروا الإيمان وأثنى الله عز وجل عليهم ووصفهم بالمؤمنين شاكرًا لهم تعضيدهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا التعضيد مدد وعون من الله عز وجل ، وقلوب الناس بين أصبعين من أصابع الله يقبلها حيث يشاء ، قال تعالى ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ويدل لفظ ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾^(٢) على الدفاع وليس الهجوم لأن المقاعد مواضع الدفاع ويمكن اقتباس قانون في القرآن وهو أن المراد من لفظ القتال والأمر به من الله للمسلمين هو الدفاع ، فقد ورد لفظ ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ أربع مرات في القرآن وهي :

الأولى : ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) إذ وردت هذه الآية بالنهي عن القتال في المسجد الحرام وإن كان المشركون هم الذين يتولون شؤونهم .

(١) سورة الأنفال ٦٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٢١ .

(٣) سورة البقرة ١٩١ .

فصحيح أن هذه التولية بغير حق ، ولكنها ليست علة للقتال إلا أن يبدأوا بالقتال ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الضَّالُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَتَاهَا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) وتدل الآية على القتال دفاعاً بدليل قوله تعالى في ذات الآية ﴿فَإِنْ أَتَاهَا﴾ أي حالما يكفوا عن القتال ، فليس عليكم قتالهم أو الهجوم عليهم ، وتدل على هذا التفسير السنة النبوية الفعلية فلم يهجم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين ، ولم يقم بغزوهم ، وقال المشهور بخصوص الفتنة في الآية أعلاه أنها الشرك ، وبه قال مجاهد^(٣) ، والمراد من الفتنة أعم من الشرك .

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَتَاهَا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤) إذ أن هجوم المشركين على المدينة من أعظم الفتن لما فيه من القتل والسبي ومحاولة استئصال الإسلام ، وعندما احتج الملائكة عند تفضل الله بجعل ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٥) لأن الإنسان ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٦)

(١) سورة الأنفال ٣٤.

(٢) سورة البقرة ١٩٣.

(٣) الدر المنثور ١/٤١٢.

(٤) سورة الأنفال ٣٩.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

(٦) سورة البقرة ٣٠.

أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ومن علم الله عز وجل وجود أمة مؤمنة تمنع من الفتنة التي يبغيها المشركون بهجومهم على المدينة وغزوهم الناس الآمنين .
فيكون القتال دفاعاً لأمرين :

الأول : المنع من الفتنة .

الثاني : تمام الدين لله عز وجل .

فما دام رؤساء الكفر يحاربون النبوة والإسلام فان غشاوة تكون على أبصار شطر من أتباعهم ، فيأتي دفاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لإزاحة هذه الغشاوة .

ومن الإعجاز في المقام أنه بعد فتح مكة وفي السنة التاسعة توافدت وفود العرب من الجزيرة وخارجها على المدينة حتى سمي عام الوفود .

وفي هذه الآية تكرار لمضمون الآية ١٩٣ من سورة البقرة لتأكيد الضرر العام الفادح للفتنة .

الرابعة : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَلَوْنَ قَوْمًا نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢)
فقد ذكرت الآية أعلاه لفظ ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ بعد أن أخبرت الآية التي قبلها بأن المشركين هم الذين بدأوا القتال أول مرة ، أي أن الدفاع أعم من أن يكون في ذات المعركة أو بعدها ، والملاك بتفريق جمع العدو ، ومنع تكرار تصديه وغزوه ، وهو الذي تجلّى في كتائب النبي صلى

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة التوبة ١٣-١٤.

الله عليه وآله وسلم باكتفائه بتفريق جموع المشركين كما في كتيبة ذات الرقاع .

لقد كان قتال النبي محمد صل الله عليه وآله وسلم دفاعاً ، ويكتفي بصرف العدو ، ويكون النطق بكلمة التوحيد حصناً وعصمة من القتل .

و(عن المقداد بن الأسود قال : قلت : يا رسول الله أرأيت إن اختلفت أنا ورجل من المشركين بضربتين فقطع يدي ، فلما علوته بالسيف قال : لا إله إلا الله أضربه أم أدعه؟ قال : بل دعه . قلت : قطع يدي! قال : إن ضربته بعد أن قالها فهو مثلك قبل أن تقتله ، وأنت مثله قبل أن يقولها .

وأخرج الطبراني عن جندب البجلي قال : إني لعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جاءه بشير من سريره ، فأخبره بالنصر الذي نصر الله سريره ، وفتح الله الذي فتح لهم . قال : يا رسول الله بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى ، إذ لحقت رجلاً بالسيف ، فلما خشي أن السيف واقعه ، وهو يسعى ويقول : إني مسلم ، إني مسلم .

قال : فقتلته . . . ؟ فقال : يا رسول الله إنما تعوذ .

فقال : فهلا شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب؟ فقال : لو شققت عن قلبه ما كان علمي هل قلبه إلا مضغة من لحم! قال : لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت قال : يا رسول الله استغفر لي .

قال : لا أستغفر لك . فمات ذلك الرجل ، فدفنوه فأصبح على وجه الأرض ، ثم دفنوه فأصبح على وجه الأرض ثلاث مرات ، فلما رأوا ذلك استحيوا وخزوا مما لقي ، فاحتملوه فألقوه في شعب من تلك الشعاب^(١) .

وفيه شاهد على حرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على سلامة عامة الناس ، ودعوته المسلمين للإحتراف من القتل والقتال .

والحديثان أعلاه من التفسير والمصداق النبوي لقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) في رد الله عز وجل على الملائكة بأن الأنبياء يكتفون بكلمة التوحيد والنطق بلا إله إلا الله لوقف القتال ودرء الفتنة .

ومن الفتنة التي تذكرها الآية أعلاه تجدد غزو المشركين للمدينة ، فاذا لم يقاتلهم المسلمون يعودون مرة أخرى بأعداد أكثر ، وهي مناسبة أكبر للقتال ، ومن الفتنة قيام المشركين بغزو المدينة إن لم يتصد لهم المسلمون خارجها ، فلو لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى موضع جبل أحد حيث يعسكر المشركون آنذاك لاقتحموا المدينة .

الأقرع بن حابس بن عقال التميمي

اسم الأقرع فراس بن حابس ، إنما لقب بالأقرع لقرع كان في رأسه ، وهو عم الشاعر الفرزدق ، ومعنى الفرزدق الرغيف ، والواحدة الفرزدقة ، وقيل هو فتات الخبز واسم الفرزدق همام .

هو أحد المؤلفات لقلبهم ، وليس من الطلقاء لأنه أسلم قبل يوم الفتح ، الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) وشهد

(١) سورة التوبة ١٣-١٤.

(٢) سورة التوبة ٦٠.

الأقرع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة وحنيناً والطائف ، وأعطاه النبي يوم حنين مائة من الإبل مثلما أعطى أبا سفيان .

وقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع وفد تميم ونادوه من وراء الحجرات ، وذكر أن الأقرع هو الذي نادى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا محمد ، فلم يجبه فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) .

(عن أبي هريرة: أن الأقرع بن حابس رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل حسناً وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبل الحسين .

فقال: لقد ولد لي عشرة أو قال: عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا يُرحم من لا يرحم! " وأما من قال: هو عيينة فورد عن إبراهيم بن عمر البرمكي قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن خلف بن بجيت: قال: حدثنا محمد بن صالح بن ذريح قال: حدثنا هناد قال: حدثنا عفرة عن محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدلع لسانه للحسن، وإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه بيده يقول يتناوله، فقال له عيينة بن بدر: ألا أراك تصنع هذا بهذا إنه ليكون الرجل من ولدي قد خرج وجهه وأخذ بلحيته ما قبلته قط فقال : إنه لا يرحم من لا يرحم)^(٢).

وعن خباب بن الأرت وهو تميمي بالنسب ، خزاعي بالولاء ، زهري بالحلف قال (جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن

(١) سورة الحجرات ٤.

(٢) الخطيب البغدادي / الاسماء المبهمة ٩٥/١.

حصن الفزاري ، فوجدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعداً مع بلال ، وصهيب ، وعمار ، وخباب ، في أناس ضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فخلوا به .

فقالوا : انا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإن وفود العرب ستأتيك فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فلتقعد معهم إن شئت . قال : نعم .

قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً ، فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية ، إذ نزل جبريل بهذه الآية { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي }^(١) إلى قوله { فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة }^(٢).

فألقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ، ثم دعا فأتيناه وهو يقول { سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة } فكنا نقعد معه ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . . . }^(٣) الآية . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقعد معنا بعد ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها ، تركناه حتى يقوم^(٤).

ليبان قانون وهو أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم حارب العنصرية ، وأن القرآن استأصلها من الأرض ، وهو من الشواهد على صدق نبوته ، فما من نبي إلا ودعا إلى التنزه عنها ، وهذا التنزه تأديب في مسالك الصلاح ، ووقاية من الإرهاب.

(١) سورة الأنعام ٥٢.

(٢) سورة الأنعام ٥٤.

(٣) سورة الكهف ٢٨.

(٤) الدر المنثور ٦٠/٤.

(عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتُقَبِّلُونَ الصَّبِيَّانَ قَالَ وَاللَّهِ مَا تَقْبَلُهُمْ قَالَ لَأُأْمَلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَزَعَ مِنْكَ الرَّحْمَةَ) ^(١).

وفيه نكتة وهي أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يشيع تقبيل الصبيان لأنه عنوان الرحمة ، ومن يتعلق حبه بصبيان يتجنب القتال والغزو لإحتمال أنه يقتل ، ولما فيه من الإضرار بالغير .

(عن قتادة قال : بلغنا أنه مكتوب في التوراة ابن آدم ارحم ترحم إنه من لا يرحم لا يُرحم ، كيف ترجو أن ارحمك وأنت لا ترحم عبادي) ^(٢).

وقال ابن عباس في المؤلفلة قلوبهم (هم قوم أشرف من الأحياء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلاً منهم أبو سفيان والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الإبل) ^(٣).

وبخصوص حج البيت الله الحرام وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ^(٤) .

ورد عن ابن عباس قال (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله؟ قال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فتطوع .

(١) مسند أحمد ٤٩/٤٢٨ .

(٢) الدر المنثور ٤/٣٢٤ .

(٣) تفسير النيسابوري ٤/١٦٧ .

(٤) سورة آل عمران ٩٧ .

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال : لما نزلت {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً} ^(١).

قال رجل : يا رسول الله أفى كل عام؟ قال : والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما قمتم بها ، ولو تركتموها لكفرتم . فذروني فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه ^(٢).

قانون قلة القتلى في معارك الإسلام معجزة

من خصائص أيام الجاهلية الإسراف في القتل مع إنعدام السبب والراجح لإهراق دم شخص واحد في ذات الوقائع ، ولو كانت هناك أسباب لإفشاء القتل في الأرض لما احتجت الملائكة عند إخبار الله عز وجل لهم على نصب خليفة في الأرض ، إذ قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ^(٣) ، وكثرة الفتن والإقتال من رشحات عبادة الأوثان ، وعدم ضبط السلوك ومنظومة الأخلاق إذ أن الخشية من الله عز وجل زاجر عن القتل .

والنبوة والتنزيل علة نوعية متجددة لنشر فلسفة العفو والتسامح والتنزه عن المعصية والجاهلية ، قال تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٩٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١﴾.

ومن القوانين التي تحكم حياة الناس في الجاهلية وقبل البعثة النبوية أنه ليس من شخص إلا وهو خائف من القتل سواء ثاراً بسبب قيام بعض أقاربه وأبناء عمومته بقتل شخص آخر ، أو التعرض للقتل ابتداءً .

وليس من قبيلة إلا وهي تخاف الغزو والهجوم من غيرهم ، حتى قريش مجاوري البيت الحرام وبخصوص ما ورد في التنزيل حكاية عن ابليس يوم بدر ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾^(٢) ، أن أهل مكة لما بلغتهم رسالة أبي سفيان بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يتعرضون لقافلته ، غضبوا (وتنادوا فيما بينهم ، وقالوا : لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه)^(٣).

وعندما ساروا لحقهم هم شديد بالخشية من بني بكر وكنانة إذ خافوا أن يقوموا بغزو مكة ويستولوا على أموال قريش ، والعرب كلها تعرف كثرة أموالهم ، أو أنهم يأتون لقريش في مسيرها من خلفهم فجاءهم ابليس بهيئة وصورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي أحد سادات بني كنانة فقال (إني جار لكم ، ولن تخافوا من قومي وهم لكم أعوان على مقصدكم ولن يغلبكم أحد ، فساروا عند ذلك ومضوا نحو بدر .

(١) سورة الفتح ٢٦.

(٢) سورة الأنفال ٤٨.

(٣) الكشف والبيان ١٣/٦.

وقال لهم : أنتم تقاتلون عن دين الآباء ولن تعدموا نصراً).
لقد كانت قریش أشد على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قوم صالح عليه الذين احتجوا على دعوته لنبذ عبادة الأصنام وفي التنزيل ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾^(١)، أما قریش فانهم أرادوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ، ثم جهزوا الجيوش تلو الجيوش لقتاله وأصحابه في المدينة ، وكانت معركة بدر أول تلك المعارك .

فروي أنه لما التقى الجمعان كانت يد إبليس في يد الحارث بن هشام ، فلما رأى الملائكة نكص لقد رأى إبليس (الملائكة نزلت من السماء، ورأى جبريل محتجراً يبرد يمشى بين يديه عليه الصلاة والسلام ويده اللجام يقود الفرس، وما ركب بعد، وعلم أنه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه مولياً هارباً .

فقال له الحارث: إلى أين، أفراراً من غير قتال ، أتخذلنا في هذه الحالة؟! فقال : إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث ، فانطلق فانهمز الناس (٢).

وروي أن عمرو بن وهب أو الحارث بن هشام قال له أين سراقه؟ فلم يلو ومثل عدو الله فذهب ووقعت الهزيمة ، فتحدث أن سراقه فر بالناس ، فبلغ ذلك سراقه بن مالك ، فأتى مكة فقال لهم : والله ما علمت بشيء من أمركم حتى بلغتنى هزيمتكم ولا رأيتمكم ولا كنت معكم^(٣)،

(١) سورة هود ٦٢ .

(٢) سمط النجوم العوالي ١/٢٤٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٣/١٩٤ .

وسراقة هذا هو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة ليلقي القبض عليه وعلى أبي بكر أو يقتلها فيأخذ ديتهما من قريش ، حتى إذا صار على بعد رمية رمح أو رمحين أو ثلاثة توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله عز وجل بالدعاء والشكوى (اللهم اكفنا بما شئت) (١).

عندئذ ساخت قوائم فرس سراقة إلى صدرها ، وعلم أنها المعجزة ، وأدرك أنه يموت في مكانه عطشاً لبيان الأثر الغيري للمعجزة النبوية وأن دلالتها ونفعها لا يختص بها بالذات بل يشمل الغير.

وكانت أخبار معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منتشرة بين أهل مكة ، يعرفها القاصي والداني ، لتكون حجة وزاجراً عن الإرهاب .

واستكبر رؤساء قريش بسبب الغشاوة التي على أبصارهم . لقد وثب سراقة عن فرسه ، ونادى بأعلى صوته : يا محمد ، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينني مما أنا فيه .

أي أنه سلم بأن ما أصابه ليس من السحر ونحوه إنما هو معجزة وآية من عند الله ، وتعهده سراقة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد أي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من مكة ، وقال هذه كنائتي فخذ منها سهماً (فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حاجة لي فيها. فأطلق .

فرجع إلى أصحابه وجعل لا يلقي أحداً ، إلا قال: كفيتم، ما ههنا. فلا يلقي أحداً إلا رده (٢).

(١) سمط النجوم العوالي ١/١٥١.

(٢) سمط النجوم العوالي ١/١٥١.

لتكون حادثة سيخ قوائم فرس سراقاة إنذاراً لقريش بأن يمتنعوا عن اللحاق بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المدينة وعن تجهيز الجيوش لقتاله ، فانهم لا يلقون من هذا التجهيز إلا الخسارة والخزي في النشاطين بلحاظ قانون وهو أن أثر المعجزة لا ينحصر بالحياة الدنيا بل يشمل عالم الآخرة ، لما في التصديق بها والإنتفاع منها من الأجر والثواب العظيم.

لقد صار سراقاة رسولاً إلى قريش وقومه بأن يجتنبوا ملاحقة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة قتله ، ولكنهم لم يتعظوا فسارت جيوشهم إلى معركة بدر ، فابتلاهم الله عز وجل بأن حضر الشيطان يوم بدر بصورة سراقاة نفسه ، وهو من اسرار مجئ إبليس على صورته يوم بدر.

وقيل كان سراقاة (أمير بني مدلج ورئيسهم)^(١) ، وعندما رجع سراقاة أذاع ما تعرض له جواده ، وأشرافه على الهلاك لولا دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وانتشرت قصته في مكة ، وخشي رؤساء قريش أن تكون سبباً لإسلام كثير من الناس.

فكتب أبو جهل إلى قومه بني مدلج شعراً :

بني مدلج إنني أخاف سفيهمكم ... سراقاة يستغوي بنصر محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم ... فيصبح شتى بعد عزّ وسؤدد^(٢).

فقال سراقاة بن مالك يجب أبا جهل في قوله هذا :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ♦ لامر جوادي إذ تسوخ قوائمه
ولم تشكك بأن محمداً ♦ رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
بكف القوم عنه فإنني ♦ أخال لنا يوماً ستبدو معاملة .

(١) البداية والنهاية ١/ ١٨٦.

(٢) سمط النجوم العوالي ١/ ١٥١.

بأمر تود النصر فيه فإنهم ♦ وإن جميع الناس طراً مسالمة^(١).
وإذا كان ما تعرض له سراقعة معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهل إذاعة خبره بين أهل مكة وفي متدديات أهلها من معجزات النبي محمد ، أم من رشحات هذه المعجزة ، الجواب لا تعارض بين الأمرين .

وهل هو سبب لقلعة وتباعدا المعارك بين المسلمين والكفار وقلعة سفك الدماء فيها ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ولما احتجت الملائكة على جعل خليفة في الأرض ، بأن شطرا من الناس يفسدون في الأرض وهذا الفساد وجحود بأصل الخلافة وتعارض معها ، وأنهم يسفكون الدماء في الوقت الذي يلزم أن يتعاهد الأمن فيها أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ومن علم الله تعالى قطع دابر الفساد ببعثة الأنبياء ، ويكون من معاني قوله تعالى ﴿وَكَايْنِ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٤) ، وجوه :^(٥)

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٢٤٩ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة آل عمران ١٤٦.

(٥) أنظر الجزء (١١٤) من هذا السفر الذي صدر خاصاً بتفسير الآية (١٤٦) من آل عمران.

الأول : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير لمنع الفساد في الأرض.

الثاني : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير دفاعاً عن العدل والحق والتنزيل.

الثالث : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير لمنع سفك الدماء في الأرض ، فلولا النبوة والتنزيل لصار القوي يستعبد الضعيف ويدل عليه ما ورد في قصة فرعون مع بني إسرائيل ﴿قَالَ سَتَقُلُّ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(١).

إذ جمع فرعون في وعيده بين مسائل :

الأولى : قتل أبناء بني إسرائيل بما يدل على الإبادة الجماعية.

الثانية : قطع نسل بني إسرائيل بقتل الأبناء الذكور ، أما الكبار فانهم غير قادرين على الإنجاب ، وفي سن الشيخوخة .

الثالثة : وطئ النساء من بني إسرائيل ، ولا يضر آل فرعون إنجابهن الأولاد منهم ، لأن الابن يلحق بآبيه.

ولم يقل أنها تنكح ، فقد ترفع عن القول بالزواج والنكاح وكأنه قصد اتخاذهن اماءاً فأهلكه الله وجنوده في البحر الأحمر ، فتزوجت نساؤهم العبيد ، واشترطت عليهم أن لا يفعلوا أمراً إلا بأذنهم.

الرابعة : يتباهى فرعون بملكه وسلطانه وأنه فوق بني إسرائيل من جهة التصرف في الملك والشأن والرفعة.

الخامسة : كان فرعون يحسب استدامة غلبتهم وعلوهم على بني إسرائيل ، وأي أمر مستحدث أو طارئ يتخذ فرعون ومثلته الفعل

المناسب بخصوصه والذي يذل به بني إسرائيل ، ولكن ورد في التنزيل ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١).

الرابع : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الذين أرادوا غزوهم.

الخامس : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير .

السادس : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير اضطراراً .

السابع : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فمنعوا القتال بين الناس.

الثامن : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير في سبيل الله ، لبيان قانون وهو كل قتال لنبي هو في سبيل الله.

التاسع : وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فكان القتل قليلاً ، ومن معاني صفة الكثرة في أعوان وأصحاب النبي الذي يقاتل إلحاق الخوف بصفوف الذين كفروا فلا يلجأون إلى الهجوم على النبي وأصحابه .

لتدل الآية في مفهومها على الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إذا كانوا قلة بالنسبة لكثرة جنود العدو ، سواء في معركة بدر أو أحد أو الخندق فانعم الله عز وجل عليهم وعلى الناس وخفف عنهم قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الفتح ١٠.

(٢) سورة الأنفال ٦٥.

ووصف الآية أعلاه المؤمنين بأنهم صابرون شاهد على أن المراد أنهم كانوا في حال دفاع وأنهم في عصمة من التعدي ، ولا يغون السلب أو النهب .

وقد تقدم في الجزء الرابع والستين بعد المائة من هذا التفسير جدول الكتاب والسرايا أيام النبوة وعدد القتلى فيها على نحو التفصيل والبيان ، من أول أيام (بعثة النبي محمد صلى الله عليه وله وسلم وهو في سن الأربعين وفي سنة ٦١٠م إلى إنتقاله إلى الرفيق الأعلى في السنة العاشرة للهجرة كالاتي :

الأول : عدد الشهداء من المسلمين : ٢٣٠

الثاني : عدد القتلى من المشركين : ٢١٢

الثالث : عدد القتلى من اليهود : ٦٩

ويكون المجموع الكلي في ثلاث وعشرين سنة مدة البعثة قبل وبعد الهجرة هو : ٥١١

خمسائة وأحد عشر من المسلمين والمشركين واليهود.

مع جعل هامش بمقدار العشر بلحاظ بعض الروايات والأخبار التي لا تخلو من المبالغة في عدد قتلى الطرف الآخر وتقادم الزمان في الرواية إذ أن ابن إسحاق مثلاً متأخر عن فترة النبوة في زمانه (٨٥-١٥١) هجرية ، وكان جده من سبي عين التمر التي فتحها المسلمون سنة ١٢ للهجرة .

وشرع ابن إسحاق في كتابة السيرة النبوية في أيام أبي جعفر المنصور الذي تولى الحكم سنة (١٣٦-١٥٨) هجرية.

إن قلة عدد القتلى هذا وبيانه للناس في كل زمان حرب على الإرهاب ، ومنع من الإفتراء والتعدي على مقام النبوة ، فالملك في النبوة الرحمة العامة بالناس ، وفيه ثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أصحابه ، ودلالة على أن توالي نزول القرآن

من عند الله عز وجل سبب لقلّة القتلى ، وواقية من سفك الدماء سواء من المسلمين أو المشركين .

ويمكن انشاء قانون وهو نزول كل آية قرآنية برزخ دون سفك الدماء ، والبراهين على هذا القانون متكثرة ومن خصائص النبوة أنها تجذب الناس إلى مقامات الهدى ، وتجب الإيمان إلى قلوبهم قال تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فَيَكُمُ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(١).

قانون المعجزة الجسدية (علم جديد)

من قوانين النبوة المدد من عند الله عز وجل لكل نبي بما يجعل طائفة من الناس يصدقون بنبوته ، ويتجلى هذا المدد بالمعجزة التي تجري على يد النبي ، وبفضل ظاهر وخفي من عند الله عز وجل . والمعجزة بفتح الميم ، من العجز عن القدرة على إتيان الفعل ، والله وحده الذي لا يعجزه شئ ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٣) ، والمعجزة في اصطلاح المتكلمين هو أمر معجز للناس رزقه الله الأنبياء ، وتختص المعجزة بالأنبياء وتتصف بخصائص :

الأولى : قانون المعجزة من عند الله ، ولا يقدر عليها إلا هو سبحانه.

الثانية : قانون جريان المعجزة على يد النبي .

(١) سورة الحجرات ٧.

(٢) سورة الحج ١٤.

(٣) سورة الحج ١٨.

الثالثة : قانون المعجزة أمر خارق للعادة.

الرابعة : قانون إقتران المعجزة بالتحدي.

الخامسة : قانون عدم المعارضة أو المماثلة للمعجزة.

السادسة : قانون لكل نبي معجزة يتصف بها وتنسب إليه .

السابعة : قانون تعدد أو تكرار المعجزة على يد النبي .

الثامنة : قانون إتصاف المعجزة بأنها من جنس ما يعتني به أهل زمان النبي ، وما يبرعون به ، فمعجزة موسى العصا لأنهم كانوا منشغلين بالسحر ، ومعجزة عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، قال تعالى ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾^(١).

وليس من حصر لمنافع المعجزة النبوية ومنها أنها برزخ دون العنف والتعدي والظلم ، أنها مسألة رأي عام ينشغل بها الناس جميعاً ، ويعلمون أن قوى غيبية قاهرة تحكم الكون ، وهي قدرة ومشية الله ، قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢).

ومن خصائص كل نبي أنه يخبر عن عالم الآخرة بصيغ البشارة لأهل الإيمان ، والإنذار لأهل الفسوق .

وإذ كانت معجزات الأنبياء حسية فإن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عقلية وحسية ، ونضيف قسيماً ثالثاً في المعجزة وهو المعجزة الجسدية.

ومن أظهر المعجزات الجسدية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبوة، ويمكن تقسيم المعجزة الجسدية إلى أقسام:

(١) سورة المائدة ١١٠.

(٢) سورة الإنسان ٣٠.

الأول : المعجزة العرضية الطارئة، كما في زكريا ﴿قَالَ آتَيْكَ الْأَتَكَمَّ

النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^(١).

الثاني : المعجزة التي تأتي بعد البلوغ، كما في يحيى عليه السلام، وصفة الحصور، قال تعالى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

الثالث : المعجزة الجسدية الدائمة وهي التي إتصف بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي خاتم النبوة خلف كتف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأيسر إذ صاحبه الخاتم ولم يغادر بدنه إلا عند الوفاة.

وهو من مختصاته صلى الله عليه وآله وسلم فليس من نبي جمع الله له المعجزة الحسية والعقلية والجسدية معاً ، والمعجزة العقلية هو آيات القرآن ، ومن مختصاته صلى الله عليه وآله وسلم أمران :
الأول : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء ، فليس من نبي بعده ، وهل يمكن القول :

أولاً : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الرسل .

ثانياً : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء .

الجواب نعم ، ولكن الوصف خاتم الأنبياء جامع مانع ، لأن النسبة بين الأنبياء والرسل عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول هو نبي وليس العكس .

(١) سورة مريم ١٠.

(٢) سورة آل عمران ٣٩.

الثاني : وجود خاتم النبوة في كتف النبي محمد الأيسر ، وهو من العلامات التي كان يخبر عنها الأنبياء السابقون بأنها صفة لنبي آخر الزمان.

وقد تأتي المعجزة بآية في البدن كما في يحيى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيَحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) ، وكما في زكريا ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِيكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٢).

قد رزق الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبوة علامة في بدنه كان أهل الكتاب يذكرونها عند التبشير بنبوته بلحاظ أنها علامة مصاحبة لبدنه ، وكانوا يسألون عنها عند شياع الأخبار بيعته .

وخاتم النبوة ، هو كغدة اللحم عند (نغض كتفه الأيسر خاتم النبوة ، كأنه بيضة حمام، لونه لون جسده، عليه خيلان ومن فوقه شعرات)^(٣) .

والنغض العظم الرقيق على طرف الكتف ، والخيلان الشامة في الجسد ، ويحتمل ابتداء وجود خاتم النبوة وجوهاً :

الأول : من حين ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٤) .
الثاني : أو ان مخصوص .

(١) سورة آل عمران ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران ٤١ .

(٣) جوامع السيرة ٢٢/١ .

(٤) أنظر الراوندي / الخرائج والجرائح ٨٤/٣ .

الثالث : عندما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع : قد ورد النص بأنه وضع في حديث نزول الملكين عندما

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بني سعد مع حليلة السعدية ، وعن أبي ذر قال : قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ ، وَبِمَ عَلِمْتَ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ ؟ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بِيْطَحَاءِ مَكَّةَ ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا بِالْأَرْضِ وَكَانَ الْآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَهْوَ هُوَ ؟ قَالَ هُوَ هُوَ قَالَ فَرَزْنُهُ بِرَجُلٍ فَوَزَنَنِي بِرَجُلٍ فَرَجَحْتُهُ .

ثُمَّ قَالَ زَنَهُ بِعَشْرَةٍ فَوَزَنَنِي فَرَجَحْتَهُمْ ثُمَّ قَالَ زَنَهُ بِمِائَةٍ فَوَزَنَنِي ، فَرَجَحْتَهُمْ .

ثُمَّ قَالَ زَنَهُ بِأَلْفٍ فَوَزَنَنِي فَرَجَحْتَهُمْ حَتَّى جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ .

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ شُقَّ بَطْنُهُ فَشُقَّ بَطْنِي ، فَأَخْرَجَ قَلْبِي ، فَأَخْرَجَ مَعَهُ مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ وَعَلِقَ الدَّمُ فَطَرَحَهُمَا .

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اغْسِلْ بَطْنُهُ غَسْلَ الْإِنَاءِ وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمَلَأِ^(١) ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ خُطَّ بَطْنُهُ فَخَاطَ بَطْنِي ، وَجَعَلَ الْخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفِي كَمَا هُوَ الْآنَ وَوَلِيًّا عَنِّي ، فَكَأَنِّي أَعَايِنُ الْأَمْرَ مُعَايِنَةً^(٢) .

والمختار هو الوجه الرابع أعلاه كما يدل عليه حديث بحيرى

التالي.

لون وحجم الخاتم

اختلف الذين رأوا خاتم النبوة في لونه على أقوال :

الأول : كان لون خاتم النبوة أسود يميل الى الصفرة .

(١) أي كغسل الثوب البين الرقيق .

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٨٨ .

الثاني : كان لونه بلون جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض مشوباً بحمرة.

الثالث : لون الخاتم أحمر.

الرابع : أسود اللون .

الخامس : تعدد لون الخاتم والتفاوت فيه حسب الحال وأوان رؤية الصحابي له .

وهذا التعدد من الإعجاز فيه ، وفي حجم الخاتم وجوه :

الأول : إنه بقدر بيضة الحمامة وهو وصف سلمان الفارسي^(١).

الثاني : إنه مثل الهلال .

الثالث : عليه خيلان جمع خال ، وهي الشامة في الجسد ، ومن فوقه شعرات.

الرابع : أنه شامة خضراء محتفزة في اللحم.

الخامس : إنه كزر الحجلة.

السادس : ثلاث شعرات مجتمعات.

السابع : إنه نور وفي حديث نزول الملكين وشق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وأقبل الثالث يعنى الملك وفى يديه خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه)^(٢).

الثامن : مجموعة شامات كامثال الثآليل النغض ، وأخرج مسلم عن عبد الله بن سرجس قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه الأيسر ، جمعا عليه خيلان ، كامثال الثآليل النغض بضم النون وسكون الغين المعجمة وضاد معجمة فوق الكتف ، والجمع بضم الجيم الكف إذا جمع .

(١) عيون الأثر ٢/٤٢٠

(٢) عيون الأثر ٢/٤٢٠.

والخيلان جمع خال وهي الشامات السود والثآليل جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد^(١).

التاسع : عن أبي سعيد الخدري : كان خاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين كتفيه لحمه ناتئة^(٢).

العاشر : خاتم النبوة بضعة ناشزة عن أبي سعيد الخدري ، لقد كان خاتم النبوة أحد العلامات التي يتوارثها أهل الكتاب وأرباب المعرفة في صفة خاتم النبيين .

وعن (عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول زيد بن عمرو وإقراءه منه السلام، فرد عليه السلام وترحم عليه وقال: قد رأيته في الجنة يسحب ذيولا)^(٣).

الحادي عشر : ورد عن عبد الله بن سرجس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وأكلت معه وشربت من شرابه ورأيت خاتم النبوة في نغض كتفه اليسرى كأنه جمع فيه خيلان سود كأنها الثآليل ، ورواه عن غندر عن شعبة عن عاصم عن عبد الله بن سرجس فذكر الحديث وشك شعبة في أنه هل هو في نغض الكتف اليمنى أو اليسرى وقد رواه مسلم من حديث حماد بن زيد وعلي ابن مسهر وعبد الواحد بن زياد ثلاثهم عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما أو قال ثريدا فقلت يا رسول الله غفر الله لك قال ولك فقلت أستغفر لك يا رسول الله قال نعم ولكم ثم تلا هذه الآية (واستغفر لذنبيك وللمؤمنين والمؤمنات) .

(١) الخصائص الكبرى ١/١٠٤.

(٢) البخاري / التاريخ الكبير ٢/٨٥.

(٣) ابن كثير/السيرة النبوية ١/١٥٩.

قال ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل وقال أبو داود الطيالسي ثنا قرة بن خالد ثنا معاوية بن قرة عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرني خاتم الخاتم فقال أدخل يدك فادخلت يدي في جربانه فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه^(١).

الثاني عشر: انه مثل التفاحة ، وعن أبي رمثة التيمي قال : خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه ردع حناء ورأيت على كتفه مثل التفاحة فقال أبي إني طيب أفلا أطبها لك.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : طيبها الذي خلقها.
وقال لأبي هذا ابنك قال نعم قال أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه^(٢).

والأقرب المراد أنه على هيئة التفاحة وليس حجمها ، وإن كان من التفاح ما هو صغير أي يكون الخاتم كالتفاحة الصغيرة .
الثالث عشر: إنه كالبنقة .

الرابع عشر: (لحم ناشز بين كتفيه)^(٣)، (عن أبي زيد قال : قال لي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أدن فامسح ظهري فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعي على الخاتم فقليل له ما الخاتم قال شعر مجتمع عند كتفه)^(٤).

(١) البداية والنهاية ٢٧/٦ .

(٢) البداية والنهاية ٢٧/٦ .

(٣) الخصائص الكبرى ١٠٥/١ .

(٤) الخصائص الكبرى ١٠٥/١ .

شواهد وثائقية على خاتم النبوة

وورد في حديث في صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن سلمان قال : كنت يتيما من رام هرمز وكان أبي دهقان رام هرمز يختلف إلى معلم يعلمه فلزمته لأكون في كنفه وكان لي اخ أكبر مني وكان مستغنيا بنفسه .

و كنت غلاما فقيرا فكان إذا قام من مجلسه تفرق من يحفظه فإذا تفرقوا خرج فتقنع بثوبه ثم صعد الجبل فكان يفعل ذلك غير مرة متكررا فقلت له أما إنك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك . قال انت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء قلت لا تخف .

قال فإن في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة يزعمون انا عبدة النيران وعبدة الأوثان وأنا على غير دين .

قلت فاذهب بي معك إليهم قال حتى استأمرهم فاستأمرهم فقالوا جيء به فذهبت معه فأنتهيت إليهم فإذا هم ستة و سبعة وكأن الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا .

فقعنا إليهم فحمدوا الله وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا بعثه الله وولد بغير ذكر بعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من إحياء الموتى وخلق الطير وبراء الأعمى والاكمه والأبرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم .

قالوا يا غلام إن لك ربا وإن لك معادا وان بين يديك جنة ونارا إليها تصير وان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين .

ثم انصرفنا ثم غدونا اليهم فقالوا مثل ذلك وأحسن فلزمتهم فقالوا لي يا سلمان إنك غلام وإنك لا تستطيع أن تصنع ما نضع فصل ونم وكل واشرب.

ثم اطلع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده فقلت ما أنا بمفارقكم فخرجت معهم.

حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم اتاهم رجل من كهف فسلم وجلس فحفوا به وعظموه.

فقال لهم أين كنتم فأخبروه قال ما هذا الغلام معكم فاثنوا علي خيرا وأخبروه باتباعي إياهم ولم أر مثل أعظامهم إياه.

فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر من أرسل الله من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى بن مريم ثم وعظهم.

وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوه فيخالف بكم ثم أراد أن يقوم.

فقلت ما أنا بمفارقك قال يا غلام إنك لا تستطيع أن تكون معي إنني لا أخرج من كهفي هذا إلا كل يوم أحد قلت ما أنا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما إلا راكعا وساجدا إلى الأحد الآخر .

فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا إليه فتكلم نحو المرة الأولى ثم رجع إلى كهفه ورجعت معه فلبثت ما شاء الله يخرج في كل يوم أحد ويخرجون إليه ويعظهم ويوصيهم فخرج في أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال يا هؤلاء إنني قد كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي وإنني لا عهد لي بهذا البيت منذ كذا وكذا ولا بد لي من أتيانه فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى انتهينا إلى بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان فيما

يقول لي يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج بتهامة علامته انه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فأما انا فاني شيخ كبير لا احسبني أدركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه قلت وإن امرني بترك دينك وما انت عليه قال وإن أمرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد^(١)، فقال ناولني يدك فناوله فقال قم بسم الله.

فقام كأنما نشط من عقال فخلى عن يده فانطلق ذاهبا وكان لا يلوي على أحد فقال لي المقعد يا غلام احمل علي ثيابي حتى انطلق فحملت عليه ثيابه وانطلق الراهب لا يلوي فخرجت في اثره اطلبه. وكلما سألت عنه قالوا امامك.

حتى لقيني ركب من كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتي أناخ رجل منهم بعيره فحملني فجعلني خلفه حتى أتوا بي بلادهم فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار فجعلتني في حائط لها. وقدم رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} ^(٢)، فأخبرت به فأخذت شيئا من تمر حائطي ثم أتيته فوجدت عنده أناسا فوضعت بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم يأكل هو. ثم لبثت ما شاء الله ثم أخذت مثل ذلك ثم أتيته فوجدت عنده أناسا فوضعت بين يديه.

فقال ما هذا قلت هدية.

قال بسم الله فأكل وأكل القوم.

فقلت في نفسي هذه من آياته فدرت خلفه ففطن لي ، فأرخی ثوبه فإذا الخاتم في ناحية كتفه الأيسر فتبنيته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله

(١) الذي لا يطيق المشي ولا يقوى عليه .

(٢) أي مهاجراً من مكة إلى المدينة .

وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم من طريق ابن اسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال حدثني سلمان الفارسي قال كنت رجلا من أهل فارس وكان أبي دهقان أرضه^(١).

فكان يحبني حبا شديدا حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار^(٢)، الذي يوقدها.

فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئا إلا ما أنا فيه وكان لأبي ضيعة فيها بعض العمل فدعاني فقال أي بني اني قد شغلت عن ضيعتي هذه ولا بد لي من إطلاعها فانطلق اليها فمرهم بكذا وكذا ولا تحبس عني فإنك إن احتبست عني شغلتنني عن كل شيء.

فخرجت أريد ضيعة فمررت بكنيسة النصراني فسمعت أصواتهم فيها فقلت ما هذا فقالوا هؤلاء النصراني يصلون فدخلت انظر فأعجبني ما رأيت من حالهم فوالله ما زلت جالسا عندهم حتى غربت الشمس.

وبعث أبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعة.

فقال أبي : أين كنت ألم أكن قلت لك.

فقلت : يا ابتاه مررت بناس يقال لهم النصراني فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم فجلست أنظر كيف يفعلون.

فقال : أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم.

(١) الدهقان : فارسي معرب ، رئيس الفلاحين ، ويأتي بمعنى التاجر ، ومعنى القوي على التصرف مع حدة .

(٢) طقن النار أي خازنها وخدامها والمقيم عليها الذي لا يتركها تحبو.

فقلت لا والله ما هو بخير من دينهم هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ونحن إنما نعبد نارا نوqدها بأيدينا إذا تركناها ماتت فخافني.

فجعل في رجلي حديدا وحبسني في بيت عنده.
فبعثت إلى النصارى فقلت لهم اين اصل هذا الدين الذي أراكم عليه فقالوا بالشام.

فقلت فإذا قدم عليكم من هناك ناس فأذنوني فقالوا نفعل.
فقدم عليهم ناس من تجارهم فبعثوا إلي انه قد قدم علينا تجار من تجارنا فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فأذنوني فقالوا نفعل.

فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرحيل بعثوا إلي بذلك فطرح الحديد الذي في رجلي ولحقت بهم.

فانطلقت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين فقالوا الأسقف صاحب الكنيسة فجئته فقلت له إني أحبيت ان أكون معك في كنيستك وأعبد الله فيها معك وأتعلم منك الخير.

قال فكن معي قال فكنت معه.

وكان رجل سوء كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها للمساكين فأبغضته بغضا شديدا لما رأيت من حاله.

فلم يلبث ان مات فلما جاءوا ليدفنوه قلت لهم إن هذا رجل سوء كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها حتى اذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها للمساكين .

فقالوا وما علامة ذلك فقلت أنا أخرج لكم كنزه فقالوا فهاته فأخرجت لهم سبع قلل^(١) مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوا ذلك قالوا والله لا يدفن أبداً فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فلا والله ما

رأيت رجلاً قط لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أشد اجتهاداً ولا زهادة في الدنيا ولا أدب ليلاً ونهاراً منه ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبه فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة.

فقلت يا فلان قد حضرك ما ترى من أمر الله واني والله ما أحببت شيئاً قط حبك فماذا تأمرني وإلى من توصيني فقال لي أي بني ما أعلم إلا رجلاً بالموصل فآته فإنك ستجده على مثل حالي فلما مات لحقت الموصل فأتيت صاحبها فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا فقلت له إن فلاناً أوصى بي إليك أن آتيك وأكون معك قال فأقم أي بني فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة.

فقلت له إن فلاناً أوصى بي إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصيني قال والله ما أعلم أي بني إلا رجلاً بنصيبين وهو على مثل ما نحن عليه فالحق به.

فلما دفناه لحقت بالآخر فقلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان وفلان أوصى بي إليك قال فأقم يا بني فأقمت عنده على مثل حالهما حتى حضرته الوفاة.

فقلت له يا فلان انه قد حضرك من أمر الله ما ترى وقد كان فلان أوصى بي إلى فلان وأوصى بي فلان إلى فلان وأوصى بي فلان إليك فإلى من توصيني قال أي بني ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فآته فانك ستجده على

(١) القلال : جمع قلة ، وهي الجرة الكبيرة ، أو كالكوز الصغير.

مثل ما كنا عليه فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية فوجدته على مثل حالهم فأقامت عنده واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات ثم حضرته الوفاة .

فقلت يا فلان إن فلانا اوصى بي إلى فلان وفلان الى فلان وفلان الى فلان وفلان اليك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فيألى من توصيني قال أي بني والله ما اعلم بقي احد على مثل ما كنا عليه أمرك ان تأتیه ولكنه قد اظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجرة بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخيل وأن فيه علامات لا تخفى .
بين كتفيه خاتم النبوة .

يأكل الهدية .

ولا يأكل الصدقة فإن استطعت ان تخلص إلى تلك البلاد فافعل فانه قد اظلك زمانه فلما

واريناه أقمت حتى مر بنا رجال من تجار العرب من كلب فقلت لهم تحملوني معكم حتى تقدموا بي أرض العرب وأعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي قالوا نعم فأعطيهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبدا من رجل من يهود بوادي القرى .

فوالله لقد رأيت النخل وطمعت ان يكون البلد الذي نعت لي صاحبي وما حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة من يهود وادي القرى فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده فخرج بي حتى قدم بي المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتي فأقامت في رقي^(١)، مع صاحبي .

وبعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة لا يذكر لي شيء من امره مع ما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله صلى الله

(١) أي قيد الرق والعبودية ظلماً .

عليه وسلم قباء وأنا اعمل لصاحبي في نخله فوالله اني لفيها إذ جاءني ابن عم له فقال فلان قاتل الله بني قيلة^(١)، والله إنهم الان لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون انه نبي فوالله ما هو إلا ان سمعتها فأخذتني العرواء يقول الرعدة حتى ظننت لاسقطن على صاحبي ونزلت اقول ما هذا الخبر ما هو.

فرفع مولاي يده فلکمني لكمة شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شيء إنما سمعت خبرا فأحييت ان اعلمه.

فخرجت وسألت فلقيت امرأة من أهل بلادي فسألتها فإذا أهل بيتها قد أسلموا فدلّني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمسيت وكان عندي شيء من طعام فحملته وذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقلت إنه بلغني انك رجل صالح وأن معك أصحابا لك غرباء وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم احق من بهذه البلاد به فيها هو ذا فكل منه.

فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال لأصحابه كلوا ولم يأكل فقلت في نفسي هذه خلة مما وصف

(١) المراد من بني قيلة الأوس والخزرج وهما قبيلتان من قبائل مازن بن الأزد (غسان) القحطانية وهم أبناء عم ، فالأوس هم بن حارثة بن ثعلبة ويسمون بني قيلة وهي أهمهم : قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن أمريئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد .

وقد أنتشر الأوس والخزرج بعد الهجرة النبوية في البلدان ، وصاروا يعرفون وذرايرهم بالأنصار ، ونسى كثير منهم نسبهم واكتفى بالوصف القرآني التشريفي الانصار ، قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضَعُوا عَنْهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة ١٠٠ ، وتدل الآية أعلاه وموضوع الشاء فيها على أن صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسوا غزاة ، ولم يدعمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغزو.

لي صاحبي ثم رجعت وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئت به فقلت إنني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل أصحابه فقلت هذه خلطان.

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتبع جنازة وعليه شملتان وهو في أصحابه فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رأيته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استدترته عرف أنني استثبت شيئاً قد وصف لي فوضع رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي فأكبت عليه أقبله وأبكي .

فقال تحول يا سلمان هكذا فتحولت فجلست بين يديه وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه فحدثته فلما فرغت .
قال كاتب^(١)، يا سلمان.

(١) أي يعقد مكاتبة مع سيده على عتقه إذا دفع مالاً معيناً لسيده وكان الرق في الماضي على قسمين :

الأول : القن : وهو الرق الكامل .

الثاني : الرق الناقص ، وهو على أقسام.

الأول : المدبر وهو المملوك الذي قال له سيده انت حر بعد موتي ، ودبر وفاتي .

الثاني : المكاتب بالفتح - وهو الذي يكتبهم سيده على مبلغ مخصوص بأقسام معينة أو بدونها كما لو قال له كاتبك على عشرين ديناراً إن دفعته فأنت حر ، قال تعالى ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ

فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية وأعاني أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} بالنخل ثلاثين ودية^(١)، وعشرين ودية وعشر.

كل رجل منهم على قدر ما عنده فقال لي رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} فقر لها^(٢)، فإذا فرغت فأذني حتى أكون أنا الذي أضعها بيدي فقرتها وأعاني أصحابي يقول حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها فجاء رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} فكنا نحمل اليه الودي ويضعه بيده ويسوي عليها.

فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة وبقيت علي الدراهم فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل بيضة الحمامة من ذهب.

أَرَدْنَا تَحَصُّنًا لِنَبْتَغِيَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنُ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ سورة النور ٣٣، (وعن سهل بن حنيف: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أعان مجاهداً في سبيل الله، أو غارماً في عسرته، أو مكاتباً في رقبته، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) الدر المنثور ١٨٠/٢.

الثالث: المتبعض وهو الذي عتق بعضه، وبعضه عبد.

الرابع: أم الولد، وهي الأمة التي ولدت لسيدها ولا يصح بيع المدبر وأم الولد إلا في حال خاصة، إنما يعتقان بموت السيد ولا يرثان (عن ابن عباس، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيما امرأة ولدت من سيدها، فهي حرة بعد موته) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٩٥/٥.

(١) الودية: فسيلة النخل القصيرة (إذا كانت النخلة قصيرة، فهي الفسيلة والودية فإذا كنت قصيرة تنالها اليد، فهي القاعد فإذا صار لها جذع يتناول منه المتناول، فهي جبارة فإذا ارتفعت عن ذلك، فهي الرقلة والعيدانة فإذا زادت، فهي باسقة فإذا تناهت في الطول مع انجراد، فهي سحق) فقه اللغة ٦٨/١.

(٢) أي احفر لها، والفقرة الحفرة يفقرها الإنسان تفقيراً لغرس فسيل.

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خذ هذه يا سلمان فأدها مما عليك فقلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما علي قال فإن الله سيؤدي بها عنك فوالذي نفسي بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وبقي عندي مثل ما أعطيتهم.

وأخرج ابو نعيم من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن سلمان قال كنت فيمن ولد برام هرمز فكننت انطلق مع غلمان من قرينتنا وكان ثم جبل فيه كهف فمررت ذات يوم وحدي وإذا انا فيه برجل طويل عليه ثياب شعر نعلاه شعر فأشار إلي فدنوت منه.

فقال لي يا غلام تعرف عيسى بن مريم قلت لا ولا سمعت به.

قال أتدري من عيسى بن مريم هو رسول الله من آمن بعيسى أنه رسول الله وبرسول يأتي من بعده اسمه احمد أخرجه الله من غم الدنيا إلى روح الآخرة ونعيمها فرأيت الخلاوة والنور يخرج من شفثيه فعلقه فؤادي فكان اول ما علمني شهادة ان لا إله إلا الله وأن عيسى ابن مريم رسول الله ومحمد بعده رسول الله والبعث بعد الموت وعلمني القيام في الصلاة.

وقال إذا اقمتم في الصلاة فاستقبلت القبلة فإذا احتوشتك النار فلا تلتفت وإن دعتك امك وأبوك وأنت في صلاة الفريضة فلا تلتفت إلا أن يدعوك رسول من رسل الله فإن دعاك وأنت في فريضة فاقطعها فإنه لا يدعوك إلا بوحي من الله ثم قال إن أدركت محمد بن عبد الله الذي يخرج من جبال تهامة فأمن به واقراً عليه السلام مني قلت صفه لي قال انه نبي يقال له نبي الرحمة محمد بن عبد الله يخرج من جبال تهامة ويركب الجمل والحمار والفرس والبغل والبغلة ويكون الحر والمملوك عنده سواء.

وتكون الرحمة في قلبه وجوارحه بين كنفه بيضة كبيضة الحمامة عليها مكتوب باطنها الله وحده لا شريك له محمد رسول

الله وظاهرها توجه حيث شئت فإنك المنصور يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ليس بمحقود ولا حسود ولا يظلم معاهداً ولا مسلماً^(١).

فلم تثبت الكتابة على الخاتم لا ظاهراً ولا باطناً ، وهو خلاف من الأخبار المقدار عن صفات الخاتم.

الرابع عشر : (وأخرج الطبراني وأبو نعيم في المعرفة عن عباد بن عمر وقال كان خاتم النبوة على طرف كتفه الأيسر كأنه ركبة عنز وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكره أن يرى الخاتم)^(٢).

الخامس عشر : عن السائب بن يزيد (يَقُولُ : ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعَ . فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ، وَتَوَضَّأَ ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضْؤِهِ ، وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ مِثْلُ زَرِّ الْحَجَلَةِ^(٣)).^(٤).

السادس عشر : (عن ابن عباس قال: لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب بن أسد نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا كعب اما نفعلك وصية ابن حواش الحبر المقبل من الشام فقال: "

تركت الخمر والحمير، وجئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه

بمكة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتال، يجتزئ بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار

(١) الخصائص الكبرى ٢٨/١ .

(٢) الخصائص الكبرى ١٠٥/١ .

(٣) زر الحجلة جوزة تضم العروة .

(٤) الخصائص الكبرى ٤٢/١ .

العاري، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والخافر " قال كعب: قد كان ذلك يا محمد ^(١).

السابع عشر: عن أم خالد بنت سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس، وأسمها (أمة) ولكنها مشهورة بكنيتها خاصة وأن لفظ أمة ينصرف بالتبادر إلى المملوكة، بينما هي حرة قرشية، وكان لها ولاؤها صحبة، ولدت بالحبيشة إذ كان أبوها مهاجرين، (وروى أيضا عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي، وعلي قميص أصفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سنة سنة)، وفي لفظ: (سنه سنه)، وهي بالحبيشة حسنة قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (دعها)، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أبلي وأخلقني، ثم أبلي وأخلقني)) ^(٢).

أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمنعها من العبث بيده وثوبه، ولم ينهرها بل مازحها وكلمها بلغة أهل الحبيشة، ودعا لها بخصوص ثوبها:

أبلي وأخلقني أي عيشي طويلاً وخرقي ثيابك وارقعها.

وفي حديث اسلام سلمان الفارسي وهو حديث طويل رواه عبد الله بن عباس عن سلمان، ورد فيه أن الراهب الذي صحبه سلمان عندما وافاته المنية قال له سلمان: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ

(١) البحار ٢٠/٢٤٧.

(٢) محمد بن يوسف الصالح الشامي ت ٩٤٢ / سبل الهدى ٧/١٣٣.

فَأَوْصَىٰ بِي إِلَىٰ فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَىٰ بِي فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَىٰ بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ ، فَأَلَىٰ مِنْ تَوْصِيٍّ بِهِ ؟ وَبِمِ تَأْمِرِنِي ؟ .

قَالَ أَيُّ بَنِي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَمْرُكَ بِهِ أَنْ تَأْتِيَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ وَهُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرُهُ إِلَىٰ أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى ، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ .

قَالَ ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ وَمَكَّثَتْ بَعْمُورِيَّةٌ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمُكِّثَ ثُمَّ مَرَّ بِي فَرَمَ مِنْ كَلْبٍ تُجَارَ فَقُلْتُ لَهُمْ احْمِلُونِي إِلَىٰ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَأَعْطِيكُمْ بِقَرَاتِي هَذِهِ وَغَنِيمَتِي ، قَالُوا : نَعَمْ . فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا ، وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي ، فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ عَبْدًا ، فَكُنْتُ عِنْدَهُ وَرَأَيْتُ النَّخْلَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، وَلَمْ يَحِقْ فِي نَفْسِي ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا ، فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقَمْتُ بِهَا .

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذَقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ لَهُ فِي بَعْضِ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ تَحْتِي ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا فُلَانُ قَاتِلِ اللَّهَ بَنِي قَيْلَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلِ بْنِ عَذْرَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ سُوْدِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ الْحَافِ بْنِ

قَضَاعَةٌ ، أُمُّ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ . قَالَ التَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ
يَمْدَحُ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ :

بِهَا لَيْلٌ مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةٍ لَمْ يَجِدْ ... عَلَيْهِمْ خَلِيطٌ فِي مُخَالَطَةِ عَتَبَا
مَسَامِيحِ أَبْطَالٍ يُرَاحُونَ لِلْنَدَى ... يَرُونَ عَلَيْهِمْ فَعْلَ آبَائِهِمْ نَجَبَا
وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ
بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبَّاسٍ ، قَالَ قَالَ سَلْمَانَ فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذْتُ الْعُرْوَاءَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ
: الْعُرْوَاءُ الرَّعْدَةُ مِنَ الْبَرْدِ وَالْإِنْتِفَاضُ فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ عَرَقٌ فَهِيَ
الرَّحَضَاءُ وَكِلَاهُمَا مَمْدُودٌ - حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي ،
فَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَابْنِ عَمَّةٍ ذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ ؟ مَاذَا
تَقُولُ ؟ فَغَضِبَ سَيِّدِي ، فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ وَلِهَذَا
؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ ، قَالَ قُلْتُ : لَأُشَيْءَ إِنَّمَا أُرَدْتُ أَنْ أُسْتَشْبِثَهُ عَمَّا
قَالَ . قَالَ وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتَهُ ، فَلَمَّا أُمْسَيْتُ أَخَذْتَهُ ، ثُمَّ
ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَقْبَاءٌ فَدَخَلْتُ
عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ
فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ كُلُّوْا ، وَأَمْسِكْ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ .

قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ وَاحِدَةٌ . قَالَ ثُمَّ انصَرَفَتْ عَنْهُ
فَجَمَعْتُ شَيْئًا ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى
الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَأَتَأْكُلَ الصَّدَقَةَ فَهَذِهِ
هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا .

قَالَ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ
فَأَكَلُوا مَعَهُ . قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَاتَانِ ثَنَتَانِ قَالَ ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْقِيعُ الْغُرْقَدَ قَدْ تَبَعَ جِنَازَةَ رَجُلٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ عَلَيَّ شَمْلَتَانِ لِي ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ

ثُمَّ اسْتَدْرَتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدْبَرْتَهُ ، عَرَفْتُ أَنِّي أَسْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَلْقَيْتُ رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَكَبَيْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلُهُ وَأَبْكِي . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَوَّلَ فَتَحَوَّلْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ، كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقَّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا وَاحِدًا .

قَالَ سَلْمَانُ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثُمِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَأَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ أَعِينُوا أَهْلَكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةٍ وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَدِيَّةٍ وَالرَّجُلُ بِخَمْسِ عَشْرَةٍ وَدِيَّةٍ وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ يَمِينِ الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَّغْتَ فَأَتِنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِي . قَالَ فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا فَرَّغْتَ جِئْتَهُ ، فَأَخْبَرْتَهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ، فَجَعَلْنَا تُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ حَتَّى فَرَّغْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَ فَادَيْتِ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ .

فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ فَقَالَ مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ ؟ قَالَ فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ خُذْ هَذِهِ فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ . قَالَ قُلْتُ : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ ؟ .

فَقَالَ خُذْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ . قَالَ فَأَخَذْتُهَا ، فَوَزَنْتَ لَهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً فَأَوْفَيْتَهُمْ حَقَّهُمْ مِنْهَا ، وَعَتَقَ سَلْمَانَ . فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ حُرًّا ، ثُمَّ لَمْ يَفْتَنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ^(١).

وكان الإمام علي عليه السلام حينما يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر خاتم النبوة ويقول : لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمَمْغُطِ^(٢) ، وَلَا الْقَصِيرِ الْمْتَرَدِّدِ^(٣) ، وَكَانَ رُبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ^(٤) ، وَلَا السَّبِطِ كَانَ جَعْدًا رَجُلًا وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطْهَمِ^(٥) ، وَلَا الْمُكْلَثِمِ^(٦) ، وَكَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا^(٧) ، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ^(٨) ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارَ^(٩) ، جَلِيلَ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ^(١٠) ، دَقِيقَ الْمَسْرَبَةِ أَجْرَدَ شَتْنِ الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ^(١١) ، إِذَا مَشَى تَقْلَعُ^(١٢) ، كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ وَإِذَا

(١) الروض الأنف ١/٣٧١.

(٢) الممغط : المتناهي في الطول ، ويقال امتعظ النهار إذا امتد وطال.

(٣) أي القصير الذي تردد بعض خلقه إلى بعض واجتمعت وتداخلت أعضاؤه.

(٤) الشعر القطط : أي الشعر شديد الجعودة.

(٥) المطهم : البدين وكثير اللحم.

(٦) المكلثم : مدور الوجه.

(٧) المشرب : الذي تخالط بياضه حمرة.

(٨) شديد سواد العين.

(٩) أهدب الأشفار أي طويل الأشفار، ويقال لكثرة شعر الحاجبين والأشفار :

الوطف أما قلة شعر الأشفار فيقال له : الغطف والأشفار جمع شفر والمراد شعر العينين قال الجمال بن نباته (إذا كان شفر العين دون محلها ... فعندي أنا الأشفار خير من العين) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/٣١٣.

(١٠) الكتد : مجتمع الكتفين عند الكاهل ، والكاهل : مقدم الظهر مما يلي العنق ، وهو

وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقرات .

(١١) الشتن : الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين .

التَّتَتْ التَّتَتْ مَعَا ، بَيْنَ كَتَفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَجُودُ النَّاسِ كَفًّا ، وَأَجْرًا النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَوْفَى النَّاسِ ذِمَّةً وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةً مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةِ هَابِهِ وَمَنْ خَالَطَهُ أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعَتُهُ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(١).

وورد في الحديث أعلاه ذكر خاتم النبوة ، وختم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنبوات متجاورين .

وما يدل على أن خاتم النبوة موجود وظاهر في بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة ما ورد في حديث بحيرى واستلته للنبي عند ذهاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في سن الثانية عشرة مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة في سنة قحط ، وقيل أنه لم يبلغ العاشرة من عمره يومئذ ووصلوا إلى بصرى وكان فيها راهب اسمه بحيرى يقيم في صومعة له ، وهو من أعلم أهل زمانه بالنصرانية ، وكان رجال قریش يملكون به ويرونه في صومعته فلا يكلمهم .

ولا يعرض لهم في سؤال وأحاديث عامة أو مخصوصة ، ولكنه في هذه المرة ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، بعد أن رأى غمامة تظل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بين رجال الركب وكانوا قد نزلوا في ظل شجرة قريبة منه (ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعاما يا معشر قریش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، كبيركم وصغيركم، عبدكم وحرکم)^(٢).

(١) التتلع : أي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع رجله من الأرض رفعاً بيناً بقوة ولا يمشي مشى احتشام وتباطى واختيال .

(٢) سيرة ابن هشام ٤٠١/١ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٢٤٤/١ .

واستغرب أفراد القافلة هذه الدعوة من صاحب الصومعة خاصة مع إنقطاعه للعبادة ، وزهده ، والتباين في الملة.

ولكنه ورث البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي التنزيل حكاية عن عيسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١).

فقال رجل من قافلة قريش : والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحبيت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم ، أي أنه زوال التورية ، ولم يظهر قصده وغايته من الدعوة وهي رؤية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قرب .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويمجده عنده فقال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي .

قالوا : يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدثنا سنا فتخلف في رحالنا .

قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، وكأنه يقول إنما صنعت الطعام من أجله ألا ترون أنكم تمرون علي عدة مرات في السنة فلا التفت إليكم ولكن لأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم معكم أقمت لكم هذه الوليمة ، وهو من بركات النبوة .

قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا.

ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.
فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته^(١).

وعندما فرغوا من الطعام انفرد بحيرى بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ألا أخبرتني عما أسألك عنه.

ولم يكن بحيرى يؤمن باللات والعزى، ولم يرض لقريش عبادة الأصنام والتوسل بها، ولكنه سمعهم يحلفون بهما، فجاء بيمين المناشدة على طريقة قريش لانتزاع حقيقة، ولظنه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال في مرحلة الصبا وأنه على دين قومه لم يبعث بعد، فاجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يدل على عصمته قبل النبوة من الشرك ومفاهيمه، فاجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما.

فأدرك بحيرى علامة للنبوة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من صباه يحب في الله، ويبغض في الله، خلافاً لنهج قومه وهو في طريق سفر وفي البراري، وقد يبطشون به لخروجه عن نهجهم المتوارث، ويكون الإنسان في السفر أكثر حاجة للأمور الغيبية، ومن معاني تسمية السفر، أن الإنسان يسفر بوجهه، وينكشف عن المدينة والأهل.

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢٤٥/١.

فانكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي شأن اللات والعزى وهو في حال سفر ، مما يدل على نفيه لأي شأن لهما وهو في حال الإقامة من باب الأولوية القطعية .

فعاد بحيرى لمناشدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالله عز وجل فقال : فبالله إلا ما أخبرني عما أسالك عنه ؟ لقد ورث بحيرى الأخبار عن صفات نبي آخر الزمان ، فاراد أن يسأل النبي بخصوص ما يتعلق بولادته وصباه وهيئته فكانت أجوبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقة لما عند بحيرى .

ثم نظر بحيرى إلى ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فاطمئن للنبوة ، ثم سأل أبا طالب عنه . فقال له انه ابني ، فقال بحيرى : ما هو ابنك ، وأبو هذا الغلام ليس حياً لما عندهم من خبر يتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال أبو طالب : أنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ، قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت .

ثم صار بحيرى يوصي أبا طالب بالعناية بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والحرص عليه ، والتعجيل بالعودة به إلى مكة ، ولم يقل له أنه نبي آخر زمان ، ولم يقم بحيرى بإطلاع رجال قريش بالأمر ، حرصاً ووقاية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه أشار عليه بأنه سيكون ذا شأن عظيم ، وحذره من القدوم به إلى الشام مرة أخرى .

وتضاف بشارة بحيرى الراهب الى بشارة سيف بن ذي يزن وإخباره لبعث المطلب ، وبشارة قس بن ساعدة وغيرهم قبل البعثة النبوية ، وبالنسبة لبشارة بحيرى فهي رشحة وفرع من قوله تعالى

حكاية عن عيسى عليه السلام ، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(١).

والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء أي به أختتمت النبوة ، وهو يحمل على كتفه خاتم النبوة ، وكل صفة منهما ينفرد بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما من مختصاته صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي حديث جابر : أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَالْتَقَمْتُ خَاتَمَ النَّبُوءَةِ فَكَانَ يَشُجُّ عَلَيَّ مِسْكَاً أَيْ أَشْمُ مِنْهُ مِسْكَاً^(٢).

لقد كان خاتم النبوة كالطابع والبصمة الظاهرة التي ينفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليل على أمور :

الأول : نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : إنه النبي الموعود .

الثالث : ليس من نبي بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لذا كان الإمام علي عليه السلام حين يصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوءَةِ ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)^(٣).

ومن منافع آية خاتم النبوة أنها دعوة للناس للتصديق بنبوته ، والإمتناع عن محاربته وقتاله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤) ، وتتجلى هذه الدعوة في ورود علامة

(١) سورة الصف ٦.

(٢) لسان العرب ٣٠٣٠/٢.

(٣) الترمذي / الشمائل ٤٣/١.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

الخاتم في أخبار أهل الكتاب وتوارث بعض أهل العلم لها ، وعندما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارتفع خاتم النبوة عن بدنه .

قانون توثيق مدح النبي من قبل غير المسلمين

من مصاديق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نظم الشعراء غير المسلمين القصائد في مدحه والثناء عليه سواء أولئك الذين رأوه أو الذين لم يروه ، مما يملئ تأليف مجلدات خاصة بالأشعار.

لقد بدأ الثناء على النبي من قبل رجالات وبيوتات قريش من صباه وسني شبابه إذ وصفوه بالصادق الأمين ، وتجلّى في خطبته لخديجة بنت خويلد المدح والثناء عليه من قبل قريش ، وغبطوها عليه لحسن خلقه وأمانته ، ولم يعلموا أن الله عز وجل خلدها بهذا الزواج الى يوم القيامة من جهات:

الأولى : توارث المسلمين لأخبار حسن سمت خديجة.

الثانية : مبادرة خديجة لدخول الإسلام إذ أسلمت في ذات اليوم الذي بعث فيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : تعضيد خديجة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في إعلان رسالته وتبليغها .

الرابعة : تسخير خديجة أموالها لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامسة : تحمل خديجة الأذى الشديد والجوع في حصار قريش لبني هاشم في شعب أبي طالب .

وعندما أعادت قريش بناء الكعبة اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في محله وأشتد الخلاف بينهم ، وكانت تحدث بينهم فتنة ثم قرروا تحكيم من يدخل عليهم من الباب ، فدخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرضوا به حكماً وقالوا : حكموه ، هذا الصادق الأمين .

فطلب رداء ووضع الحجر وسط الرداء ، ثم قال لتحمل كل قبيلة طرفاً منه ، حتى أوصلوه إلى موضعه ، فأخذه بيديه الشريفتين ووضعه في محله ، لبيان عظيم منزلته وأنه هو الذي وضع الحجر الأسود في محله ، مثلما قام إبراهيم وإسماعيل برفع قواعد البيت .

وعن أنس بن مالك قال : أنزلت النبوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وأسلمت خديجة في ذات اليوم ، وأسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء ليس بينهما إلا ليلة^(١).

وعن أبي رافع قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء من الغد وصلى مستخفياً قبل أن يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد سبع سنين وأشهر^(٢).

وبعد إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبوته ودعوته الناس للإيمان برسائله ، وتلاوته آيات القرآن التي نزلت عليه حيث صارت قریش تعقد الندوات وصار حديثهم عن معجزته وميل الناس إليه واستشعروا مدهامة الخطر لمنازل السيادة التي يستولون عليها ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعاهم إلى الإيمان ليسودوا الناس بالدعوة إلى الله والتحلي بآداب التقوى ، قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣) .

(١) تاريخ دمشق ٢٨/٤٢ .

(٢) تاريخ دمشق ٢٨/٤٢ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ .

ومن مقدمات النبوة تسمية قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة (الأمين) ^(١).

(عن الربيع بن خيثم : كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام) ^(٢).

لقد أقرت قريش بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان صادقاً في حديثه ، أميناً في التجارة ذا خلق حميد (عن ابن إسحاق عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال : قام النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال : يا معشر قريش إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتكم بمثله لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ولا بكاهن ولا بشاعر قد رأينا هؤلاء وسمعنا كلامه فانظروا في شأنكم

وكان النضر من شياطين قريش من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة) ^(٣).

ليبان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مستقيماً في نهجه أيام صباه فلا بد من استصحاب ذات الإستقامة عندما تقدم به العمر وبلغ أربعين سنة ، ونال مرتبة النبوة ، وغزا الشيب صدغيه ، وأكد النضر مسألة وهي أن التنزيل ليس من السحر ، ولا هو من الشعر .

ومن خصائص الأنبياء إقرار ألد الناس لهم عداوة بنبوتهم ، ومع هذا تراه يتبع قومه في إيذاء ومحاربة الأنبياء ، وفي معركة بدر تقدم إلى وسط الميدان عتبة بن ربيعة ، وقدم معه أخاه شية وابنه

(١) عيون الأثر ٢/٤٣٤.

(٢) عيون الأثر ٢/٤٢٢.

(٣) تاريخ الإسلام ١/٣٧.

والوليد ، وسألوا المبارزة مع أن عتبة رأى معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومال إليها.

وكان ابنه أبو حذيفة يومئذ إلى جانب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد أسلم بعد (٤٣) مسلماً .

وقبل أن يدخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم.

وهو ممن هاجر إلى الحبشة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو^(١) .

وأراد أبو حذيفة الخروج لمبارزة أبيه ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منعه مما يدل على انه نبي الرحمة ، وأنه يكرم صفة الأبوة مطلقاً ، ولو أذن له بالمبارزة لتصدي الأبناء المسلمون لأبائهم المشركون ، وقد أنتشرت في مكة ظاهرة إيمان الأبناء ذكوراً وأنثاء مع إصرار بعض الآباء على الكفر .

وهذا الإيمان سبب لشدة حنق المشركين على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وركوبهم جادة العناد ، وهو برزخ دون تدبرهم في معجزاته مع تسليمهم بصدقه قبل وبعد النبوة .

إن ثناء المشركين على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة وبرهان على صدق نبوته ، وشاهد على التضاد الذي كانوا يتصفون به ، فهم يسلمون في مجالسهم بصدقه ، ويتدبرون في آيات القرآن ويقرون أنها فوق كلام البشر ، ولكن تأخذهم المناجاة العامة بالباطل ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ تَبِعَ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

نعم كان شطر منهم يخرج لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرهاً غير راض خاصة وأن بعض رؤساء قريش كانوا يهددون الذي يتخلف عن الخروج لقتال النبي بهدم داره ، والإستيلاء على أمواله ، ويقومون بتعمير الذي يتردد في الخروج ، وكان الإسلام يتشر بين ظهرائهم.

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشواهد على صدق نبوته ، أنه في كل يوم يدخل الإسلام بيتاً آخر من بيوت أهل مكة ، فيجتمع رؤساء قريش في دار الندوة على المكر بالنبي وأصحابه ، وحينما يرجعون إلى بيوتهم يسمعون آيات القرآن تتلى من قبل الأبناء ، فيزداد حنقهم ، قال تعالى ﴿قُلْ مَوْتُوَابَغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢).

ولابد من تأليف مجلدات خاصة ببناء المشركين على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقصائد التي نظمها المشركون في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم والشهادة له بالأخلاق الحميدة ، أو الإقرار بنبوته ، وتلقي الناس لهذا المديح ، ومحاربة قريش للذي يقوم بمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف أنه صار سبياً بدخول جماعات من الناس الإسلام ، وهو سبب لخذلان المشركين في معارك القتال .

(١) سورة البقرة ١٧٠.

(٢) سورة آل عمران ١١٩.

كتيبة ذات الرقاع

وتسمى :

الأولى : غزوة ذات الرقاع.

الثانية : غزوة نجد ، وليس هي بغزوة ، إنما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفريق جموع المشركين الذين يريدون غزو المدينة ، وليس فيها قتال وقد لاقى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأذى والمشقة والجهد ، لذا نطلق عليها اسم كتيبة.

الثالثة : كتيبة محارب.

الرابعة : كتيبة بني ثعلبة .

الخامسة : كتيبة بني أنمار .

السادسة : كتيبة صلاة الخوف لتشريعها فيها.

وتوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها في شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة ، واستعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل عثمان بن عفان.

وذكر أنها وقعت في السنة السادسة أو السابعة للهجرة ، واستدل عليه بقول أبي موسى الأشعري : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَقْرُ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا ، وَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي ، فَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا^(١).

ويحتمل تكرار ذات المشقة والعناء في خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وسميت هذه الكتيبة ذات الرقاع لوجوه :

(١) الروض الأنف ٤٠٠/٣.

الأول : هناك شجرة في ذات الموضع تسمى ذات الرقاع.
الثاني : ذات الأرض فيها بقع سوداء وبقع بيضاء كأنها وقعت برقاع مختلفة.

الثالث : لأن أقدام الصحابة نقت ورقت جلودها (وكانوا يلفون عليها الخرق)^(١).

الرابع : سميت ذات الرقاع لأن الصحابة رقعوا فيها راياتهم. والمختار هو الثالث أعلاه ، ولا مانع من اشتراك غيره من هذه الوجوه معه في علة التسمية ، ويدل ترقق جلود أقدام المسلمين فيها على أنها وقعت في السنة الرابعة وليس السادسة أو السابعة لأن أحوال المسلمين حيثئذ حسنة وقد تم صلح الحديبية. وهل كان سبب هذه الكتيبة تمرد بعض القبائل في نجد من شبه الجزيرة العربية ، الجواب إنما كانوا يتصفون بأمور :

الأول : يزاولون النهب والسلب.
الثاني : يقيمون على عبادة الأوثان.
الثالث : يتعاونون على الباطل.
الرابع : يغرون الناس على النبوة والتنزيل.
الخامس : شاركوا في الهجوم على المدينة في غزو المشركين لها في معركة أحد.

وهم كل من :
الأول : بنو أنمار.
الثاني : ثعلبة .
الثالث : محارب.
 وكلهم من قبيلة غطفان.

السادس : لقد تحالفوا مع بني سليم على العزم على الهجوم على المدينة ، اي أن علة خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منع المشركين من غزو المدينة وإشاعة القتل والنهب والسلب لبيوت المسلمين واليهود فيها.

فخروجه وأصحابه هذا حرب على الإرهاب ، لتدل آية البحث على التضاد بين القرآن والإرهاب.

لقد كانوا يزاولون الإرهاب ، وإخافة الطريق ، وبث الفزع في قلوب الناس وترويع الأمنين ، فسار إليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفريق جمعهم ، وزجرهم عن مواصلة الإرهاب .

لقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة ومعه أربعمئة من الصحابة وقيل سبعمائة ، والأول أصح.

وتوجه الى بطن نخلة على بعد يومين من المدينة ، وساروا في طريق وعرة مع قلة الخيل والإبل ، فتقطعت النعال ، ورقت جلود الأقدام ، وقلعت الأظافر.

لقد سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه حتى وصلوا موضعاً يسمى وادي الشقرة ، فتوقف فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبث العيون وسرايا الإستطلاع فرجعوا إليه في الليل ، وأخبروه بعدم وجود جيوش للعدو حواليتهم ، فسار إلى أرض غطفان من نجد.

ومن خصائص كتائب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد معجزاته في كل كتيبة ، وكثرة الشواهد التي تدل على أنه لم يغز أحداً ، ولم يخرج طلباً للغزو والقتل والسبي إنما كان يدعو الناس إلى كلمة التوحيد.

وفي الليل جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثنين من أصحابه حرساً وهما :

الأول : الصحابي عمار بن ياسر .

الثاني : عباد بن بشر وهو من الأوس ، وقد أسلم على يد مصعب بن عمير ، وشهد بدرأ ، وكان من حرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن صرفهم لنزول قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وعن (تويلة بنت أسلم وهي من المبايعات قالت: بينا أنا في بني حارثة فقال عباد بن بشر بن قيطي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكاؤن الرجال فصلوا السجدين الباقيتين نحو الكعبة. وذكر أبو عمر فيه أن الصلاة كانت الظهر)^(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال : أنه خرج مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذات الرقاع من نخل ، وكان يركب جملاً ضعيفاً يزداد ضعفه مع طول المسير.

فلما قفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه راجعين قال جابر : جعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال: مَا لَكَ يَا جَابِرُ .
قال قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا ، قَالَ أَنْخُهُ قَالَ فَأَنْخْتُهُ.

وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أُعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ ، أَوْ أَقْطَعْ لِي عَصَاً مِنْ شَجَرَةٍ قَالَ فَقَعَلْتُ . قَالَ

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ٤٥٤/٢.

فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ ثُمَّ قَالَ
ارْكَبْ فَرَكِبْتُ فُخِرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يَؤَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً^(١).

ليبان قانون المدد من عند الله عز وجل للصحابه في انفسهم ورواحلهم
بالسنة النبوية القولية والفعلية.

لقد اتخذ جابر طريق العودة مناسبة لتجاذب أطراف الحديث مع
النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يتصف بالإنصات
لأصحابه ، ولا يترفع عليهم ، قال تعالى ﴿وَكُنْتُ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَّقُوا
مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

وتبين الآية أعلاه حسن أخلاق النبوة ، ومن وجوه تقديرها :
الأول : يا أيها النبي لو كنت فظاً.

الثاني : لو كنت فظاً غليظ القلب في تبليغ الأحكام.

الثالث : الشهادة من عند الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم بحسن الخلق ولما أخبر القرآن عن كون أقوال النبي محمد صلى
الله عليه وآله وسلم من الوحي بقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣)، ذكرت الآية أعلاه فعل النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه من عند الله عز وجل بقوله
تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَكُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَّقُوا مِنْ
حَوْلِكَ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤).

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٢.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة النجم ٣-٤.

(٤) سورة آل عمران ١٥٩.

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل عليه خبر ذات الرقاع هذا وكيف أنه يسير تارة في مقدمة الجيش وأخرى في مؤخرته من غير خشية من الإغتيال ، أما إذا ﴿التقى الجَمْعَانِ﴾^(١) ، فيكون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القلب ، وعندما تفر طائفة من أصحابه فانه يصبح في المقدمة ، فمن الشواهد على نبوته ثباته في ميدان القتال لأنه على الحق ولأن الملائكة تحيط به .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجابر : أتبيعني جملك هذا يا جابر : قال جابر : بل أهبه لك هبة يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا ، ولكن بعنيه .

قلت : فسمي يا رسول الله الثمن الذي تدفعه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قلت : لا ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فبدرهمين ، قلت : لا ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع في ثمنه حتى بلغ الأوقية ، قلت : قد رضيت يا رسول الله .

قال : نعم ، قلت : فهولك ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذته بصيغة القبول والإيجاب .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ، لبيان مسألة وهي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل أصحابه عن أحوالهم الشخصية ، وأمورهم العائلية بما يصلح أحوالهم ، ويثبت الإيمان في قلوبهم ويزيد من ذرية المسلمين قلت : نعم يا رسول الله .

قال : أثيباً أم بكرةً .

قلت : لا ، بل ثيباً .

قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك^(١).

وفيه ترغيب بالزواج من الباكر ، مع أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهن ثيبات إلا واحدة ، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفة للباكر وهي انقطاعها إلى الزوج ومداعبتها له ، ويبين هذا الحديث على أن النكاح لا يتعارض مع الصبر وأداء الفرائض ، وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يعد أصحابه للهجوم والغزو ، إنما يسعى في بناء مجتمعات إيمانية مستقرة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢).

وقال جابر : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتَ لَهُ سَبْعًا فَنَكَحْتَ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رءُوسَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ قَالَ أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَتَحَرَّتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ وَسَمِعَتْ بِنَا ، فَفَضَّتْ نَمَارِقَهَا . قَالَ قُلْتُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقٍ قَالَ إِنَّهَا سَتَكُونُ^(٣).

لييان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من علوم الغيب بالإخبار عما يرزقه الله للمسلمين من النعم الظاهرة والباطنة.

وأبو جابر هو عبد الله بن عمرو بن حرام من بني سلمة من الأنصار ، وكان نقيماً في بيعة العقبة وشهد بدرًا ، وقتل في معركة أحد (قتله أسامة الأعور بن عبيد وقيل: بل قتله سفيان بن عبد

(١) تاريخ دمشق ١١/٢٢٣.

(٢) تفسير الطبري ٢/٣٠٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٠٦.

شمس أبو أبي الأعور السلمي، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهزيمة، وهو أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ^(١).

وعن ابن المنكدر، قال: سمعت جابراً يقول: جيء بأبي يوم أحد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مثل به، فوضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه، فنهاني قوم فسمعوا صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو أو أخت عمرو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تبكي ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها.

وروى حماد بن زيد عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن جابر قال: قتل أبي يوم أحد وجدع أنفه وقطعت أذناه، فقامت إليه، فحيل بيني وبينه، ثم أتى به قبره، فدفن مع اثنين في قبره، فجعلت ابنته تبكيه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما زالت الملائكة تظله حتى رفع، قال: فحفرت له قبراً بعد ستة أشهر فحولته إليه، فما أنكرت منه شيئاً، إلا شعرات من لحيته كانت مستها الأرض^(٢).

وعندما عادوا إلى المدينة من ذات الرقاع أخبر جابر زوجته بالحديث وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشترى منه الجمل، فقالت: فدونك، فسمع وطاعة، فلما أصبح جابر أخذ برأس الجمل، وأقبل به واناخه على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلس في المسجد قريباً منه ينتظر قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم للجمل لعقد البيع الذي تم بينهما في طريق العودة من ذات الرقاع.

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٩١/١.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٩١/١.

ولما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى الجمل مربوطاً على بابه ، فقال : ما هذا ، قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر : فقال : فأين جابر .

فنودي على جابر ، وحضر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له النبي : يا ابن أخي خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلالاً ، فقال له : اذهب بجابر فاعطه أوقية .

وتساوي الأوقية أربعين درهماً ، على اختلاف في وزن الدرهم من الفضة وذكر أن الدرهم النبوي قريب من ثلاث غرامات من الفضة .

قال جابر : فذهبت مع بلال فاعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً (فَوَ اللَّهِ مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدِي ، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا ، حَتَّى أَصِيبَ أَمْسٍ فِيمَا أَصِيبَ لَنَا ، يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ) ^(١) .

وعاش جابر بن عبد الله الأنصاري الى سنة ثمان وسبعين للهجرة ، وله أربع وتسعون سنة ، وهو آخر من مات من أهل العقبة .

لقد سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أربعمائة من أصحابه الى نجد بعد أن بلغه أن قبائل بني محارب وبني ثعلبة وبني نمار من قبائل غطفان أعدوا للهجوم على المدينة ، فأراد دفع أذاهم ، وتفريق جمعهم ، فهي ليست غزوة ، إنما هي من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) ، وما لبثت هذه القبائل أن أمنت بالله ورسوله ، ونبذوا النهب والسلب وعبادة الأوثان ولو وقع قتال بين الفريقين لدخل المشركون النار .

(١) الروض الأنف ٤٠٢/٣ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

لقد أصاب المشركين الرعب ، وعن الإمام الحسن عليه السلام عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء : نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعل التراب لي طهوراً ، وجعلت أمتي خير الأمم^(١).

وفي وقائع هذه الكتيبة وجوه :

الأول : تفرق جموع المشركين عندما علموا بقدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

الثاني : التقاء الفريقين ، وتقارب الجمعين ، وخوف كل من الطرفين الآخر ، ولكنه لم يقع قتال.

الثالث : تفرق الجموع عند قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رؤوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والمختار هو الثاني لنزول تشريع صلاة الخوف في هذه الكتيبة .

مسائل في صلاة الخوف^(٢)

(مسألة ١١١٧) صلاة الخوف مقصورة سफراً وحضراً ، جماعة وفراى وتبقى صلاة الصبح والمغرب على حالهما .

(مسألة ١١١٨) المراد بالخوف خصوص الخوف الذي يكون مقتضياً لتخفيف الصلاة وتحول اسبابه دون اتمامها بالكيفية الإختيارية ، كالخوف من عدو او لص او سبع ، فاذا كان الخوف لا يقتضي ذلك لا تتنقل وظيفة المكلف إلى صلاة الخوف .

(مسألة ١١١٩) يستحب ان تؤدى صلاة الخوف جماعة ، ولها كفيات ثلاث

(١) الدر المنثور ٤١٠/٢ .

(٢) أنظر رسالتنا العملية الحجة ١٣٧/٢ .

يتخيرون واحدة منها وهي :

الأول : ان يصلي الإمام بطائفة ثم يعيد الصلاة بطائفة أخرى.

الثاني : ما اصطلح عليه بصلاة الرقاع ، واسمها مستل من من كتيبة ذي الرقاع ، وكان بينها وبين الهجرة أربع سنين وثمانية ايام ، وكيفيتها ان يفرق القوم فرقتين ويصلي الإمام بالفرقة الأولى ركعة ، اما الفرقة الثانية فتقف اثناء ذلك بازاء العدو وتحرس الذين يصلون .

ثم يقوم الإمام ومن خلفه الى الركعة الثانية فينفرد كل مصلي من المأمومين ويقرأ لنفسه في الركعة الثانية ، اما الإمام فيتأني في قراءته بقدر ما يتم الذين خلفه وينصرفون الى موقف اصحابهم.

وتأتي الفرقة الأخرى وتدخل مع الإمام فيكبرون ثم يركع الإمام بهم ويسجد ، ثم تقوم هذه الجماعة وهي الثانية وينفرد كل منهم في الركعة الثانية ، يطيل الإمام تشهده ويتمون ويسلم بهم الإمام ، أي ان جماعة منهم تكبر مع الإمام تكبيرة الإفتتاح ، والأخرى تحتم معه الصلاة بالتسليم ، وفي الثلاثية يتخير الإمام بين ان يصلي بالجماعة الأولى ركعة وبالثانية ركعتين او بالعكس.

وتسمى هذه الصلاة أيضاً بصلاة عسفان ، وتخص ما لو كان في المسلمين كثرة وكان العدو في جهة القبلة وفي مستوى الأرض ، وليس من خوف شديد على المسلمين ، وفيه تخفيف ورحمة ، وسبيل لصرف القتال والقتل بين المسلمين .

وعن ابن عياش (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم .

قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْعَتِكُمْ فَيُصِيبِلُونَ عَلَىكُمْ مِثْلُ وَاحِدَةٍ وَأَجْنَحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (١).

قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعا ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم .

ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف .

قال فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم) (٢).

وتعددت معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الكتيبة ، ومنها :

(١) سورة النساء ١٠٢.

(٢) البداية والنهاية ٨١/٤.

الأولى : مسير أربعمائة من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : صبر الصحابة من المهاجرين والأنصار على أذى ووعورة الطريق .

الثالثة : عدم وقوع قتال ، مع تحقق الغاية من الكتيبة بتفريق جموع المشركين .

الرابعة : تشريع صلاة الخوف .

الخامسة : دخول طائفة من المشركين الإسلام بسبب تشريع صلاة الخوف ، فهي معجزة من وجوه :

الأول : التخفيف عن المسلمين في العبادات .

الثاني : بيان قانون أنه لو تردد الأمر بين أداء الفريضة كاملة وبين الحيطة والحذر ، يقدم الثاني ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاقْرَءُوا بُرَاتٍ أَوْ اقْرَءُوا جَمِيعًا﴾^(١) .

الثالث : أو أن نزول صلاة الخوف بما يفوت الفرصة على الذين كفروا .

الرابع : لم يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بمكر جيش الذين كفروا بالإغارة عليهم عند الصلاة لأن هذا المكر تم في حينه من غير مقدمات فلا يعلم به إلا الله عز وجل ، فأوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بآيات صلاة الخوف .

الخامس : تشريع صلاة الخوف للمسلمين إلى يوم القيامة .

السادس : منع الحرج عن المسلمين في تقصير الصلاة ، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢) ، وقال تعالى

(١) سورة النساء ٧١ .

(٢) سورة الحج ٧٨ .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١)، وقال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢).

و(عن عمران بن حصين قال : كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة؟ فقال صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب .

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صلاة الرجل وهو قاعد فقال : من صلى قائماً فهو أفضل ، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم ، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد)^(٣).

السابع : تفقه المسلمين في الدين ، وتلقيهم الإستثناء في الأحكام بالقبول والرضا .

الثامن : قانون موضوعية التنزيل في نجاة المسلمين في ميدان المعركة فقد كان العدو مستعداً للإجهاز على المسلمين لو أدوا الصلاة جماعة ، ولا يعلم ما ستقع من الخسائر بينهم إلا الله عز وجل .

التاسع : بيان قانون وهو أن الصلاة سبب للنجاة والرحمة .
لقد كان المشركون ينوون الإغارة على جيش المسلمين ساعة أدائهم الصلاة وانقطاعهم إلى الله فيها ، فنجاهم الله سبحانه من المكر والكيد ، وجعل هذا الإنقطاع سبباً لهداية جماعات من المشركين .

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة التغابن ١٦ .

(٣) الدر المنثور ١٧/٣ .

وقيل شرعت صلاة الخوف في كتيبة عسفان ، ولا مانع من التعدد والجمع بينهما ، قال تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلَبُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾^(١).

السادسة : نجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من محاولة اغتيال بمقدمات قريبة كما في رواية جابر بن عبد الله الأنصاري الذي كان من أفراد هذه الكتيبة^(٢).

فحينما قفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من كتيبة ذات الرقاع ومن غير أن يقع قتال ، أدركتهم القائلة بواد كثير العضاه^(٣).

وتفرق الصحابة ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت سمرة أي شجرة من العضاه لها شوك ، وعلّق عليها سيفه إذ يحيط به أصحابه ، وإن لم يكن هناك حارس شخصي حينئذ .

(١) سورة النساء ١٠٢.

(٢) انظر الخصائص الكبرى ٣٧٧/١.

(٣) العضاه شجر له شوك ، والواحدة منه تسمى العضة وهو على أنواع منها العرُفُط تأكله الإبل ، والعلف ، والسلم واحده السلمة ، والطلح ، والعلندي شجر له شوك ، والسمر ، شجر من العضاه له شوك طوال ، الواحدة منه سحرة ، وأم غيلان .

قال جابر (فمننا نومة فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يدعونا فنجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي من يمنعك مني فقلت الله فشام السيف وجلس ثم لم يعاقبه)^(١).

وجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه ليسمعوا شهادته ، ويكونوا شهوداً على هذه المعجزة.

وفي رواية عن جابر ان اسم هذا الرجل الأعرابي غورث بن الحارث أي أنه غير دعثور بن الحارث الذي أراد قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تقدم ذكره في كتيبة ذي أمر.

(وعن الإمام الصادق (عليه السلام) إن علياً (عليه السلام) كان يقول : لا أجزى في الهلال إلا شهادة رجلين عدلين)^(٢).

وغورث هذا من بني محارب أغاظه تفرق قومه في الجبال هرباً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وقصد قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لقد أخذ غورث سيف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يهزه ليقدم على القتل ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) في رد الله عز وجل على الملائكة تردد الذي يريد القتل في إقدامه عليه ، وإصابته بالرعب عند الهم بالقتل وقد جعل الله عز وجل واقية وحصناً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لحفظه وسلامته من القتل .

(١) الخصائص الكبرى ٣٧٧/١.

(٢) وسائل الشيعة ١٨.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

خاصة وأنه لم يخرج للقتل أو الغزو وإنما خرج من المدينة لتفريق جموع المشركين ومن المعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا التفريق وسيلة ومقدمة لدخولهم الإسلام لما فيه من المندوحة واسعة في الوقت للتدبر في الآيات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أنعم الله عز وجل على الناس بصلح الحديبية ليكون مناسبة للإحتجاج وإقامة البرهان بعيداً عن حمية الجاهلية .

وعندما أخذ غورث سيف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصار بيده يهزه وليس من أحد من أصحاب معه تحت ظل الشجرة (قال يا محمد أما تخافني قال لا ما أخاف منك قال أما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك ثم عمد الى سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردده عليه) ^(١) .

فأراد الله عز وجل توثيق هذه الواقعة إلى يوم القيامة بنزول آية قرآنية بخصوصها ، وليبيان فضله سبحانه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، إذ أنزل يومئذ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنِيسُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢) .

لقد بادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى دعوة عدد من أصحابه ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري الذي يروي الواقعة وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقص عليهم بإيجاز المعجزة وغورث هذا جالس بين يديه .

(١) البداية والنهاية ٨٤/٤ .

(٢) سورة المائدة ١١ .

فقال : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، أي أن غورث تسلل إلى محل جلوس النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة ظليلة تركها المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١) وليس مع غورث سلاح يثير الريب بين الصحابة وأخذ سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال غورث من يمنعك مني .

قلت : الله عز وجل .

فشام السيف ، وجلس .

وذكرت في الواقعة معجزات منها .

الأولى : توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله عز وجل بالدعاء عندما همّ غورث بقتله ، وقال : اللهم أكفني الغورث بما شئت ، وحينما أهوى غورث بالسيف ليضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنكب على وجهه من زخّة زخّها وألم أصابه في ظهره فسقط السيف من يده لبيان قانون وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلجأ إلى الدعاء في حال الشدة والرخاء ، ولا يفارق الدعاء ، حتى عندما يداهمه الخطر ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) .

الثانية : في رواية أن غورث انحدر من الجبل بسيفه ليضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرفعه جبريل في صدره فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يضربه به ، إنما قال له : من يمنعك مني يا غورث : فقال لا أحد .

(١) أنظر البداية والنهاية ٨٤/٤ .

(٢) سورة غافر ٦٠ .

الثالثة : النبي لغورث : تشهد لي بالحق وأعطيك سيفك ، أي أنه رأى معجزة حسية وجليّة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقامت عليه الحجة ، ومع هذا لم يقل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : تشهد لي بالحق وإلا اقتلك ، إنما جعل إيمانه سبباً لإرجاع سيفه له .

وفيه معجزة أخرى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلعل غورث يتظاهر بالإسلام زوراً وبقصد الغدر ، لبيان فضل الله عز وجل بمنع الناس من إدعاء الإسلام مع إرادة الغدر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا المنع من مصاديق ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

قال غورث : لا ، أي انه امتنع عن التسليم بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه رأى المعجزة ، ثم أردف : ولكن أشهد إلا أقاتلك بعد هذا ولا أعين عليك عدواً ، وفيه شاهد على أن المشركين هم الذين يبدؤون القتال ، ويجمعون الجموع لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد اعتزل غورث القتال بالتسليم بالمعجزة ، وفيه آية في النبوة ، وهي أن جموع المشركين صاروا على أقسام :

الأول : الذين هجروا الشرك والضلالة ، ودخلوا الإسلام .

الثاني : الذين إمتنعوا عن قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإقرارهم بمعجزات النبوة من غير أن يتخلصوا من شوائب الإنتساب للشرك ، ووراثته مفاهيمه .

الثالث : الذين أصروا على الإقامة على الشرك ، ولكنهم امتنعوا عن قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : الذين بقوا على الشرك وإرادة قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ فقدوا الكثرة في العدد بعد هذا الإنشطار والإنقسام فيهم ، كما خسروا الأموال وعجزوا عن توفير نفقات الحرب على الرسالة قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ ^(١) وهو من أسباب عقد المشركين صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أنهم كانوا مضطرين له .

أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان يميل إلى المودعة والصلح والإمتناع عن القتال طيلة مدة سني الدعوة والرسالة .

قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ^(٢) ومن مصاديق الخير في الصلح هداية الناس مدة الصلح إلى الإيمان ، والتدبر العام بالآيات الكونية ، ودلائل التنزيل ، والحسن الذاتي للإيمان ، والقبح الذاتي للكفر وعبادة الأوثان .

ليكون من نتائج كتيبة ذات الرقاع مسائل :

الأولى : تفريق جمع المشركين الذين يرومون غزو المدينة.

الثانية : التأكيد العملي لقانون (لم يغز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً) .

(١) سورة الأنفال ٣٦.

(٢) سورة النساء ١٢٨.

الثالثة : تحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الأذى الشديد في أبدانهم وقطعهم المسافات الطويلة ، واجتياز الأراضي الوعرة لغاية سامية وهي تفريق جموع المشركين من غير غزوهم والفتك بهم .

الرابعة : عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الى المدينة من غير غنائم.

الخامسة : نزول آية صلاة الخوف وارتفاع أجيال المسلمين منها إلى يوم القيامة.

السادسة : بيان قانون وهو أن كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصداق لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

السابعة : تأكيد قانون وهو تجلي معجزات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل كتيبة من كتائبه ، وسرية من سراياه.

هلال ذي القعدة ١٤٤٠

قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَمَلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

هذا اليوم هو الخميس الرابع من شهر تموز سنة ٢٠١٩ ميلادية وهو الأول من شهر ذي القعدة^(١) سنة ١٤٤٠ ، إذ ثبتت عندي رؤية الهلال الليلة البارحة بشهادة أربعة من البحرين.

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) الروض الأنف ٣٧٢/٢.

وفي قوله تعالى ﴿فَنَسْهَدُ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُفُّهُ﴾^(١) دعوة للمسلمين جميعاً للتدبر والتفكر في مخلوقات الله عز وجل ، وبدائع عالم الأكوان ، ولزوم شكر الله تعالى على نعمة تسخيرها للناس ، والصلة بين الفرائض العبادية وبين الآيات الكونية ، ووردت الآية أعلاه بخصوص هلال شهر رمضان وماله من القدسية وتلزم معرفته وتعيينه رصد أهلة أشهر السنة الأخرى وان تباينت منازلها قليلا ، لأن هلال رمضان لا يحل على أهل الأرض إلا بعد أن يهل أحد عشر هلالاً لأشهر السنة القمرية الأخرى ، فلم يرد في القرآن لفظ (الهلال) بصيغة المفرد ، إنما ورد بصيغة الجمع بقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾^(٢) ولا تختص حاجة المسلمين والناس إلى خصوص هلال رمضان إنما يحتاجون ضبط كل من :

الأولى : أهلة أشهر الحج ، وهي شهر شوال وذي القعدة ، وذي الحجة ، ويدل على عناية العرب بإحصاء الأشهر ، وضبط أشهر الحج قوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

الثانية : الأشهر الحرم ، وهي شهر رجب ، وشهر محرم ، وشهر ذي القعدة ، وشهر ذي الحجة ، والأخيران من أشهر الحج أيضا .
إن عناية المسلمين برؤية الهلال واتخاذها وسيلة لأداء الفرائض العبادية شاهد على أنهم لا يسعون إلى الغزو ، ولا يهتمون به ، فلا

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٩ .

(٣) سورة البقرة ١٩٧ .

يتخذون الآيات الكونية مناسبة وأواناً للهجوم ، ومثلاً لم يقل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوماً إذا هل هلال شهر كذا تقوم بغزو كذا إنما كان ينمي إدراك الملازمة بين الأهلة والعبادات .

ومن خصائص شهر ذي القعدة أمران :

(الأول : إنه من الأشهر الحرم الأربعة وهو أول الأشهر الثلاثة

السرد في تعاقب الأيام :

أولاً : شهر محرم

ثانياً : شهر ذي القعدة .

ثالثاً : شهر ذي الحجة .

، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾^(١).

الثاني : إنه من أشهر الحج الثلاثة قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٢) ، وهي شهر شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وهناك مسألتان :

الأولى : هل من موضوعية لكون شهر ذي القعدة من الأشهر

الحرم في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهل كانت مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، إذ يحرم فيها القتال والغزو والنهب والثأر ، ومن يرى قاتل أبيه في هذه الأشهر لا يتعرض له

الثانية : هل من موضوعية لأشهر الحج في التوطئة لبعثة النبي

محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسلامته الشخصية.

(١) سورة التوبة ٣٦.

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

وكانت العرب تقيم سوق عكاظ شهر شوال كما في معجم البلدان : ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج^(١).

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدة إقامته في مكة بعد البعثة وهي ثلاث عشرة سنة يطوف على قبائل العرب في أماكنها يدعوهم إلى الإسلام وهو ينادي قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

وهل أثر هذا النداء في جذب الناس إلى الإسلام ، ومنعهم من التحشد ضده في معركة بدر وأحد والخندق ، الجواب نعم.

لقد كان نوح بين قومه يدعوهم إلى الله نحو ألف سنة وهم لا يستجيبون فأخذهم الطوفان ، ودعا إبراهيم قوم ثمود إلى الله فجمعوا له الحطب وأوقدوا النيران فانجاء الله .

وحالما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آمنت به خديجة والإمام علي عليه السلام ، ثم توالى دخول الصحابة في الإسلام وتحملوا الأذى الشديد ، وعرض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على طائفة من أصحابه الهجرة إلى الحبشة لأن فيها ملكاً صالحاً.

ولما أراد المشركون قتله في فراشه نزل جبرئيل يأمره بالهجرة إلى المدينة قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢) ، وقد هيئ الله عز وجل وجود أنصار له في بيعة العقبة الأولى والثانية .

وهل من موضوعية لهاتين البيعتين في إزدياد أذى قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، الجواب نعم.

(١) معجم البلدان ٣/ ٢٤٣.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

و(عن جابر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول : لتأخذوا مناسككم ، فإنني لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه)^(١).

صدور الجزء ١٨٩ من التفسير

قال تعالى ﴿وَلَا يَحْصِبُنَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُمْ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم وهل من التعليم الوارد في الآية أعلاه من سورة العلق تعليم آيات القرآن أم أن القدر المتيقن بخصوصه هو علم التفسير والتأويل ، المختار هو الأول ، إذ أن حضور الآية بالوجود الذهني وتلاوتها والتدبر في معانيها كله من التعليم الذين تفضل الله تعالى .

إذ يرتقي المسلم في المعارف الإسلامية من جهات :

الأولى : نزول آيات القرآن من عند الله وإدراك المسلمين والمسلمات أنه كلام الله .

الثانية : إعجاز الآية القرآنية.

وأصدر العلماء في تأريخ الإسلام كتباً معدودة عن إعجاز القرآن ، وتفضل الله علينا في تفسيرنا للقرآن بافراد باب لإعجاز الآية القرآنية عند تفسيرها وهو من أبواب متعددة :

الأول : إعجاز الآية الذاتي .

الثاني : إعجاز الآية الغيري.

(١) الدر المنثور ١/٤٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٠.

الثالثة : المضامين القدسية في الآية القرآنية ، وعلوم البلاغة والبيان من الحقيقة والمجاز ، والإستعارة والكناية والتمثيل والتشبيه ، وبعث القرآن الناس لإستقراء أطراف وأركان التشبيه وموضوعيتها في التفسير وهي :

الأول : المشبه .

الثاني : أداة التشبيه .

الثالث : المشبه به .

الرابع : وجوه التشبيه ، ومعاني ودلالات الهداية في كل علم من علوم البيان والبلاغة في القرآن وقد يتداخل المشبه والمشبه به بالصفات في غنى عن أداة التشبيه ، كما ورد في التنزيل ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(١) ، وهل يختص تشبيه النسوة ليوسف عليه السلام بجماله وحسن هيئته لإنحصار الأمر برؤيتهن له ، أم أنهن قصدن صفات الخلق الكريم الذي يتصف به .

المختار هو الثاني ليكون من مصاديق قوله تعالى في الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢) ، أن الناس جميعاً يعلمون قانوناً وهو ذات الخلق الرفيع وحسن الأدب يتصف به الملائكة وهو فرع الإقرار بأن لله عز وجل ملائكة وهم وسائط بين الله وبين الأنبياء ، وفي التنزيل ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشَرٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾^(٣) .

(١) سورة يوسف ٣١ .

(٢) سورة ن ٤ .

(٣) سورة الشورى ٥١ .

ومن فضل الله عز وجل مجئ كثير من جزاء هذا التفسير باختصاص كل جزء بتفسير آية واحدة من سورة آل عمران في استظهار لذخائر علمية وكنوز من القرآن .

وقد صدر الجزء التاسع والثمانون بعد المائة من تفسيري للقرآن ، في تفسير الآية (١٨٠) من سورة آل عمران ، ومن فصول تفسير الآية التي اختص بتفسيرها :

الأول : الإعراب واللغة فمثلاً ورد فيها قوله تعالى ﴿يُخْلَوْنَ﴾
(١) والبخل ضده الكرم ، ولكن ذكرت في هذا التفسير أن البخل هذا ضد خاص للأمر الوجودي الواجب ، وهو إخراج الزكاة بحيث يستحيل اجتماعهما ، وصدورهما من المكلف ، وتدل الآية على حرمة هذا الضد الخاص .

الثاني : في سياق الآيات : وهو علم جديد ورد في هذا التفسير على نحو الإختصار ، بصلة آية البحث بالآيات القليلة التي قبلها والتي بعدها لتتجلى وجوه من الإعجاز من جهات :
الأولى : نظم القرآن .

الثانية : دلالة الآية القرآنية ، والمعنى الأعم فيها .
الثالثة : استنباط المسائل والأحكام من الجمع بين آيتين أو أكثر من القرآن .

الثالث : أسست في هذا الجزء باباً جديداً هو فصول الآية ، وهو غير الصلة بين أول وآخر الآية .

الرابع : باب الآية سلاح ، وكيف أنها تنفع المؤمنين ويحترسون بها ، وتكون شاهداً على أن الإسلام دين السلام .

الخامس : مفهوم الآية ، وهو خلاف المنطوق فمن مفاهيم الآية الثناء على المؤمنين الذين يبادرون إلى اخراج الزكاة والخمس وما وجب عليهم من الحقوق الشرعية ، قال تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١).

وعلم مفهوم الآية علم مستحدث يقرأ ما وراء التنزيل من المقاصد السامية للآية القرآنية ، وبما يبعث على الصلاح .

السادس : باب إفاضة الآية وما يترشح عنها من النكات العلمية والرياض والمعاني الروحية.

السابع : الآية لطف لقراءة الرقائق والعرفان وأنوار ضياء الهداية في الآية القرآنية

الثامن : الآية بشارة ، فمن خصائص آيات القرآن أنها تتضمن في منطوقها أو مفهومها البشارة سواء البشارة الدنيوية أو الأخروية.

التاسع : الآية إنذار ، لبيان ضروب البشارات والإنذارات الواردة في الآية القرآنية .

العاشر : الآية رحمة.

الحادي عشر : الآية موعظة ، والدروس المقتبسة منها في التعليم والهداية.

الثاني عشر : الحاجة إلى آية البحث .

الثالث عشر : من غايات الآية .

وبعدها دخلت في تفسير كلمات وفصول الآية مع بحث بلاغي وعدة قوانين مقتبسة .

لقد لاقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه أشد الأذى من قريش ، وهل هذا الأذى من الإرهاب ، الجواب

نعم ، إذ قابل به المشركون دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
السلمية إلى عبادة الله ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١) .

وكان صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على أذى
قريش نوع وسيلة لهداية الذين آذوهم ، وهو من معجزات النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية ، ونذكر في تفسيرنا آلاف من
معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقنت في صلاته ليدعو
على كفار قريش الذين عذبوا المؤمنين وقتلوا طائفة منهم كما في
دعائه على الذين قتلوا سرية الرجيع التبليغية.

ودعاؤه في القنوت وكلماته بأمر من جبرئيل مع تأكيده على قول
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾^(٢).

(عن أبي هريرة قال : بينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يصلي العشاء إذ قال : سمع الله لمن حمده . ثم قال قبل أن يسجد :
اللهم نج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم نج سلمة بن هشام ، اللهم نج
الوليد بن الوليد ، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين)^(٣).

والوليد بن أخو خالد بن الوليد وقصة اسلامه معجزة للنبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ حضر مع جيش الكفار معركة
بدر فوقع في الأسر .

فقدم أخواه خالد وهشام بن الوليد إلى المدينة لفكاكه ، فلم يقتلا
ولم يؤسرا ولم يؤخذا رهائن مع أن قريشاً تدق طبول الحرب

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١٢٨.

(٣) الدر المنثور ٣/٢١٥.

للقتال في معركة أحد بعد خسارتهم في معركة بدر ، وهو سبب
خسارة المسلمين فيها ، ولم يخش طلاعهما على الثغرات عند
المسلمين.

إن قدوم الأعداء مناسبة لسماعهم آيات القرآن والذي أسر
الوليد هو عبد الله بن جحش وهو من المهاجرين ، وحينما قدم
خالد وهشام ابنا الوليد تمنع عبد الله بن جحش وطلب فداء أربعة
آلاف درهم.

فجعل هشام يماكس ويسأل إنقاص قيمة العوض وكان يريد
ثلاثة آلاف.

فقال خالد لهشام : إنه ليس بابن أمك ، والله لو أبى فيه إلا كذا
وكذا لفعلت. ثم خرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة ، فأفلت فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقيل له : ألا أسلمت قبل أن تفتدي ،
قال : كرهت أن أسلم حتى افتدي بمثل ما افتدي به قومي^(١).

وقال ابن عبد البر إنما أراد فكاهه بما طلب عبد الله بن جحش
أخوه هشام بن الوليد ، وهو أخوه لأمه وأبيه ، وكان خالد يتمنع.
ويبدو أنهما جاءا بالمال معهما من غير خشية السلب والنهب مما
يدل على أن النبي وأصحابه لم يطمعوا بقافلة أبي سفيان .

طلب عبد الله بن جحش شكة أبيهم درع وسيف وبيضة قيمت
بمائة دينار .

وأخذا معهما الوليد حتى إذا وصل إلى ذي الحليفة افلت منهما ،
ويبعد ذو الحليفة عن المسجد النبوي أربعة عشر كيلو مترا ، وهو
ميقات للحاج.

عاد الوليد إلى النبي وأعلن اسلامه ، وفيه شاهد على تدبر
الأسرى في سنن الإسلام مدة الأسر ليكون من معاني قوله تعالى

(١) مغازي الواقدي ٥٢/١ .

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١)، جذب الأسرى إلى مقامات الهدى ، وجعلهم يستحضرون سبل التوبة ، والحاجة إليها.

لقد عاتب خالد بن الوليد أخاه الوليد وقال : هلا كان قبل أن تغتدي وعادا به الى مكة إذ اطمأن لهما للأخوة والرحم.

وعندما قدما إلى مكة حبساه مع نفر من مسلمي بني مخزوم منهم عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام من مهاجري الحبشة ، ولكنهما عادا عندما سمعا بإسلام قريش .

واستمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء لهم ثلاث سنين ، ترى لماذا يكفي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء مرة واحدة .
الجواب لفلسفة الإلحاح بالدعاء .

استطاع الوليد فك وثاقه ، وكانت رجل أحدهما مع رجل صاحبه ، عندئذ قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنطلق حتى تنزل على القين ، ولو تبين أن القين لم يسلم ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوليد ينزل عليه لنزل به أذى شديد.

وكانت رسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مسلمي مكة بالصبر وبشارة قرب الفرج والثبات على الإيمان ، وخرج الثلاثة ، وخرج خلفهم خالد بن الوليد في نفر من قومه حتى بلغ عسفان فلم يدركهم ، إنما اتخذ الثلاثة طريق هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبح الطريق الذي سلكه أمانا وقيل أصيب الوليد بقدمه في الطريق ومات ،

ولكن الصحيح أنه حضر عمرة القضاء مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكتب إلى أخيه خالد يدعوه إلى الإسلام فاستجاب له .

وبينما كان خالد مع عكرمة على خيل المشركين في أحد ، وعلى الخيالة في صلح الحديبية وسهيل بن عمرو هو المفاوض الأكبر من طرف المشركين .

تدور الأيام فيكون خالد أحد قادة المسلمين في فتح مكة . وإذا عكرمة وسهيل بن عمرو يقاتلانه ، فيفران من أمامه لتطوى صفحة الكبر والشقاق في مكة والجزيرة إلى يوم القيامة .

وقد عاتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالداً يوم فتح مكة فقال له : لم قاتلت وقد نهيت عن القتال فاعتذر قائلاً : هم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدأونا بالقتال ورشقونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح ، وقد كفت ما استطعت ودعوتهم إلى الإسلام .

لقد أصروا على القتال مع كثرة الصحابة الذين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ كانوا عشرة آلاف رجل ، لقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة تطارده قريش ليعود حاملاً لواء السلام إلى يوم القيامة .

وجاء الجزء الثالث والسبعون بعد المائة من تفسيرنا للقرآن خاصاً بهذه بقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

الدين في الاصطلاح

والدين لغة الطريقة والنهج .

وهو في الاصطلاح جملة المبادئ التي تحملها أمة وتعتقد بها وتعمل بمضامينها إنه مجموعة عقائد وأحكام وآداب وتشريع وأوامر ونواهي ومنهم من يعرف الدين بأنه الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي ، ولكن معناه أعم بدليل قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١)، فسمى الله عز وجل ما كان مشركوا العرب عليه من الوثنية بأنه دين.

ليان قانون في الأرض وهو أن تبيت الدين القويم في الأرض يلزم الصبر والجهاد بالحجة والبرهان ، وبين الدين والمذهب اصطلاحاً عموم وخصوص مطلق ، فالدين أعم ، إذ يتعلق بأحكام الشريعة وصفات الخالق وأمور الخلق وعالم الغيب وأحوال الآخرة والمعاد ، أما المذهب فيختص بالمسائل ، وقد يكون في أمور الحياة ، ولم يكن أيام النبوة مذاهب وهناك قراءات للخطاب الديني منها :

الأولى : القراءة الحرفية المنسلخة عن التاريخ والتي تكون ظاهرية ومتشدة ، وتحسب مراداً محصوراً للشارع من النص يجب الإلتزام به ، ويمتنع عن فهم الواقع المعاصر ، وقانون السبب والمسبب والعلة والمعلول المستحدث.

وقد يستدل عليه بقوله تعالى ﴿لَا تُبَدِّلْ لَكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْهُ

(١) سورة الكافرون ٦.

(٢) سورة يونس ٦٤.

دُونِهِ مُتَّحِدًا»^(١)، «وَنَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٢)، ولا تصح القراءة الحرفية لخطاب الشارع وحدها لذا جاءت أسباب النزول مع التسليم بأن المدار ليس عليها إنما على عموم المعنى ، وفيه نكتة وهي ملائمة آيات القرآن للإحاطة باللامحدود من الوقائع والأحداث .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن كل مسلم ومسلمة يتلوان سبع عشرة مرة في اليوم وعلى نحو الوجوب العيني قوله تعالى «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»^(٣)، لسؤال الهداية لفهم الخطاب الديني فهماً تاماً.

الثانية : القراءة الإيمانية التي تقوم بالعلم والتدبر بعيداً عن التشدد أو الوقوف عند التأريخ ، ومن خصائص الإنسان أن الله عز وجل نفخ فيه من روحه ، ورزقه العقل .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : إن الله خلق العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال له : وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحب إلي منك لك الثواب وعليك العقاب^(٤).

لقد صار العالم في هذا الزمان كالقريّة ولا بد من الإنفتاح على الملل والأديان والمذاهب ، واحترام الرأي الآخر وهو من مصاديق قوله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٥)، فهذه الآية قانون عام

(١) سورة الكهف ٢٧.

(٢) سورة الأنعام ١١٥.

(٣) سورة الفاتحة ٦.

(٤) البحار ٩٦/١.

(٥) سورة الأنبياء ١٠٧.

ملائم لكل زمان ، يدعو المسلمين إلى فهم أحوال الناس والرفق والرحمة بهم ، وقد جاء القرآن والسنة بالرحمة العامة ، وأن يرحم الناس بعضهم بعضاً ، فحتى الالتزام الحرفي بالخطاب الديني هو حجة على المتشددين ، لأنه يحرم الإرهاب ويزجر عن التفجير العشوائي ، ويمنع من الظلم والتعدي .

ويملي الالتزام الحرفي بالخطاب الديني على الإنسان الجمع بين النصوص الذي يتجلى معه قانون وهو غلبة جانب الرحمة والرفقة والشفقة بين الناس .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال : أعربوا القرآن واتبعوا غرائبه ، وغرائبه فرائضه وحدوده .

فإن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال . فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : إن القرآن ذو شجون ، وفنون ، وظهور ، وبطون .

لا تنقض عجايبه ، ولا تبلغ غايته . فمن أوغل فيه برفق نجا ، ومن أوغل فيه بعنف غوى .

أخبار وأمثال وحرام وحلال ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ،

وظهر وبطن . فظهره التلاوة ،

وبطنه التأويل .

فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء ، وإياكم وزلة العالم^(١) .

وليس من تعارض بين الدين والفلسفة لإتحاد الحكم بين ستخية الإيمان والعقل ، وقد ألف ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥) هجرية ما يبين حقيقة وهي عدم وجود نزاع بين الدين والفلسفة ، ومن كتبه في المقام (فصل المقام) في الكشف عن مناهج الأدلة .

وكتاب تهافت التهافت الذي ألفه رداً على الغزالي (٤٥٠-٥٠٥) هجرية الذي ألف كتاب (تهافت الفلاسفة) للرد على الفلاسفة القدماء الذين تهافتت عقيدتهم فيما يخص الألوهية ، وزيف إدعائهم صحة استنباطهم .

لقد استند ابن رشد إلى الأساس التاريخي ، وقد تولى ابن رشد منصب القضاء في اشبيلية ، وقام بتفسير كتب ارسطو بناء على رغبة الخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف ، وما لبث علماء الأندلس والمناوئون لابن رشد أن نعتوه بالكفر والإلحاد ، فابعد أبو يوسف يعقوب إلى مراكش وتوفي فيها سنة (٥٩٥) هجرية (١١٩٨) ميلادية .

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٥- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .
- ٦- سيادة القاضي رئيس هيئة الإشراف القضائي.
- ٧- سيادة رئيس مؤسسة الشهداء
- ٨- الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب.
- ٩- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.
- ١٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية
- ١١- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٢- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٦- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية الجزائرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥
٨ / ٤ / ٢٠٠٨

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم. نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

مختصاً به

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فإنه ليسعدني أن أقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير
والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني والثمانين.
وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIATORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

احمد القوي
مستشار الأمين العام

مستشار الأمين العام



بسم الله الرحمن الرحيم

كوٲ ماري عيراق

داد كاي بالآي ئيتتيجادي

العدد : ٥١ / مكتب / ٢٠١٩

التاريخ: ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م/شكر وتقدير

تحية طيبة...

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٩/١٠٣٥) المؤرخ ٢٠١٩/٥/٦ .
تسلمنا ببالف الإعتزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم ((معالم
الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.
مع فائق التقدير

القاضي

مدحت المحمود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠١٩/٥ / ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتب



العدد /

التاريخ / ٢٠١٩ / ٨

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي

م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

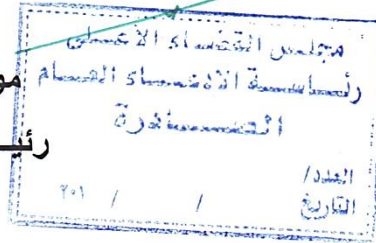
استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير
القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آمليين منكم المزيد من العطاء
والتوفيق.
مع التقدير.

القاضي

موفق محمود محمد صالح

رئيس الادعاء العام

٢٠١٩/١/٨



العدد / ٨ / مكتب / ٢٠١٩ / ١٧٩٣
التاريخ / ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى
رئاسة هيئة الإشراف القضائي
مكتب رئيس الإشراف

الى / سماحة الشيخ (صالح الطائي) المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م / شكر وتقدير

تلقينا ببالغ الإعزاز كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
وكانت الهدية بواسطة السيد ((عبد الله الشيخ صالح الطائي)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية .
مع فائق التقدير .

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس هيئة الإشراف القضائي

٢٠١٨/١٢/١١



كۆماری عێراق
Republic of Iraq
 سه روکایه تی نه نجومه نی وه زیوان
Presidency of Ministers
 ده زگای شه فیدان
Foundation of Martyrs



جمهورية العراق
رئاسة الوزراء
مؤسسة الشهداء

العدد: ١٠٠ / ٢٠٣

نُورُ الشُّهداء أمانةٌ في أعناقنا

التاريخ: ٢٠١٩ / ٥ / ٢٢

مكتب رئيس المؤسسة

إلى/سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ (صالح الطائي) "أدام الله ظله"
 م/ شُكر وتقدير

تحية طيبة

في الوقت الذي نبارك لكم الإشراف المنيعة لكتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن الكريم) الجزء الحادي والثمانين بعد المائة الآية (١٧٩) سورة آل عمران. فأنا نتقدم بالشكر الجزيل لكم على إتاحتنا بهذا السفر القيم داعين المولى تعالى أن يمن عليكم بالسداد والتوفيق.

ناجحة عبد الأمير الشمري
 رئيس مؤسسة الشهداء
 ٢٠١٩/٥/٢٩



Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد: ت/١٥٣
التاريخ: ٢٠ رمضان ١٤٣٩ هـ
الموافق: ٢٠١٨/٦/٥
هجري
ميلادية

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت مع بالغ الشكر وعظيم التقدير والإمتنان هديتكم القيمة والمتمثلة في
الأجزاء (١٦٠-١٦١-١٦٤) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ان ولوجكم في
هذا الميدان العلمي من التأليف في تفسير القرآن العظيم يعيد الى الأذهان ذكريات
أولئك المفسرين العظماء الكرماء الذين خلدتهم التأريخ بإنجازاتهم العلمية
الوفيرة والنادرة ، وان هذا المؤلف الكبير هو من المؤلفات النادرة حقا في هذا
الزمن الشحيح في علماء التفسير بحيث اعاد الأمل الى نفوس العلماء وطلاب
العلم ، بان ميدان التأليف في هذا الفن العلمي انما هو رافد عظيم من روافد
الفكر الاسلامي الخالد والذي نفتخر ونعتز به ، وأسأل الله تعالى ان يسبغ عليكم
بوافر الصحة ونعمة العافية من اجل اكمال هذا المشروع العلمي الخالد كي نباهي
به الأجيال وكي نؤكد لكافة المسلمين ان هذا الاسلام يظل منبع للعلم والعلماء
من اجل ديمومة هذا العلم الخالد .

اكرر شكري وتقديري على كرمكم الأصيل باهدائكم هذه الاجزاء لنا ،
وأسأله تعالى ان يستمر عطائكم وتأليفكم بانجاز هذا المشروع التاريخي الخالد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والتراث العلمي للدراسات العليا



بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

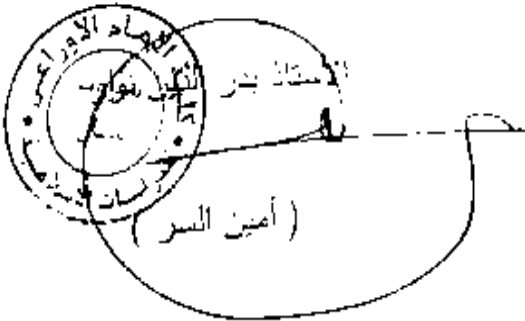
بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا
وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي

الموقر

مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن

وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع التوفيق
والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:

Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

الرمز: ... ج ك/م م/١٧/ح/٣
التاريخ: 2016/8/16 م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣ م، وذلك إثراءً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعلنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبد الله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم ١١٤٦٠ / ١ / ٦٥٢
التاريخ ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
الملاحظات
الموضوع



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
إمارة المنطقة الشرقية
مكتب المدير
(٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تميّاتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٢ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٧ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م



العدد: ٦٨٩٠ / ٥٤ / ٧

التاريخ: ٢٠١١ / ٦ / ٨

إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

أ. د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦ / ٦ / ٨

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. <https://doi.org/10.1016/j.jmb.2019.05.005>

Date _____

الرقم ١٤١٣-١١٦٦/٤٧

التاريخ ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ

الموافق ٥ - تموز ١٩٤٧

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

رئيس الجامعة
أ. د محمد الطعمانه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة، في: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم... 498... / رج. / 2014

إلى السيد المحترم / مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د. عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في

تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا

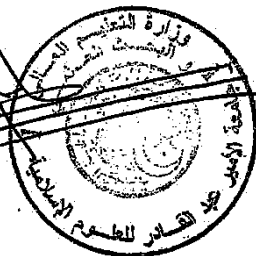
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١٧٩	قانون صلة الرحم واقية من الغزو
٢٦	بحث أصولي	١٨٧	قانون أحد جبل يحبنا ونحبه
٢٦	إسلام ابن الزبيري	١٩٤	أسباب حب جبل أحد
٣٠	كرم عبد الله بن جدعان	٢٠٤	قانون الترتيب السنوي لنزول الآيات
٣٥	بقاء النبي في مكة سلام	٢١٠	دلالة آيات معركة أحد على دفاع المسلمين
٣٨	قانون دخول النبي المدينة سلم وسلام	٢١٧	الأقرع بن حابس بن عقال
٤٥	قانون نتائج نزول الآية القرآنية	٢٢١	قانون قلة القتلى في معارك الإسلام معجزة
٦٤	قانون تعاضد آيات الأحكام	٢٣٠	قانون المعجزة الجسدية
٦٦	مدح الأعشى للنبي	٢٣٨	شواهد وثائقية على خاتم النبوة
٧٢	سرية الرجيع	٢٥٩	قانون توثيق مدح النبي من قبل غير المسلمين
١٠٣	خبيب وزيد في مكة	٢٦٤	كتيبة ذات الرقاع
١٠٤	بليع الأرض	٢٨٤	هلال ذي القعدة ١٤٤٠
١٢٤	سرية القراء	٢٨٩	صدور الجزء ١٨٤ من التفسير
١٣٧	الحاجة الى البعثة النبوية	٢٩٧	الدين في الإصطلاح
١٤٢	آية الميراث	٣٠١	ردود كريمة
١٦٩	قانون السلام أمان وأمانة	٣١٨	الفهرس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٩٤٩ لسنة ٢٠١٩